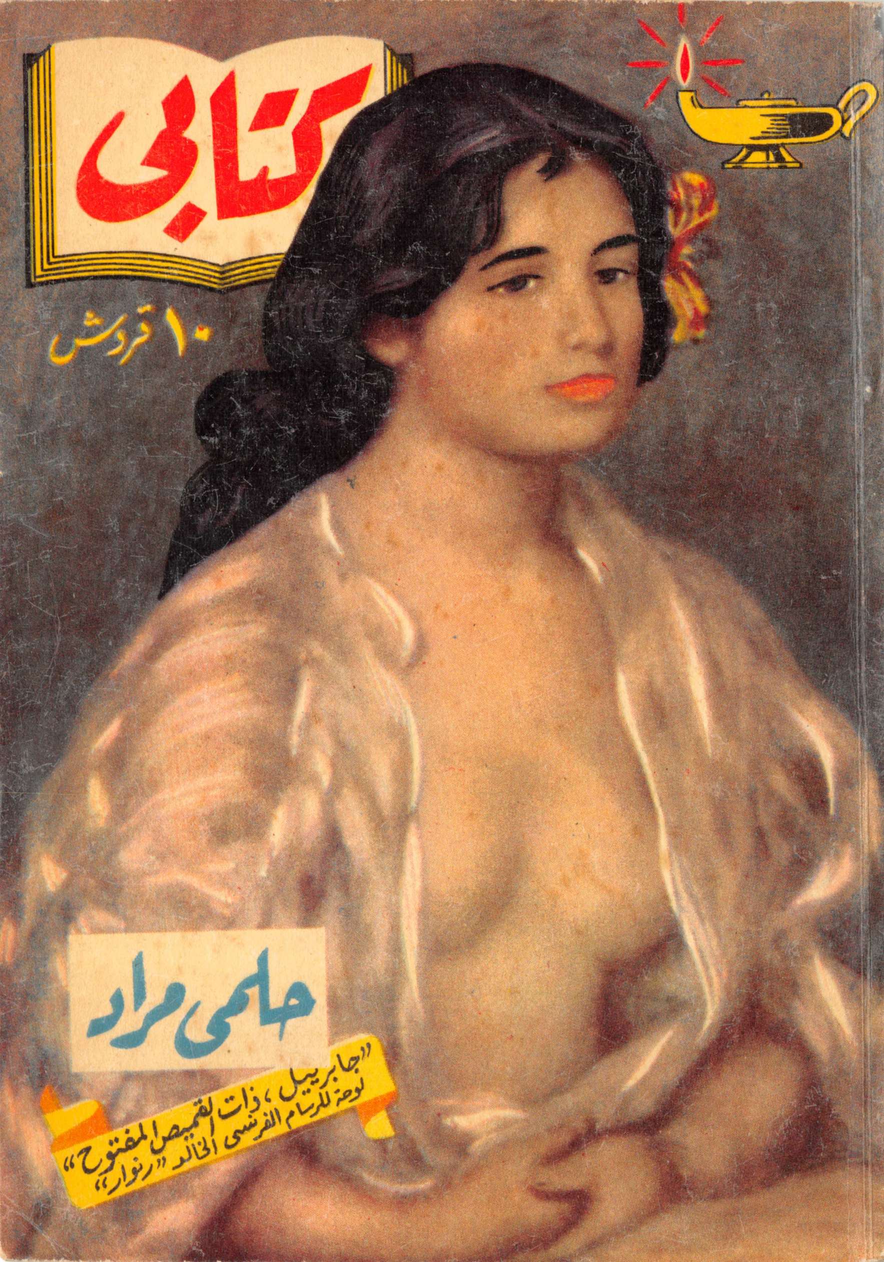
كتابي

١٠ قروش



حلمي مراد

"جابرييل، ذات القميص المفتوح"
لوحة للرسام الفرنسي الخالد "رنوار"



البر ..

من روائع الرسام الفرنسي « جاك بلانشار » (١٦٠٠ - ١٦٣٨)



أزهار ..

لوحة تكاد تنطق ، للرسام الفرنسي « انطوان برجون » (١٧٥٤ - ١٨٤٣)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتـــاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثامن والثلاثون (السنة الرابعة) : مايو ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقـاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

مطـابع دار النشر للجامعات المصرية
٤١ شارع شريف ، القاهرة

محتويات الكتاب

.. انها أسرار قلب امرأة ، كشفها للملأ - عارية ! - قلم كاتب عبقرى ، فحلل فيها أعمق خلجات النساء ، وعواطفهن ، ونزواتهن ..

اقرأها بعد أيام

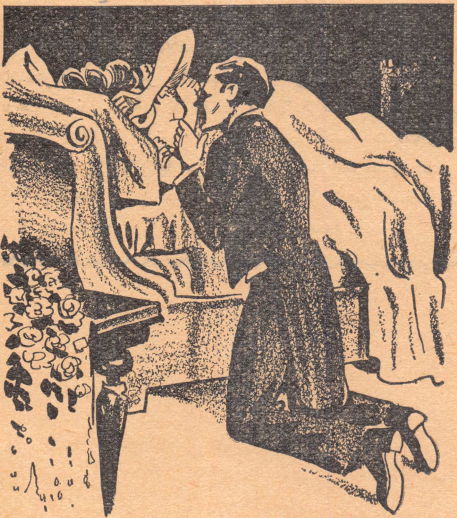
فى العدد الخامس من « مطبوعات كتابى »

الذى يصدر محتويا على الترجمة الكاملة لقصة «جى دى موباسان» الخالدة ، التى لم تنقل الى العربية من قبل :

حياة امرأة

القصة التى ترجمها تولستوى بقلمه الى الروسية ، ووصفها بأنها « أعظم قصة فرنسية طويلة بعد « البؤساء » !

مصدرة بفصل شائق فى ٣٠ صفحة عن حياة مؤلفها «موباسان»، وغرامياته ، ومأساته !



احجز نسختك من بائع الصحف من الآن الثمن ٨ قروش

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رأت ادارة **« كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ **ترسل** جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية MONEY ORDER عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الحجاز قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة)

حياة امرأة !

عزيزى القارىء ..

◆ **منذ** شهور وأنا أود أن أقدم لك عددا جديدا من « مطبوعات كتابى » ، تلك السلسلة الشقيقة لكتابى ، التى تستهدف نشر الترجمة الكاملة لأمهات الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، لأشهر المؤلفين ، ومن جميع اللغات ... لكن انشغالى المتواصل فى انتقاء مواد كتابى لكل عدد ، وغربلتها ، واعدادها ، ثم تقديمها لك على طبق ، سائغة الطعم ، سهلة الهضم .. حال دون توفر الوقت الكافى لاصدار عدد جديد من تلك المطبوعات ، فأخذت أرجئه شهرا بعد شهر .. **حتى استطعت أخيرا أن أختلس فسحة من الوقت انتقيت لك فيها للعدد الجديد قصة من أقوى قصص الادب الفرنسى ، هى قصة « حياة امرأة » ، للروائى العبقرى « جى دى موباسان » .. وقد وصفها تولستوى بأنها « أقوى قصة فرنسية طويلة بعد (البؤساء) ! » .. بل بلغ من اعجابه بها انه ترجمها الى اللغة الروسية بنفسه !**

والحق ان « موباسان » قد صور فى هذه القصة ، بقلمه الجرىء - وببراعة أذهلت معاصريه انفسهم واستثارت اعجابهم ، بل غيرتهم ! - خلجات الظمأ النفسى ، والجوع الحسى ، وخيبة الأمل ، فى قلب فتاة غريرة ألقت بها الاقدار فى عالم « البالغين » ، القاسى الذى لا يرحم .. واذا نحن نرى ، كما فى شريط سينمائى ، حياة بطلة القصة « جين دى فود » مذ غادرت دير « الساكريكير » - تملأ خيالها أحلام العذارى وأوهام المراهقين ، وتتاهب للنزول الى دنيا الرجال ، بكل أعاصيرها ودواماتها ! - الى أن ألقت بها أمواج الحياة والتجارب على الشاطىء الآخر ، تلهث من فرط ما قاست من الرجال ، ومن انانية الرجال !

نعم ، من انانية الرجال ! .. فالقصة صرخة واقعية جريئة ضد هذه الانانية ، وانتصاف للمرأة من ظلم الأوضاع الاجتماعية التى تفرض عليها الاستكانة ، والخنوع للطمات الرجل الذى يعبث بها .. بل تفرض عليها ان تشهد - مكتوفة اليدين - خيانات الصنم الذى أحبته ، وعبدته !

وقد نفذ « موباسان » وهو يعالج القصة الى أعماق قلب المرأة ، فجرده من كل رياء أو تظاهر كاذب ، وعرضه كما هو - على حقيقته - عرضا صادقا جريئا قد يصدم الرجال ، لكنه سيصدم النساء صدمة أشد .. فلسوف يطالعن فى هذه القصة صورة نفوسهن ، كما يطالعن صورة اجسامهن فى المرآة !

تلك هى القصة التى ازمع ان اقدمها لك بعون الله فى خلال أيام ، منقولة الى العربية لأول مرة ، بنصها الكامل .. ومسبوقة بفصل شائق جديد عن قصة حياة مؤلفها ، الذى عاش أياما حافلة ، مترعة ، وشرب الكأس حتى الثمالة !

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفـدت

الكتب الستة الاولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ،والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ،والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » والسابع والعشرون « **ترويض النمرة !** » والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » والخامس والثلاثون « **سالومى** » والسادس والثلاثون والسابع والثلاثون

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص أجر البريد (المسجل) ماعدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمن كل منهما عشرون قرشا . وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملحوظة :** ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين — **٢ ـ ذات الثوب الابيض**

٣ ـ الخالدون — **٤ ـ الخاطئـة**

وثمن كل من الاول والرابع عشرون قرشا خالص أجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش



نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

جنة الطبيعة الضاحكة .. فى اقليم « التيرول »

◆ فى العدد الماضى زرنا معا مدينة الجندول (البندقية) ، ثم غادرناها بالاوتوكار فى طريقنا الى النمسا ، متسلقين بالسيارة ذلك الشريان المتعرج عبر جبال الالب ، تحف بنا الغابات التى تكسو سفوحها .. والقرى الجميلة المتناثرة عليها .. والمياه الفضية المنبثقة من صخورها ، والمنحدرة الى بطون الاودية فى جداول وغدران صافية شفافة .. حتى أفضى بنا ذلك الطريق الساحر الى مصيف ايطاليا الجبلى المشهور « كورتينا دامبيتزو » عروس اقليم (دولوميتى) الشمالى

واليوم نواصل رحلتنا الى اقليم التيرول الساحر ، بقسميه الايطالى والنمسوى ، ثم نزور عاصمته « اينزبروك » ، وضواحيها الجبلية الخلابة

مدينة داخل « فترينة » !

◆ **دخلنا** (كورتينا) ساعة الظهر ، لكن الشمس كانت محتجبة ، والسماء تمطر رذاذا خفيفا يداعب الوجوه . وكان الطقس اشبه بطقس مصر فى أواخر نوفمبر – رغم اننا كنا فى أغسطس – فاحتمينا فى أحد المقاهى حتى كفت السماء رذاذها ، ثم خرجت أقوم بجولة فى البلدة .. **فخيل الى اننى أرى تصميما أنيقا للبلدة موضوعا داخل « فترينة » زجاجية !.. الشوارع نظيفة مجلوة ، والبيوت والفنادق ذات الهندسة العصرية والالوان الزاهية تشبه قطع « الجاتو » أو « الطورتة » المزينة بالزخارف والفواكه .. والحوانيت آية فى جمال العرض والتنسيق .. والمقاهى عامرة بالسائحين والمصطافين ، والعابرين .. ومن وراء ذلك كله قمم الجبال المدببة التى أقيمت البلدة على احدى هضابها** . وأمام واجهة احد المتاجر وقفت أتأمل مجموعة رائعة من « النجفات » الكهربائية المصنوعة من الخشب ، فى نماذج بديعة تنم عن ذوق جميل وفن متقن – ولست أرى لماذا لاتعترف الاسواق المصرية بغير النجفات المعدنية والبللورية !–

ورغم وفرة الاخشاب فى تلك المناطق الجبلية العامرة بالغابات، فان أسعار المصنوعات الخشبية فيها غالية الثمن نسبيا ، من فرط دقة صنعها واتقان هندستها الفنية ..

وكورتينا مشتى أكثر منها مصيفا ، فهى من أشهر مراكز رياضة الشتاء فى شمال ايطاليا ، ويجرى فيها كثير من المسابقات الرياضية الدولية ، كما تعقد فيها المؤتمرات ، واستعراضات الأزياء ، والحفلات الموسيقية ، والمباريات الدولية ذات الجوائز الادبية والعلمية .. الخ - وفى مثل هذه المواسم تزدحم كورتينا بأضعاف سكانها الاصليين، الذين لا يزيد عددهم على ١٢٫٥٠٠ نسمة - وبالبلدة مصعدان طائران يقلان روادها



منظر عام لبلدة كورتينا الجبلية (ارتفاع ١٢٢٤ مترا) وخلفها أعلى قمم الالب فى تلك المنطقة (ارتفاع ٣٢٤١ مترا)



أحد شوارع (كورتينا) وقد ازدحم بالسائحين ، وفى المقدمة سيدة مصرية ممسكة بكلب « تيرولى » ضخم من الكلاب المعروفة باسم « سان برنار »

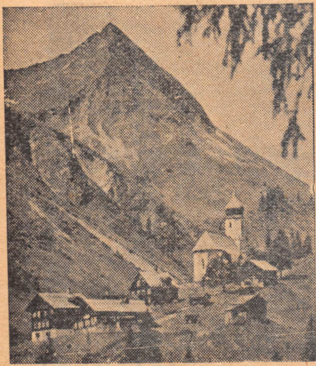
الى القمم العالية التى يبدأ منها انزلاق المتزحلقين على الثلج ، ويبلغ ارتفاع احداها ٣٢٤٣ مترا ، فى حين ترتفع كورتينا ذاتها عن سطح البحر نحو ١٢٠٠ مترا٠٠ **وبفضل هذه الرياضة ، والهواء الجبلى ، ترى وجوه أهل البلدة متوردة توحى بالصحة والعافية ٠ ويساهم فى هذا التورد أن القوم يشربون نبيذهم الممتاز مع الطعام بدل الماء ، بحيث لو طلبت قدحا من الماء وأنت تأكل ، وقفت الساقية أمامك برهة تستفسر عما اذا كانت لم تخطىء فى فهم طلبك!**

وبعد ساعتين ونصف ساعة من وصولنا الى كورتينا ، حان موعد تحرك الأوتوكار لاستئناف الرحلة ، ثم انطلق يتلوى بين الجبال فى طريق يحف به الجمال والابداع فى كل شبر منه ، وتمتزج فيه فتنة الطبيعة بجبروت هندسة المعمار التى تتجلى فى أكثر من مظهر من



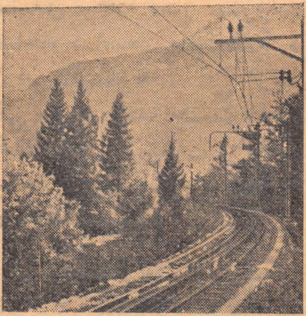
المياه المنبثقة من الجبال وقد سالت الى قاع الوادى وتجمعت فى مجرى شفاف

المظاهر التى تتخلله : سواء فى خطوط السكك الحديدية الجبارة التى مهدت لها الطرق وثبتت القضبان على حافة الجبال الشديدة الانحدار وعلى شفا هاوية لايبين لها قرار ، أو شقت لها الانفاق الطويلة التى تمتد ميلا أو أميالا فى قلب الصخر !٠٠ أو يتجلى ذلك الجبروت الهندسى فى محطات الانزلاق على الجليد المنشأة فوق أعلى قمم الجبال ، وتتألف من سلالم شاهقة الارتفاع تمتد فى الفضاء عشرات الامتار ،



فى الطريق بين ايطاليا والنمسا : الدور الانيقة متناثرة على سفوح الجبال

وترتكز على عدة أعمدة ثبتت قواعدها فى مواضع من الجبل شديدة الانحدار أو سحيقة البعد فى بطن الوادى بحيث يصعب تصور المشقات الرهيبة التى اكتنفت اقامتها !



جمال الطبيعة وجبروت المدنية : خط حديدى أنشىء على حافة الجبل، على ارتفاع ألفى متر عن الهاوية !

طابع القرى النمسوية

◆ **واقتربت** السيارة من الاقليم الذى كان جزءا من التيرول النمسوى قبل الحرب العالمية الاولى ، ثم انتزعته ايطاليا من جارتها على أثر انتصار الحلفاء سنة ١٩١٨ . **وقبيل الوصول اليه كان الطريق يبدو شاهق الارتفاع ، بحيث كنا نسير فوق السحاب ، كما كانت البيوت المتناثرة وسط**



منظر عام لبلدة (ايجلز) ، الضاحية الجبلية لمدينة (اينز بروك) عاصمة التيرول

الغابات على سفوح الجبال تبدو أعلى من بعض السحب المتمشية فوق هوة الوادى السحيق .. ثم لم يلبث المنظر كله أن تغير، وكأنه شريط سينمائى قد استبدل ، فاذا نحن نسير وسط مساحة شاسعة منبسطة من الارض المستوية - على ارتفاع ألفى متر - وقد اجتثت غاباتها وخططت الى متنزهات من الخضرة اليانعة ، وشوارع وممرات جميلة التنسيق !

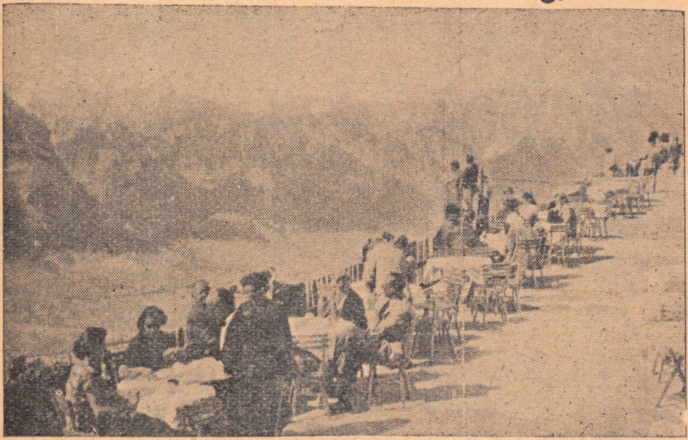


الشعب الضاحك : فلاحة نمسوية فى الزى التيرولى الجميل الذى ترتديه فى الاعياد

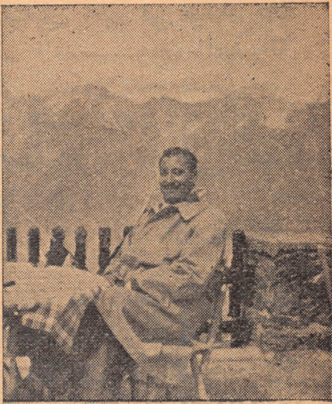
ثم وصلنا الى قرية (برونيكو) ، أولى قرى ذلك الاقليم الذى انتزع من النمسا على أثر هزيمتها ، فاذا الطابع النمسوى فيها يلفتك لأول وهلة ،

متمثلا فى تمثال ضخم لأحد الموسيقيين أقيم فى ميدان عند مدخلها .. وبدأنا نرى مظاهر شغف النمسويين الهائل بالازهار ، وهى ظاهرة تلفت النظر بشكل ملحوظ فى جميع مدن النمسا وقراها بلا استثناء، حيث لا تجد نافذة فى منزل أو كوخ ، فى الريف أو الحضر ، الا وبها أفريز خارجى رصت فيه أصص الازهار المتباينة الالوان على نسق جميل !.. كما لا تخلو قرية نمسوية من برج شاهق به ساعة كبيرة ترشد سكانها جميعا الى الوقت ..

والظاهرة الثالثة التى تدلك على أنك قد دخلت فى الحدود النمسوية - سواء القديمة أو الجديدة - هى فتيات الحانات اللواتى يرحبن بك على أبواب مقاهيهن فى كل قرية ، وقد ارتدين مراولهن الناصعة البياض ، وافترت ثغورهن عن بسمات المرح والبشر ، وكاد الدم يطفر من وجناتهن المتوردة كثمار الخوخ الناضجة !



مقهى فندق (باتشر كوفل) ، يشرف من ارتفاع ألفى متر على الوادى السحيق


المحرر فى مقهى (باتشر كوفل) فوق احدى قمم الالب

وثمة ظاهرة رابعة عجبت لها أيضا ، ودلتنى على مبلغ تدين ذلك الشعب وتعلقه بالروحيات ، هى تلك التماثيل للعذراء والمسيح ، التى أقيم واحد منها فوق احدى الصخور المشرفة على الطريق ، كل ميل أو ميلين ، داخل مايشبه البوابة المقوسة أو «الكنيسة» الخشبية الصغيرة • وقدأدهشنى أن أرى تلك التماثيل تبدأ ، بالضبط ، من أولى مراحل الحدود التى كانت تابعة للنمسا ، فى حين لم يقم تمثال واحد منها خلال مئات آلاميال التى قطعناها فى أرض ايطاليا - بلد « البابا والفاتيكان، وعاصمة الكثلكة !»

والظاهرة « النمسوية » التالية ، هى حوانيت «التحف» الفنية ، التى يوجد واحد منها على الاقل فى كل قرية من القرى، مهما صغرت أو قل شأنها !

على أن أعجب ما يشاهده المسافر فى تلك المنطقة ، مقهى صغير مقفر فى قلب غابة مشرفة على الطريق ، زود بمقاعد فاخرة من الالومنيوم الملون ، من أحدث طراز ، لا يوجد له مثيل الا فى أرقى مقاهى العواصم الكبرى !

الى قمة الجبل بالمصعد الطائر !

◆ **وقبيل** الغروب تصل السيارة الى ممر (برينر) المشهور - الذى كان يلتقى فيه هتلر وموسولينى قبيل الحرب الاخيرة - وهو مضيق جبلى يفصل بين الحدود الحالية لكل من ايطاليا والنمسا •• وهناك يتوقف الركب فترة ريثما

يفحص المسئولون جوازات السفر ويختمونها .. ثم تستأنف السيارة سيرها الحثيث فى طريق يطل على هاوية سحيقة ، حتى تصل بعد نحو خمسين دقيقة الى مشارف مدينة (اينزبروك) ، عاصمة التيرول النمسوى .. بعد احدى عشرة ساعة من القيام من (البندقية)

وفى أعقاب رحلة طويلة كهذه ، يحسن أن نرجىء الى الغد جولتنا فى أنحاء المدينة ، كى نقضى ليلتنا فى ضاحيتها الهادئة (ايجلز) ، التى تبعد عنها نحو ٤ كيلو مترات ..



ساقية المقهى الجبلى ، تخدم رواده فى زيها الانيق ، بمرح شعبها الضاحك



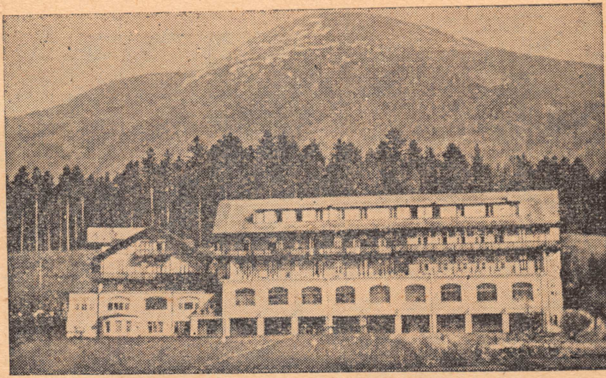
كناس تيرولى ظريف فى زيه القومى، يكنس الطريق المؤدى الى المصعد الطائر بضاحية (ايجلز)

وللوصول الى (ايجلز) وسيلتان : الاولى هى الترام ، الذى يقطع المسافة فى نحو ثلث ساعة ، يتسلق خلالها طريقا جبليا تحف به غابات الصنوبر الكثيفة .. والوسيلة الثانية هى « الاتوبيس » ، الذى يسلك طريقا شديد الانحدار ، يطل على مناظر رائعة الجمال ..

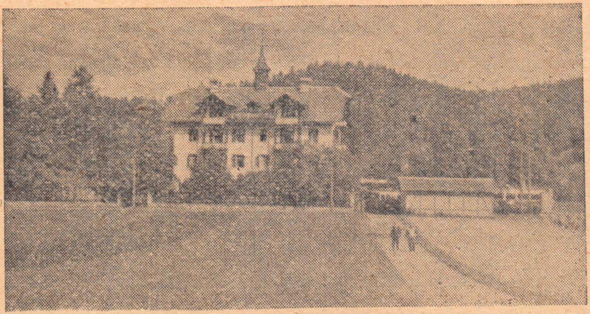
وترتفع (ايجلز) عن سطح

البحر ٩٠٠ متر ، وتمتاز بطقس صحى وهدوء شامل يجعلانها مقصدا « عالميا » لطلاب الاستشفاء والاستجمام ٠٠ فأنت فى شهر أغسطس مثلا تتدثر بثياب شتوية ، وبلحاف سميك من ريش النعام عند النوم ! ٠٠ لكنك تستيقظ فى الصباح فاذا الشمس الدافئة تشرق على الريف الجميل المحيط بك ، والديكة تتصايح فى الحقول القريبة !

واذا كنت من هواة الرياضة، فأنت لابد واجد فى (ايجلز) بغيتك من ألعابها الشائقة : ففى الشتاء تغدو البلدة مركزا هاما لممارسة رياضة الانزلاق على الجليد ٠٠ كما ان بها ملاعب ممتازة للجولف والتنس ٠ ويستطيع عشاق السباحة أن يرضوا هوايتهم فى بحيرة (لانزر زى) الصافية٠٠الخ ٠٠ ومن هنا يتهافت على (ايجلز) عدد كبير من السائحين ، سواء فى الصيف أو الشتاء ٠ وقد أعدت لاستقبالهم فنادق كثيرة مختلفة ، منها ما هو فى مرتبة أفخم فنادق الدرجة الاولى ، ومنها الغرف المتواضعة المفروشة ٠٠ الخ



أحد الفنادق الكبرى بضاحية (ايجلز) بالتيرول ، وخلفه غابات الصنوبر



الفندق الخلوى الصغير المطل على بحيرة (لانزر زى) ، وأمام بابه الترام الذى يربط الضاحية بمدينة (اينز بروك)

وفى (ايجلز) محطة للمصعد الطائر ، تستقله منها الى قمة « باتشركوفل » التى يبلغ ارتفاعها ألفى متر ، والتى يقطعها المصعد فى ٢٥ دقيقة ، وقد انشىء هذا الخط عام ١٩٢٨ وتبلغ زاوية انحدار المصعد أثناء هبوطه أو صعوده ٤٠ درجة ٠ وفى أعلى القمة فندق به مقهى يشرف على منظر خلاب للوادى السحيق ٠ وفى شرفة المقهى جهاز منظار مكبر يريك دقائق وتفصيلات المناظر البعيدة التى تقع على مرمى بصرك ٠٠ وعلى مسيرة ٣ دقائق من الفندق يوجد كوخ « اتحاد رواد



مقهى هادىء من مقاهى (ايجلز) ، والى جواره الجبل الشامخ تكسوه الخضرة والغابات

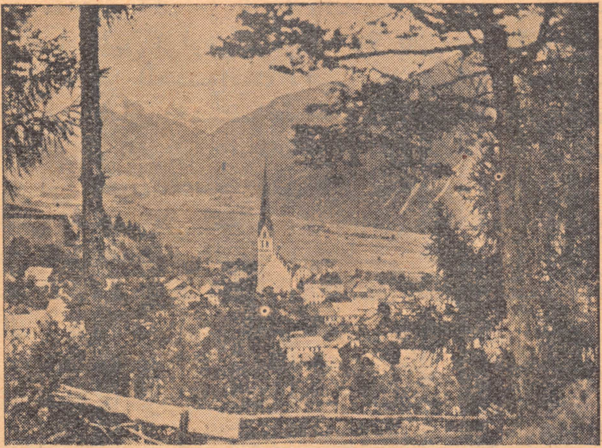
الألب » ، الذى يستريح فيه متسلقو الجبال من اعضاء ذلك الاتحاد ٠ وفى اسفل تلك البقعة تقع « حديقة الألب » التابعة لجامعة اينزبروك ، وفيها مجموعة نادرة من نباتات الالب تستحق المشاهدة ، وقد أباحت الجامعة الدخول الى الحديقة بالمجان ٠٠

وقد مهدت السلطات طريقا آمنا يستطيع هواة التسلق ان يسلكوه للوصول الى اعلى قمم جبال الالب فى تلك المنطقة ، ويستغرق تسلقه نحو ثلاثة ارباع الساعة ٠ لكن المنظر الرائع الذى ينفسح أمام الناظر من فوق تلك القمة ، يعوضه عن المشقة التى تكبدها فى الصعود اليها ٠٠

وفى الشتاء ، عندما يكسو الجليد الجبال ، تبدو بعض القمم العليا المغطاة بالثلج ، أشبه بالحراب المدببة ٠٠ بينما تصبح بعض المنحدرات ناعمة ملساء كبساط من الحرير ،



من علامات تعلق النمسويين الشديد بالدين ، هذه المظلة الصغيرة التى تظلل تمثالا للمسيح المصلوب ٠ وفى أقليم التيرول مئات من هذه المظلات تصادف المار ، سواء فى الحقول أو فى طريق المسافرين



منظر عام لمدينة (اينز بروك) كما تبدو من الترام الذى يسير بينها وبين (ايجلز) خلال غابات الصنوبر

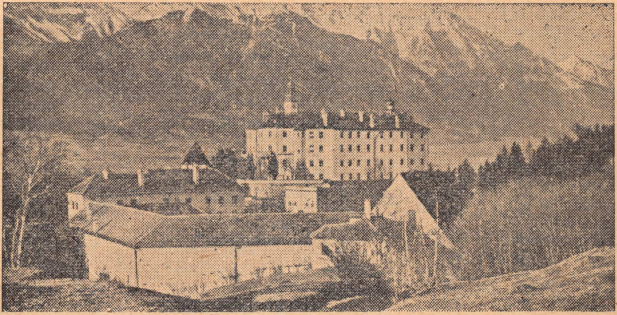
تحف به اشجار الصنوبر من الجانبين ، فيؤمها عندئذ هواة الانزلاق كى يمارسوا عليها رياضتهم المحببة ٠٠ وهم فى سبيل ذلك يستعذبون كل مخاطرة ومشقة ، وقد شق اخيرا ميدان جديد للتزحلق وسط الغابات ، وأعد للوصول اليه مصعد مؤلف من مقعد واحد مكشوف فى الهواء ، اشبه بمقعد الارجوحة ، يحمل الجالس عليه مسافة ثلاثمائة متر على وجه التقريب ، معلقا بين السماء والهاوية !

جولة تسكع ٠٠ ونزهة فى حقول التيرول

◆ **والآن** تعال نهبط بالمصعد من قمة (باتشر كوفل) عائدين الى (ايجلز) ، لنقوم بجولة فى شوارعها الهادئة النظيفة ، مارين ببعض فنادقها ومقاهيها ـ التى تعزف فيها الجوقات الموسيقية اعذب الالحان ـ ثم بدار البريد ، كى

نرسل مقالا أو أكثر الى قراء «كتابى» ، وبضع بطاقات محملة بعطر هواء الجبل الى أرض الوطن .. **ولا بأس بعد ذلك من جولة « تسكع » بين الحوانيت ، حيث تلذ مشاهدة معروضاتها المحلية من اطباق الحائط الخشبية التقليدية التي تحمل طابع التيرول العريق .. فاذا فرغنا من جولتنا فلنقم بنزهة خلوية فى الحقول الممتدة بين ايجلز وبحيرة (لانزر زى) ، فالطقس الخريفى المنعش ، والشمس الدافئة العذبة ، وأريج غابات الصنوبر القريبة ، ومنظر الدور و « الاكواخ » الانيقة المتناثرة وسط الحقول ، والفنادق الخلوية المبعثرة هنا وهناك ، كل ذلك يغرى بالمشى الطويل ويحببه الى النفس ..**

وها نحن قد عدنا الى فندقنا الخلوى المطل على البحيرة ، فلنلق نظرة على الزوارق القليلة التى تتهادى براكبيها على صفحتها الساكنة ـ ونطلق زفرة حسرة لضيق الوقت الذى يحرمنا من الاستمتاع بمباهج الاسترخاء والتبلد ، حتى خلال الرحلة التى كان القصد منها الاستجمام والراحة ، فانقلبت بقدرة قادر الى « بعثة » دراسة وتعب وعجلة تلهث منها الانفاس ! ـ ثم لنحمل حقائبنا ونهرع لنلحق بالترام الوحيد



قصر « امبراس » ، فى احدى ضواحى (اينزبروك)



منظر عام لشارع « ماريا تيريزا » ، الشارع الرئيسى فى « اينز بروك » ، وفى نهايته يبدو الجبل الشامخ جاثما على المدينة بصورة نادرة المثال

الذى يقلنا من تلك البقعة الجبلية النائية ، ومن امام باب الفندق بالضبط ، الى المدينة الراقدة فى احضان الجبل تحت مستوانا بنحو اربعمائة متر : اينزبروك . (وحذار ان يفوتنا ذلك الترام المرموق، فانه ذو دلال عجيب ، لا يمر الا كل نصف ساعة مرة ، بحكم قلة عدد سكان تلك الضاحية الهادئة)

وعلى ذكر الحقائب ، أكذب اذا زعمت اننى استطعت حملها بنفسي مسافة العشرين أو الثلاثين مترا التى بين ردهة الفندق ومحطة الترام ـ رغم ان هذه هى عادة القوم هناك ، بحكم قوتهم الفولاذية ، وعدم وجود حمالين ـ ومن ثم فقد رأيت ، اخفاء لعجزى عن « حمل الاثقال » ، ان اصطنع « الارستقراطية » فأقف فى الردهة مشيرا الى « الميتر



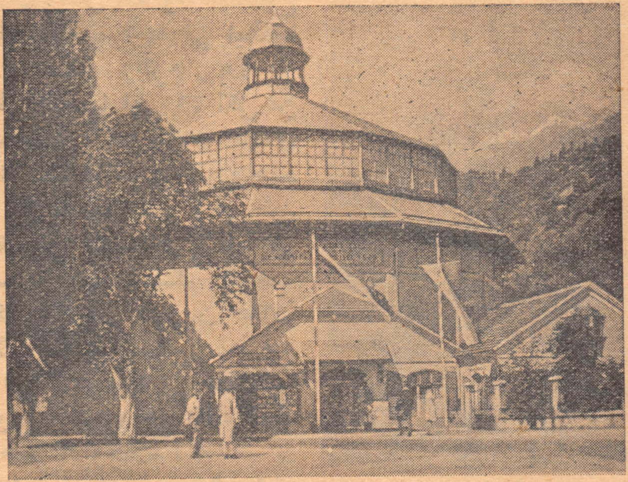
قوس النصر بعاصمة التيرول ، وخلفه الجبل الاشم ، حامى المدينة

دوتيل » كى يكلف احدا بحمل الحقائب الى الخارج ٠٠ وكم أحسست بالخجل ، والعجب الذى تفغر له الافواه ، حين تقدمت احدى خادمات الفندق ـ والخدمة بالفنادق هناك تقع كلها على عاتق النساء ، من فرط نقص عدد الرجال بسبب الحروب وتشغيل الاحياء منهم فى الصناعات الثقيلة ـ تقدمت فحملت فى كل يد حقيبة ينوء بثقلها الرجال ، لكثرة ما فيها من كتب ومطبوعات ، ثم سارت بالحقيبتين فى خفة ونشاط عجيبين ، وكأنها لا تحمل شيئا غير جسمها الثقيل ، نسبيا ـ ولا سيما بالنسبة الى نساء باريس النحيلات !

أزمة « رجال » فى النمسا ٠٠

◆ **ونساء** النمسا ، حتى بين الطبقات العاملة الفقيرة ، تميل اجسامهن الى البدانة والقوة الملحوظتين ، الى درجة تبدو معها وجوههن ـ دون مساحيق ـ كأنها طليت بطبقة كثيفة من الحمرة !٠٠ **وعلى ذكر نقص الرجال فى تلك البلاد المنكوبة بالحروب ، تدل الاحصاءات الرسمية على أن نسبة افراد الجنسين هى ١١٦ امرأة مقابل كل ١٠٠ رجل (وفى « فيينا » ترتفع نسبة النساء الى ١٣٠)** ٠٠ ومما يوضح مدى ما تفقده النمسا فى الحروب من رجالها وشبابها ، ان عدد الذكور فى السن التى تتراوح بين يوم الميلاد والعام السابع عشر ، ـ

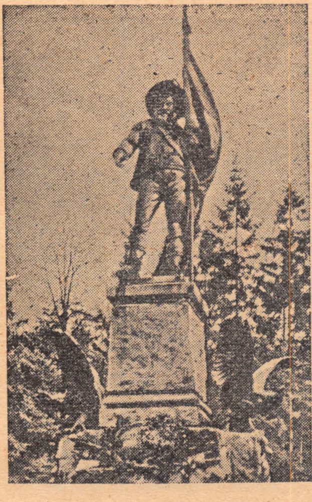
أى الى ما قبل سن الخدمة العسكرية - « يفوق » عدد الاناث ، فقد بلغ الذكور فى آخر احصاء ٩٣٨ الفا ، مقابل ٩٠٥ آلاف انثى فى السن المذكورة .. فاذا ما انتقل الاحصاء الى عدد افراد الجنسين فى السن بين ١٨ ، ٥٩ عاما ، انقلب الميزان الى الكفة العكسية ، فبلغ عدد النساء مليونين و ١٨١ الفا ، وهبط عدد الرجال الى مليون و ٨٢٢ الفا فقط ! .. وتزيد النسبة تباعدا بين الجنسين فيما بعد سن الستين (أى بين افراد الجيل الذى خاض الحربين العالميتين ، لا الحرب الاخيرة فقط) فيبلغ عدد النساء ٦٢٨ الفا ، ويهبط عدد الرجال بنسبة أكبر الى ٤٥٥ ألفا ، أى بنسبة اثنين الى ثلاثة تقريبا ، وهى نسبة مروعة !



البناء الذى شيد خصيصا لترسم على جداره من الداخل لوحه واحدة دائرية لمعركة « جبل ايزل » الوطنية التى خاضتها (اينز بروك) ضد جيوش نابليون

وظاهرة اخرى توضح فداحة كوارث الحرب ، هى ان عدد سكان النمسا لم تطرأ عليه زيادة تذكر خلال الاربعين عاما الماضية ، فقد كان تعدادهم فى سنة ١٩١٣ (قبيل الحرب الاولى) ٦ر٧٦٠ر٠٠٠ ، وفى سنة ١٩٣٧ (بعد تلك الحرب الاولى ، وقبل الثانية) ٦ر٧٥٠ر٠٠٠ ـ فاذا به فى سنة ١٩٥٢ (بعد الحرب الاخيرة) ٦ر٩٠٠ر٠٠٠ ، أى بزيادة ١٤٠ الفا فقط خلال نحو نصف قرن . (فى حين تضاعف سكان مصر تقريبا خلال المدة ذاتها !)

ومتوسط سن الزواج فى النمسا بالنسبة للمرأة هو الخامسة والعشرين ، وعند الرجل الثامنة والعشرين (وهى نفس النسبة فى ايطاليا تقريبا ، رغم ان السن القانونية المسموح بزواج الاناث فيها فى ايطاليا هى ١٥ سنة ، والرجال ١٨ . . اما فى النمسا فهى ٢١ لكل من الجنسين) . أما حالات الطلاق فى النمسا فنسبتها حالة واحدة بين كل ٦ زيجات . (فى حين ان الطلاق محرم بتاتا فى ايطاليا بحكم المذهب الكاثوليكى) . وبين حالات الطلاق عند النمسويين ، يرجع ٤٤ فى المائة منها الى خطأ الازواج ، و ١٢ فى المائة فقط الى خطأ الزوجات !)



تمثال للبطل « اندريا هوفر » قائد الوطنيين النمسويين فى معركة «جبل ايزل » ضد نابليون

والعجيب انه رغم تطابق تعداد السكان فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٥٢ ، فان عدد الزيجات



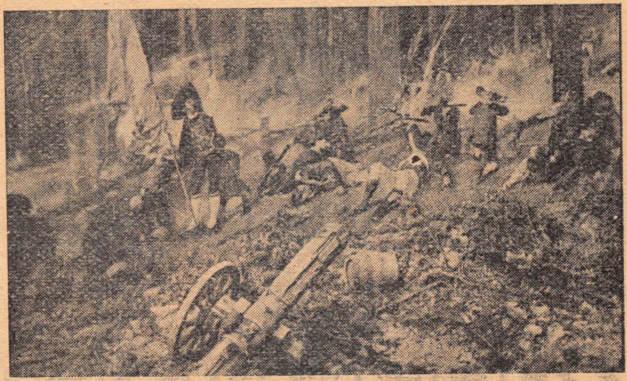
جانب من اللوحة الدائرية الرائعة التى تصور قتال النمسويين ضد جيوش نابليون

التى عقدت فى عام ١٩٣٧ كان ٤٦ الف زيجة ، أما فى عام ١٩٥٢ فقد زاد العدد الى ٦٣ الف زيجة .. الامر الذى يدل على ازدياد الاقبال على الزواج - والاعراض عن العزوبة - فى تلك البلاد بنسبة نحو خمسين فى المائة !

خمس أطفال النمسا .. غير شرعيين !

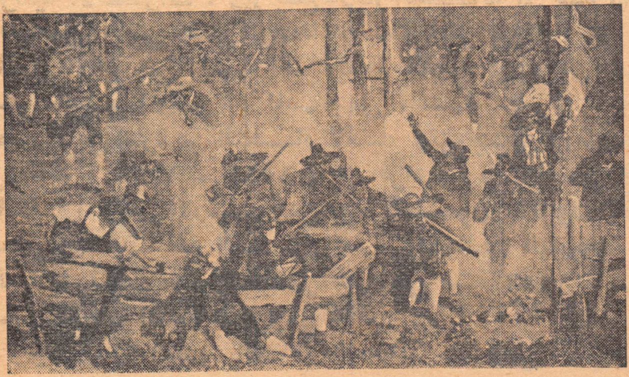
◆ **وبمناسبة** حديث الزواج والطلاق ، أثبت الاحصاء الاخير أن ١٨ فى المائة من الاطفال الذين يولدون فى النمسا ، غير شرعيين ! .. وهى نسبة مروعة بالنسبة لبلاد الشرق ، بل بالنسبة لبلد غربى أوربى مثل ايطاليا ، حيث لم يزد عدد الاطفال غير الشرعيين فى الاحصاء الاخير عن ٤ر٣ فى المائة فقط !

ويزداد الاتجاه الى تحديدالنسل فى الاسرات النمسوية ازديادا واضحا ، ففى سنة١٩٠١ كان متوسط المواليد بين كل ألف من السكان ٣١ طفلا، فهبطت هذه النسبة فى عام ١٩٥١ الى ١٤ طفلا فقط ٠٠ويقابل هذا النقص فى المواليد نقص مماثل تقريبا فى الوفيات، التى هبطت خلال المدة ذاتهامن ٢٢ فى الالف الى ١٢ ٠



جزء آخر من اللوحة الواحدة الجبارة التى تصور قتال حماة (اينز بروك) ضد الغزاة الفرنسيين

والى جانب النقص فى الوفيات، توجد ظاهرة مكملة لها من حيث دلالتها على تقدم الطب والصحة العامة ٠٠ فخلال العشرين عاما المنصرمة (من سنة ١٩٣٠ ـ ١٩٥١) هبطت وفيات الاطفال من ١٠٤ فى الالف الى ٦١ فقط ٠٠ ولكن ، فى مقابل هذا النقص فى الوفيات بسبب تقدم الطب ، تدخلت الاقدار كى تعيد توازن كفة البقاء والفناء ، لمصلحة « عزرائيل » ، فهلك فى الحرب الاخيرة من المحاربين أكثر من ربع مليون ـ منهم ١٥٠ ألف



قطاع ثالث من اللوحة العجيبة ، يمثل القتال الدائر خلف المتاريس بين الجيشين . وفى جانب من الصورة القائد « اندريا هوفر » يستحث جنوده على الاستماتة فى الدفاع

قتيل ، و١١٧ ألف مفقود - كما هلك من المدنيين ٢٤ ألفا ، يضاف الى هؤلاء وأولئك ١٢٠ ألف شخص بتر عضو من كل منهم ، و ٣١٣ ألفا غير لائقين للخدمة العسكرية

ولأرجىء الحديث عن النواحى الاخرى من الحياة الاجتماعية فى النمسا الى فصل آخر ، كى أعود من هذا الاستطراد الى حيث وقفت بك من سياق الرحلة ، وأنا أهم بركوب الترام من (لانزر زى) فى طريقى الى اينزبروك .

القصر الذى شيدته أجمل نساء عصرها !

◆ **حدثنى** جارى خلال الطريق عن مكان شائق أستطيع أن أعرج عليه فى طريقى الى عاصمة التيرول ، هو قصر « أمبراس » ، فعهدت بحقائبى الى « كمسارى » الترام كى يودعها بمكتب الامانات عند نهاية الخط ، وهبطت فى أقرب محطة تؤدى الى القصر .. **فاذا هو يقوم وسط حديقة رائعة**

مترامية الاطـراف ، ويرجع تاريخ انشـائه الى عهد أسرة «أنديخس » التى أسس أفرادها مدينـة اينز بروك ٠ على ان الفضل الاكبر فى تشييد أكثر أجنحة القصر يرجع الى امرأة تدعى « فيليبينا ولسر » ، كانت أجمل نسـاء عصرها ، وقد انحدرت عن أسرة من التجـار الاغنياء وتزوجت من الارشيدوق فرديناند (١٥٢٧ ـ ١٥٩٥) أحد أفراد أسرة « هابسبورج » المالكة ٠٠ وكان الارشيدوق من هواة الفنـون ، فزود القصر بمجموعات هائلة من الكنـوز الفنية والاسلحة التاريخية ٠ وقد أعيد تنظيم محتويات القصر أخيرا فى سنة ١٩٥٢ ، على نسق المتاحف الفنية الكبرى فى العالم

وتبدأ زيارة القصر بالقـاعة «الاسبانية» ، وهى أقدم قاعة كبرى بنيت عـلى طراز عصر النهضة فى أوربا الوسـطى (عام ١٥٧٠) ٠ ويبلغ طولها ٣٣ قدما وعرضها ١٤ ، وتزينها ٢٦ لوحة بالحجم الطبيعى لأمراء التيرول ٠٠ ويلى هذه القاعـة قاعة التماثيل ، وبهـا تحف رائعة على الطراز القوطى ٠٠ ثم قاعة الاسلحة ، وبها نمـاذج بالحجم الطبيعى للمحـاربين فى مختلف العصـور ، ولشتى الاسلحة التى كانوا يستخدمونها ٠٠ كما يوجد نموذج مجسم نادر لمعركة محتدمة من معارك الحروب القديمة !

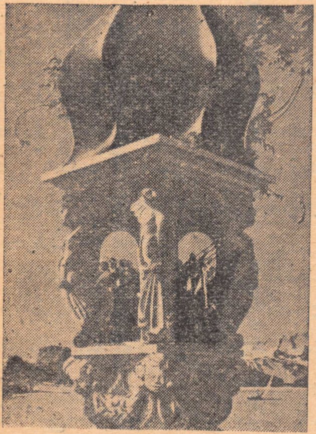


لوحة جميلة ترمز لاقليم التيرول ، تمثل غلاما فى زيه القومى ، يعزف على «الفلوت» وأمامه كلبه ، وخلفهما جبال الالب

والآن تعال نغادر القصر لنزور عاصمة التيرول ٠ ٠

الشارع الذى يجثم عليه الجبل!

◆ **يقف** بنا الترام القادم من الضواحى فى أحد اطراف العاصمة ، حيث نهبط منه لنستقل تراما آخر يفضى بنا بعد دقائق الى الشارع الرئيسى فى اينزبروك ، أو عصب المدينة كما يقولون ، وهو شارع الامبراطورة « ماريا تيريزا » — وسوف نرى حين نزور (فيينا) كيف يقدس النمسويون ذكرى امبراطورتهم المحبوبة « ماريا تيريزا » ، التى بلغت آمبراطوريتهم أوج مجدها فى عهدها .



تبذل البلاد الاوربية جهودا ضخمة لترغيب السياح فى زيارتها ، وهذه احدى لوحات مصلحة السياحة النمسوية ، وترمز الى ان النمسا بلاد « الرقص والغناء والنساء »

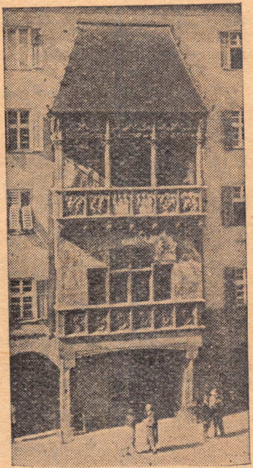
وينفرد الشارع المذكور بطابع عجيب ليس له نظير فى العالم ، هو أن أحد طرفيه تشرف عليه قمة شاهقة من الجبال يبلغ ارتفاعها ٦٠٠٠ قدم، وتتوج الثلوج هامتها حتى فى أشهر الصيف .. ويتوسط الشارع ميدان يقوم فى وسطه نصب شاهق من الرخام الاحمر يطلق عليه نصب القديسة آن، ويعلوه تمثال للعذراء مريم . وقد شيد التمثال ابتهاجا بجلاء قوات الاحتلال أثناء الحرب الاسبانية، وقد تم الجلاء فى يوم عيد القديسة آن ، فسمى النصب باسمها .

« السقف الذهبى ! »

◆ **ويتفرع** من شارع «ماريا تيريزا » شارع أصغر يفضى آلى « المدينة القديمة » ، أو الاحياء العتيقة من اينز بروك ، وهى

أشبه « بخان الخليلى » من حيث ازدحامها بالحوانيت التى تبيع التحف وسائر البضائع بأسعار تقل عن أسعار الحوانيت الكبرى فى شارع ماريا تيريزا ٠٠ لكن الحى المذكور يتسم مع ذلك بالنظافة التامة ،والاتساع النسبى ، ومبانيه العتيقة ذات طابع كلاسيكى جميل ، يشبه بأقبيته وبواباته الطراز القوطى فى هندسة البناء ، كما تحلى حاناته لافتاتها المكتوبة بالخط العتيق ، والمصابيح التقليدية القديمة التى تحتفظ بطابع القرون الوسطى ٠٠

وبين مبانى ذلك الحى ،المبنى المعروف برقم (٣٥) ، وقد زينت واجهته برسم للنسر الامبراطورى مخضبا بالدم ، ويرجع تاريخ الرسم المذكور الى العهد الذى كان يقطنه فيه « قاضى القضاة »، وقد رسم لمناسبة منح الامبراطور للقاضى المذكور ، فى سنة ١٤٩٥ ، حق اصدار أحكام الاعدام !


« السقف الذهبى » ، الذى يعتبر من أشهر معالم (اينزبروك)

وفى مكان آخر من هذا الحى العتيق يقع « السقف الذهبى » — وهو عبارة عن بروز من بناء على شكل شرفات مسقوفة ، يبلغ ارتفاعه ٥٣ قدما ، وقد حلى سقفه بنحو ٣٠٠٠ صفيحة من النحاس المذهب ٠ **وتقول « الحواديت » ان حاكم المدينة الدوق « فردريك الرابع » قد أضاف هذه الشرفات الى مسكنه ،على أثر ما أشيع عن افلاسه وضياع ثروته ، ثم غطى سقفها بصفائح من الذهب الخالص كى ينفى عن نفسه شبهة الافلاس ، ويتحدى**

خصومه ٠٠ فلما مات جاء خلفه فباع الذهب الذى غطى به السقف المذكور وانفقه على ملذاته ، ثم صنع عوضا عنه السقف الحالى « النحاسى » المطلى بماء الذهب ، والذى يجدد طلاؤه كلما انطفأ، حتى لا تنكشف « الخدعة » ٠

هذه هى الاسطورة ، أما الحقيقة التاريخية فتقول ان الامبراطور « مكسمليان » هو الذى شيد السقف الذهبى فى عام ١٥٠٠ ، احتفالا بزواجه من « ماريا بلانكا سفورزا » أميرة (ميلانو) الايطالية ، كيما يشاهد منه مع عروسه الاستعراضات والحفلات التى تقام فى الميدآن الذى يقع فى مواجهته ٠ ومهما يكن من أمر فالذى لاشك فيه أن السقف المذكور يعتبر تحفة عالمية من تحف فنى المعمار والنحت ٠٠

اللوحة الخالدة لمعركة « جبل ايزل »

• **فاذا** واصلنا طوافنا بمعالم المدينة ، ألفينا أنفسنا أمام بناء دائرى غريب المنظر ٠٠ فلندفع ثمن التذكرة الزهيد وندخل مع الداخلين ، ثم نصعد السلم ٠٠ كى نجد ساحة مستديرة يحيط بها « درابزين » يطل على فضاء عرضه بضعة أمتار ، يفصل بين المتفرج وبين جدار البناء الدائرى العريض ٠٠ **وهنا تأخذ العين مشهدا فريدا فى نوعه : جدار البناء الداخلى ، الذى يبلغ ارتفاعه نحو خمسة أو ستة أمتار ، ومحيطه لا أقل من سبعين أو ثمانين مترا ، مغطى كله بلوحة واحدة متصلة المناظر ، تمثل مشاهد مختلفة من المعركة الوطنية الخالدة التى خاضها فلاحو التيرول بزعامة قائدهم الهاوى ـ صاحب الحانة ـ المدعو « اندريا هوفر » ، ضد جيوش نابليون النظامية التى جاءت ـ فى سنة ١٨٠٩ ـ تغزو بلادهم وتبغى اجتياحها ! (وترى فى صفحات سابقة من هذا المقال صورا لثلاثة من مشاهد تلك « اللوحة » العالمية الوحيدة من نوعها !)**

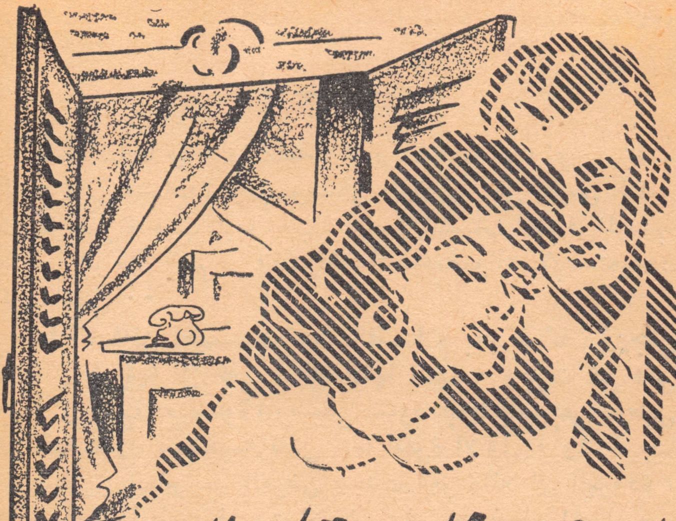
وفى العدد القادم نزور معا « جبل ايزل » الذى وقعت على سفحه تلك المعركة الجبارة ، ونقف على قصتها ٠٠ وبعد أن نلم ببقية معالم اقليم التيرول ، نغادره الى (سالزبورج) ، عاصمة المهرجانات الموسيقية ٠٠ ثم (فيينا) ، مدينة النبيذ والغناء ٠٠ والنساء !



مشارف مدينة (اينز بروك) ، عاصمة التيرول النمسوى ، يشقها
نهر « اينز » الذى اشتق منه اسمها



شارع الامبراطورة « ماريا تيريزا » ، الشارع الرئيسى بمدينـة
(اينز بروك) ، يتوسطه صرح فنى رائع



نافذة .. فى الطابق الثالث



قصة مصرية

بقلم :

محمد عبد الحليم عبد الله

- ١ -

كانت ليلتنا فى أولها هنية ، شاركت فيها أنا وزوجتى مجتمع القاهرة فى مشاهدة فيلم موسيقى ملون أثار فى نفوس الناس من كل سن ماحبب اليها الحب : فأحس الشباب أنهم فى الموسم، وأحس الرجال أنهم فى وقت الحصاد فأغمضوا أعينهم يستعيدون كل مامضى ..

أما أنا فانى أحسست تحت الظـلام بحركة كف زوجتى تتلمس طريقها الى كفى ، فأسلمتها اليها . وجرت فى دمى جنبا الى جنب مع نشوة الموسيقى نشوة عبثها بأصابعى ،وخيل الى أنها عذراء مستحيية تفعل هذا للمرة الأولى . ولما خرجنا الى الطريق العام بعد العرض وجدت الجو مائلا الى البرودة ، والسماء قد أمطرت فلمعت الأرض وغبشت زجاج المصابيح ، وألفيتنى فجأة أمد يدى الى زوجتى بحرص لأضم على صدرها ياقة معطفها .. ولم أنتظر حتى أجد مكانين فى المركبات العامة فأكترينا عربة .

وفتحت باب البيت بالمفتاح الصغير ، ودخلنا ، وكانت الخادم غارقة فى النوم ، وسمعت شخيرها وأنا مار عليها حيث ترقد قريبا من المطبخ فألقيت عليها غطاء اضافيا لأنها كانت مزكومة . ثم عدت الى حجرتى لأخلع ملابسى . وخلعت زوجتى ملابسها وهى توحوح ، ولم تشأ أن توقظ الخادمة من نومها فجهزت لنا عشاءنا بيديها ، وكان خفيفا لذيذا تفننت فيه ..

وعادت السماء تمطر ونحن على المائدة ، ووقعت قطرات الماء على الزجاج المفتوح ، وكنت جائعا ألتهم الطعام بشهية يقظة وذهن نصف نائم ، ومزاج فارقته نشوة الموسيقى وحلاوة السهرة . أما هى ، فقد ظلت كما هى .. يومض كل شىء فيها كما يومض كوكب الزهرة فى سماء الريف ، فى ليلة ظلماء ..

تأكل ، وتضحك ، وتنظر كأنها تسأل عن أفكارى . ثم تسكت قليلا ، ثم تتكلم فتستعيد ماأعجبها فى الفيلم من مواقف ، ثم تترك قدمها لتلمس قدمى من تحت المائدة .. حتى انتهى العشاء .

كل شىء فى كان قد خمد ونحن فى الطريق ، حين بدأت العربة التى ركبناها فى اجتياز ميدان أهم ميزة فيه أن البيوت المطلة عليه تقفر فى وقت باكر كل ليلة لأنها آهلة بعيادات الاطباء . وبدأ قلبى يختلج حين طالعنى فضاء الميدان .. قد يكون هذا الحادث تافها ، ولكننا لانقيس الحوادث الا بآثارها فى أنفسنا نحن ساعة وقوعها ، لأن نظرتنا اليها بعد ذلك قد تتغير .

وأخذت أراقب وجه زوجتى فى ظلام العربة ونحن نعبر الميدان ، وساعدنى شعاع من الخارج سقط عليها فى اللحظة الحاسمة وهى تميل لتنظر الى نافذة فى الدور الثالث ، فى عيادة طبيب . وكان الضوء ينبعث منها على الرغم من أن كل النوافذ حولها مغلقة كأنها أعين غلبها النعاس .

وحولت هذه الحركة مجال أفكارى قهرا . لكن ببســاطة كأنها اشارة عسكرى المرور . فأخذت نشوة الموسيقى تتراجع لتحل محلها مشاكل نشبت فى بيتنا فترة من الوقت ثم اختفت حتى خيل الينا أننا نسيناها . تذكرت يوم فطنت الى أنها تتردد على عيادة هذا الطبيب لضرورة ولغير ضرورة ، وكنت محرجا فى أن أصارحها بعدم ارتياحى اليه ، وهممت ألف مرة أن أقول لها ان أطباء كثيرين من نوعه يملأون المدينة ، لكننى خفت أن أتهم بالشك أو سوء التقدير . فالطبيب أمين ، وهو يصطنع لنفسه الأمانة ان لم تخلقها فيه كثرة مزاولته للعمل . لكننى كنت أعود فأسأل نفسى قائلا : « ألم يحدث أن أعجب أحدهم بجمال امرأة رآها للمرة الاولى وهى مستلقية على سرير

الفحص ؟! » ثم أسكت فلا أجيب ، لأننى شكاك ، ولأننى حين ذهبت للمرة الاولى معها الى عيادته لنطلب من الله بنية أو غلاما ، وفرغنا من عرض المشكلة بالقول وجاء دور الكشف ٠٠ حين حدث هذا وجدتنى مزروعا فى فضاء الغرفة حائرا لا أدرى ماذا أفعل : أأخرج أم أنتظر ؟ وكان الارتباك باديا على زوجتى فألفيتنى فجأة أقفل الباب من خلفى وأنا خارج ٠

والثقة ٠٠ تجعلنا نمنح كل شيء ٠٠ فاذا خدعنا من نثق فيه كنا ملومين اذا كان هناك مفر من منح الثقة ، أما اذا فرضت علينا فرضا فالملوم هو الطرف الآخر ٠٠ أعنى الذى وضعنا فيه ثقتنا !

واستمر العلاج ، ولم تحدث المفاجأة السعيدة لمدة عام ، بل آلت الحال الى أسوأ من قبل حين أصيبت زوجتى بنزيف كلفنا علاجا ونفقات كثيرة ٠

اننا قد نتقزز في بعض الاحيان من أفكارنا ونشمئز منها ، لكننا لانجد مندوحة من أن نسايرها ممسكين بالخيط من أوله حتى نعرف النهاية ، وذلك عندى خير من أن نصادر هذه الافكار لحساب السلامة والراحة وعدم القلق ، والا مرضت بها نفوسنا كما تمرض أجسامنا تماما ٠٠

ثم استعدت النصف الثانى من الحوادث ونحن على المائدة ٠٠

مناقشات كثيرة متفاوتة بين الضعف والقوة ثارت بيننا ، كان أفظع مافيها أنها قالت يوما : « يجب أن تبرىء نفسك من هذه الوساوس لأن المسألة مسألة ثقة ، فاما أن يثق الرجل ٠٠ واما ألا يثق ٠٠ »

ولم تكمل عبارتها ، بل تركت كفيها وعينيها تكمل ما قالت فخيرتنى بين البقاء والفرقة ٠ ولكنى رأيت الحل أشد تعقدا من الاشكال نفسه ، لأن الثقة على طول الخط أخطر من الشك

على طول الخط ، ثم أظهـرت اقتناعها بوجهة نظـرى بمرور الايام ، فاتفقنا ٠



- ٢ -

وكانت تومض وهى على المائدة فى هذه الليلة كأنهـا كوكب الزهرة فى سـماء الريف ، وتضحك وتأكل ، وتهيىء جونا لليل سعيد ٠ غير أنى كنت فى هذه اللحظة أستعيد نظرتها الى النافذة ونحن فى العربة محاولا أن أصل الى حقيقة هذه النفس المتقلبة المثيرة ، وقمت عن الطعام وأنا أذكر آخر الحوادث ٠٠

وكان فى صباح أحد الايام ٠ فتحت يومئذ أحد أدراج زينتها لآخذ شيئا من الجلسرين كنت محتاجا اليه ٠ وكنت متسرعا أريد الخروج فسحبت الدرج حتى آخره ٠٠ ووجدت فيه أشياء كثيرة من التى تخص السيدات ووجدته مفروشا بصحيفة من احدى المجلات ٠ وبينما أنا أفتش فى زحمة الحاجات عن الزجاجة المطلوبة استوقفت نظرى صورة فى قاع الدرج ٠

كانت لخمسة من الشبان بينهم صورة الطبيب ، أخـذت بمناسبة من المناسبات ونشرت فى المجلة ، ثم وقعت فى يدها ، وأرادت أن تحتفظ بها وأن ترى الصورة كل صباح دون أن تثير حولها ريبة فجعلت الصحيفة فى هذا الوضع ٠٠

وارتعت من هذا التدبير ، ووصفت التى نسجت خيوطه بأنها مصيبة وأن فى استطاعتها أن تفتح لرغباتها أبوابا خفية لايحس بها رجل ٠ فجمدت فى مكانى ٠٠ الدرج مفتوح والزجاجة فى

كفى ، ووجهى فى المرآة حائل كالح خائف مخيف ٠ لكننى صممت على أن أسكت ، وأن أراقب ٠

وفتحت الدرج فى الصباح التالى فاذا كل شىء كما هو ، وظل كذلك ثلاثة أيام ثم غيرت الورقة !

كل شىء فى الوجود صالح لأن يغذى الشك ٠٠ الشىء وضده معا طعام نافع ٠ وقد كانت ثورتها تغذى شكى كما كان يغذيه رضاها ٠ ويثيره فى نفسى اهتمامها بى كما يثيره اعراضها عنى ٠٠

ولما تناقشنا فى الأمر عزته فورا الى المصادفة البحتة ٠٠ المصادفة العاثرة التى تجعل العضو المجروح يتعرض للمسات غير المقصودة ٠ وانخرطت فى البكاء واتهمتنى بأنى أعذبها كما يعذب الطفل العصفورة ، وأن هذه المسألة يجب ألا نتكلم فيها من جديد لأن الكلام فيها أشبه بنبش المقابر !

وغاصت المشكلة الى القاع حيث غابت فيه ، حتى مررنا الليلة بالميدان ونحن راجعان من السهرة ٠

وخيل الى أنها مصرة على أن تمحو من نفسى ماأصابها وأن تعيدها الى ماكانت عليه ساعة خرجنا من السينما فضممت على صدرها ياقة المعطف ٠

وفى طبيعة الناس أن يحترموا آلام أنفسهم وأن يدافعوا عنها بحمية فى كثير من الاوقات حتى ليغيظنا أن يحاول شخص اضحاكنا ونحن مهمومون ٠

وخيل الى أن زوجتى تغرينى وأنها تصرفنى عن أشياء يجب أن أقضى الليل مفكرا فيها ، مع أنها لو بدت واجمة لبات الامر أكثر تعقدا وظلمة ٠٠ فانظر كيف أن الشىء وضده طعام صالح لأن يغذى الشك ؟

وثرت فى وجهها فجأة حين أقبلت على بكل مافيها : امرأة تصنع خاتمة سعيدة لسهرة سعيدة ، قضينا شطرها الأول

خارج المسكن ٠ ثرت ، ولا تسأل انسانا كيف ثار ! ورأيتها كأنها جرحت فى كل مكان وأخذت أنوثتها تدافع عن كيانها متحصنة فى آخر خط ، فأدركت اننى مخطىء وأن نوازع كثيرة يجب أن يخفيها الناس عن الناس والا فسدت بيننا الامور ٠

غير أنه لم يكن هناك مجال للرجوع فاشتبكنا فى جدال حاد وطفحت ذاكرة كل منا بما يحمله للآخر من أخطاء ٠٠ ثم لففت نفسى باللحاف حتى رأسى وأخذت أراقب أنفاسى وهى تنتشر على وجهى فتدفئه حتى سرقنى النوم ٠٠

وفطرت فى الخارج وتغديت فى الخارج وجلست خلف زجاج أحد المقاهى أدخن وأشرب القهوة وأرقب المارة بعين بليدة حتى دخل الظلام فوجدتنى أقوم قاصدا الى غير وجهة ، لأننى كنت لا أريد أن أدخل البيت ٠٠ ثم نمت فى الخارج ٠ وفى صباح اليوم التالى رأيتنى مصرا على ما فعلت ، فتغديت فى الخارج ونمت فى نفس اللوكاندة

وهكذا غبت عن المنزل ثلاثة أيام ، وجاءتنى الخادمة الصغيرة فى الديوان فى اليوم الرابع لتقابلنى فقلت لمن أبلغنى : «قل لها تنصرف ! »



وتغديت فى الخارج وبقيت فى الخارج حتى هبط المساء فأحسست بحاجة شديدة للذهاب الى البيت وندمت على أننى لم ألق الخادمة لأسألها عما جد بعد غيابى فقد كان جائزا أن يساعدنى ذلك على الانقطاع فترة أخرى ٠٠

ودققت الجرس ففتحت الخادمة الباب وعلى وجهها دلائل تعب شديد . وبدت عيناها أوسع من المألوف لأن وجهها نقص الى النصف . وأخبرتنى دون أن أسألها أن سيدتها مريضة ، وأن النزيف عاودها . وسألتها عن الطبيب فقالت : « انه جاء .. » ولم ترفع الى عينيها .

ودخلت الى غرفة النوم فى اللحظة التى خرجت منها احدى الجارات لتتوارى فى الحجرة الاخرى . وكان ظهر المريضة فى تجاه الباب ووجهها الى الحائط . وزمر من شعرها الاسود تبدو أكثر حلوكة تحت النور وبين بياض الاغطية ومنديل الرأس . ومددت يدى فأدرت وجهها بحركة لاتخلو من عنف ، وأنا راكع جوار السرير ، فرأيت صفرة المرض قد غطت وجهها وعنقها والجزء البادى من صدرها كذلك . ونجمت فى قلبى حركة لا أعرف ماهى ، فيها قلق وخوف وميل الى التسامح وشىء من الحب ، وأشياء أخرى ! .. لكننى سألتها فى حدة :

ـ هل جاء الطبيب ؟

فانخرطت فى البكاء ورأسها مائل الى الامام يكاد يختفى فى الوسائد . **لكننى حولت بصرى عنها فرأيت مجموعة من الادوية موضوعة على المنضدة الملحقة بالسرير . ورأيت تذكرة طبيب مطوية ، عليها اسم غريمى !**

ولاحت لعينى ورقة أخرى فاذا بها تذكرة طبيب عليها تاريخ اليوم السابق . واستطعت فى هذه اللحظة أن أدرك بوضوح تاريخ التذكرة الاولى وأن أعرف أنها قديمة ، وأنها عرضت على الطبيب الجديد ليراها كما هى العادة ... وجلست على كرسى قريب منهكا كأننى جريت شوطا . وكان بكاؤها قد انقطع لكنها تشهق وكأنها طفلة ..

واستعدت فى جلستى هذه تفاصيل الليلة القريبة فوجدتها أحداثا مبهمة تصلح لكل تأويل كأنها كلام ضاربة الودع أو

فاتحة الفنجان ٠٠ فتنهدت وظللت فى وضع لا أرى فيه الا ظهر المشكلة ، وظهر زوجتى الراقدة فى الفراش ٠ حتى تذكرت فجأة الفلاح الذى هاجمه الذئب وهو فى الحقل فقدم اليه طعامه لقمة لقمة ليشغله حتى يجىء الفرج ، لكن حسابه خاب وبدأ الذئب يهاجمه فى نفسه !!

قلت فى نفسى : « هذه هى قصتى مع الشك !! غير أن هناك فرقا واضحا بين المأكول فى القصتين ، هو أن كل شىء فى الوجود صالح لأن يغذى الشك ٠ الشىء وضده معا طعام نافع !»

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ..

قرأت معى فى الأعداد الماضية قصص : ◆ أموك : لستيفان زفايج ◆ قلب عذراء : جون جالزورثى ◆ مرتفعات وذرنج : أميلى برونتى ◆ التلميذ : بول بورجيه ◆ احدب نوتردام : فيكتور هوجو ◆ جريمة حب : بول بورجيه ◆ جين اير : شارلوت برونتى ◆ أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون ◆ مانون ليسكو : الاب بريفو ◆ حديقة الله : روبرت هتشنز ◆ عندما تحقد المرأة : جورج أونيه ◆ آسيا : ايفان تورجنيف ◆ كاس تمبرلين : سنكلير لويس ◆ الشيطان على الارض : برتراند رسل ◆ رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج ◆ الحب الأول : تورجنيف ◆ تاييس : أناتول فرانس ◆ بلاد العميان : ه .ج. ويلز ◆ نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون ◆ كوخ العم توم : هاربيت بيتسر ستو ◆ الزوج والعشيق : سومرست موم ◆ البوهيمية : هنرى مرجيه ◆ فتاة لها ماض : بول بورجيه ◆ شيرى : كوليت ◆ الجريمة والعقاب : دستويفسكى ◆ لحن كرويتزر : تولستوى ◆ أميرة مصر : جورج ايبرز ◆ الأمطار : سومرست موم ◆ أفروديت : بيير لويس ◆ جيجى : كوليت ◆ الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه ◆ ليبوريللا : ستيفان زفايج

واليوم أقدم لك فيما يلى درة فولتير الخالدة : « كانديد ـ أو التفاؤل » !

كانديد

قصة "ڤولتير" الخالدة
التى سخر فيها من المجتمع والناس !



تلخيص : الاستاذ محمد بدر الدين خليل

فلسفة « فولتير » .. فى أروع صورها !



◆ قدمت لك فى العددين (١٧ ، ٢١) نموذجين من قصص « فولتير » هما : « العالم كما يسير » ، و «عفاف زوجة » (كوزى سانكتا) .. أما القصة التى أقدمها لك اليوم فهى أشهر قصص فولتير على الاطلاق، أو هى القصة النموذجية التى تصور فلسفته الساخرة فى أجلى صورها . ولظروف تأليف هذه القصة ، قصة أخرى طريفة ، وضرورية فى الوقت نفسه لفهم مرامى المؤلف من سخرياته التى حشدها فيها حشدا : ففى الفترة التى كتبها فيها فولتير ، حوالى عام ١٧٥٠ ، كانت تسيطر على أفكار الفرنسيين موجة من التفاؤل ، بتأثير نظرية الفيلسوف الالمانى « ليبنتز » التى تتلخص فى أن « كل شىء على أحسن ما يرام ، وان هذا العالم هو أحسن عالم يمكن أن يكون ! » .. فلما حدث زلزال لشبونة (فى نوفمبر عام ١٧٥٥) ، ثم نشبت حرب السنوات السبع فى العام التالى ـ وهما الكارثتان اللتان أودتا بأرواح مئات الالوف من البشر ـ نظم فولتير قصيدة حوت بعض معانى السخط والكفران بالعناية الالهية التى لم تجنب العالم تلك الكوارث، سواء ما نجم منها عن عوامل الطبيعة أو عن شرور الانسان !.. فلما طالع « جان جاك روسو » القصيدة كتب الى فولتير يعاتبه وينكر عليه سخطه على الحياة .. فرأى فولتير أن يفحم النقاد و « المتفائلين » بتأليف هذه القصة « كانديد ـ أو التفاؤل » التى انما يسخر فيها فى حقيقة الامر من نفاق البشر ، ومن روح الرجعية والخمول والتواكل عن الكفاح من أجل تقدم العالم وتحسين المجتمع ، بحجة ان « ليس فى الامكان أبدع مما كان ! »

- ١ -

• **كان** يعيش فى بلاد (وستفاليا) ـ وفى قلعة بارون « ثندر ـ تن ـ ترونك » ـ شاب حبته الطبيعة جمالا ٠٠ وكان وجهه صورة صادقة لعقله ، فقد أوتى سدادا فى الرأى ، وبساطة لايشوبها افتعال ، ولهذا ـ على ما أعتقد ـ سمى « **كانديد » ٠٠ وكان خدم القصر المتقدمون فى السن يرتابون فى انه انما كان ابنا غير شرعى لأخت البارون ، أنجبته من سيد من الجيران !**

وكان البارون من أقوى سادة (وستفاليا) نفوذا ، وكان كل قومه ينادونه بيا « مولاى ! » ، ولم يرو قط قصة ، الا وضحك كل امرىء ، تقديرا لطرافتها !٠٠ أما مولاتى البارونة، فكانت تزن ثلاثمائة وخمسين رطلا ، ومن ثم لم تكن صغيرة المقام والاعتبار ٠٠ وكانت ابنتها « كيونجوند » فى حوالى السابعة عشرة من عمرها ، حاضرة اللون ، مليحة ، سمينة ، تشتهيها الأنفس ٠٠ أما ابن البارون ، فكان يبدو أهلا لأن يكون له هذا الأب !٠٠ وكان الاستاذ « بانجلوس » يتولى مهمة « معلم الأسرة » ، وقد اعتاد « كانديد » الشاب أن يصغى الى تعاليمه بكل بساطة تليق بسنه وطلعته ٠٠ وقد كان المعلم « بانجلوس » يلقى دروسا فى فلسفة اللاهوت ، وماوراء الطبيعة ، ونظام الكون ، وكان يثير الاعجاب اذ يبرهن على أنه ليس ثمة أثر ـ أو مفعول ـ دون سبب أو علة ٠٠ وان أفخم القلاع فى هذا العالم ـ الذى هو أفضل العوالم المحتمل وجودها ـ هى قلعة البارون ٠٠ وان « مولاتى » هى خير من يحتمل وجودهن من بارونات !

وكان يقول : « **من الجلى أن كل الاشياء انما خلقت لغايات ، فكان لا بد من أن تخلق بحيث تؤدى الى هذه الغايات ٠٠ لاحظوا**

الأنف ، مثلا ، فقد شكل بحيث يحمل « النظارات » ومن ثم فنحن نستعمل « النظارات » ٠٠ والسيقان صممت لتناسب الجوارب ، ولهذا نرتدى الجوارب ٠٠ والاحجار صنعت لتنحت وتصنع منها القلاع، ولهذا كانت لمولاى قلعة فخمة، لأن البارون الأعظم فى المقاطعة ، يجب أن يقطن خير دار فيها ٠٠ والخنازير وجدت لتؤكل ، ومن ثم فنحن نأكل لحم الخنزير على مدار السنة ٠٠ »

وكان « كانديد » ينصت فى اصغاء ، ويصدق دون تردد ، ويرى أن الآنسة « كيونجوند » بالغة الحسن ، وان لم يؤت الجرأة على أن يصارحها بذلك ٠٠ وكان ـ اذ يتمشى مع نظرية المعلم ـ يرى ان أوج السعادة هو فى أن تكون بارون « ثندر ـ تن ـ ترونك » ٠٠ ويلى ذلك أن تكون الآنسة « كيونجوند » ٠٠ والدرجة التالية للسعادة أن ترى الآنسة فى كل يوم ٠٠ والدرجة الأخيرة هى أن تستمع الى مذهب المعلم « بانجلوس » ، أعظم فيلسوف فى الاقليم كله ، وبالتالى ، فى العالم بأسره !

وذات يوم ، خرجت الآنسة « كيونجوند » للنزهة فى غابة صغيرة قريبة ، **فرأت خلال الأشجار الحكيم « بانجلوس » منصرفا الى درس « عملى » مع وصيفة أمها ! ٠٠ ولما كانت الآنسة « كيونجوند » كبيرة الميل الى العلوم ، فقد راحت ترقب ـ في انتباه ـ التجربة التى كانت تجرى أمامها ، وأدركت عن يقين مدى صحة نظرية الفيلسوف في الأسباب والمسببات ٠٠ ومن ثم عادت مشغولة البال ، مليئة النفس بالرغبة فى المعرفة ، وقد داخلها شعور بأنها سبب كاف لخلق « كانديد » الشاب ٠٠ وانه سبب كاف من أجله خلقت !**

وصادفت « كانديد » أثناء عودتها ، فتضرج وجهها ٠٠ وتضرج وجهه ٠٠ وحيته متلعثمة ، فرد التحية وهو لايعى ما يقول ٠٠ وفى اليوم التالى ، اذ نهضا عن مائدة الغداء ، تسللا خلف احدى الستائر ٠٠ وأسقطت «كيونجوند» منديلها،

فالتقطه «كانديد» .. وأمسكت بيده فى براءة ، فقبل يدها فى حرارة ، وعاطفة ، وكياسة .. والتقت شفاههما ، فأبرقت عيونهما ، وارتجفت ركبهما .. **وصادف أن مر بهما البارون ، فرأى السبب والنتيجة ، فلم يتردد فى أن يحيى « كانديد » بركلات ممتازة ، ألقت به خارج أبواب القصر .. وأغمى على الآنسة«كيونجوند» ، حتىاذا استردت وعيها ، عركت البارونة أذنيها ..**

- ٢ -

◆ **هام** كانديد على وجهه أمدا طويلا ، عقب طرده من جنته الارضية ، حتى اذا جن الليل ، نام فى العراء ، كسير الفؤاد ، خاوى الأمعاء .. وعندما استيقظ فى الصباح ، كانت أطرافه قد تيبست لفرط البرد ، ولكنه جاهد حتى وصل الى المدينة التالية . ووقف لدى باب فندق ، مرهقا ، جائعا ، نصف ميت ، وليس فى جيبه دانق .. ولم يطل به الوقوف حتى حدجه رجلان فى ثياب زرقاء بنظرات متفرسة ، ثم قال أحدهما للآخر : « لعمرى أيها الرفيق .. هاك شاب سليم البنية ، ذو قامة مناسبة ! ».. ثم اقتربا منه ، ودعواه فى أدب ولطف الى الغداء ، فقال فى تواضع مهذب : « انكما توليانني شرفا عظيما أيها السيدان ، ولكنى لا أملك نقودا .. »

فصاح أحدهما : « **نقودا يا سيدى ؟! .. ان الشبان الذين أوتوا مظهرك ومواهبك لايدفعون شيئا .. أليس طولك خمسة أقدام وخمس بوصات ؟.. اذن تعال ياسيدى ، واجلس معنا ، فلن ندفع حسابك فحسب ، بل اننا لن ندع شابا ماهرا مثلك فى حاجة الى مال .. فما ولد الانسان الا ليعين أخاه الانسان .. »**

وأقنعاه بعد ذلك بأن يتقبل منهما بعض المال ، وهو يقول : « ما أصدقكما أيها السيدان .. هذا عين مذهب المعلم بانجلوس .. »

ـ هل بك ميل عظيم لـ ..

ـ أجل .. بى ميل عظيم للآنسة الجميلة « كيونجوند »

ـ ما عن هذا نسألك ! .. انما نسألك عما اذا كنت تكن ميلا عظيما لملك البلغار !

واذ ذكر أنه لم يره قط ، أبديا العجب ، ودعواه الى شرب نخب الملك ، فلما استجاب ، هتفا :

– مرحى ! .. انك الآن عضد البلغار ، والمدافع عنهم .. لقد تقرر حظك ، فأنت فى طريقك الى المجد !

.. ثم صفداه بالاغلال ، وحملاه الى الجيش حيث درب على النظام والقتال ، واعتبر أبرع زملائه – وهو مايزال ذاهلا ، لايدرى كيف جعلوا منه بطلا ! – وذات يوم ، عن له أن يخرج للنزهة ، دون اذن ، فاذا بأربعة أبطال آخرين ، طول كل منهم ستة أقدام ، ينقضون عليه ويحملونه الى سجن مظلم . وما لبث أن قدم الى محكمة عسكرية ، حكمت باعدامه رميا بالرصاص .. وصادف أن مر ملك البلغار قبيل تنفيذ الحكم فيه بلحظات ، فرأى بثاقب بصيرته كحاكم ، أنه لم يكن سوى شاب من الباحثين عما وراء الطبيعة ، فهو جاهل بالدنيا ، ومن ثم تكرم فعفى عنه ..

– ٣ –

◆ وسار « كانديد » الى المعركة التى شنها ملك البلغار على ملك « ابار » .. وكانت الأبواق ، والطبول ، والمدافع ، تعزف لحنا لم يسمع له مثيل ، ولا فى الجحيم !.. وارتجف « كانديد » خوفا – كفيلسوف – وأخفى نفسه خلال المذبحة الباسلة قدر ما استطاع .. ثم فر الى قرية وراء حدود « ابار » أتت عليها نيران البلغار – وفقا للقانون الدولى ! – فرأى عددا من الكهول المثخنين بالجراح ، يحنون على زوجاتهم اللاتى قطعت رقابهن ، ويضمون الى صدورهم الملطخة بالدماء صغارهم .. وكان ثمة عدد من العذارى لفظن آخر أنفاسهن اذ بقر البلغار بطونهن بعد أن نالوا منهن أوطارهم .. بينما كانت ثمة نسوة محترقات يتوسلن متعجلات الموت !

وأسرع « كانديد » بمغادرة هذه القرية الى أخرى تابعة للبلغار ، فاذا أبطال « أبار » قد أوقعوا بها ماوقع بالأخرى من مأساة .. وهكذا ظل الفتى يتنقل بين جثث وأطلال ، الى أن غادر مسرح الحرب ، وفى كيسه بعض القوت ، وفى قلبه صورة الآنسة « كيونجوند » .. حتى اذا بلغ (هولندا) ، كانت مؤونته قد انتهت .. فالتمس احسانا من بعض ذوى المظهر الوقور ، ولكنهم هددوه جميعا اذا اتبع هذه الحرفة بأن يرسلوه الى دار الاصلاح ليتعلم كيف يكسب عيشه ..

وأخيرا ، عطف عليه رجل كريم يدعى «جيمس» ، فاصطحبه الى داره ، ونظفه ، ومنحه غذاء وشرابا وقطعتين من النقود ، وعرض عليه أن يعلمه حرفته : نسج الحرير الفارسى الذى يصنع فى هولندا ، فارتمى كانديد عند قدميه شاكرا ممتنا ..

- ٤ -

◆ وفى اليوم التالى كان «كانديد» خارجا ، واذا به يلقى متسولا كست جلده القروح ، وغارت عيناه ، وتآكل طرف أنفه ، واعوج فمه الى جانب ، واسودت أسنانه ، وقد راح يعطس ويسعل فى عنف ، وكلما حاول أن يبصق ، سقطت احدى أسنانه ! ٠٠ فدفع « كانديد » الى المتسول قطعتى النقود اللتين كان « جيمس » الطيب قد منحه اياهما ، وهو موزع بين العطف والتقزز ٠٠ فتطلع اليه المشوه متفرسا ، ثم ذرف الدموع ، وأحاط عنقه بذراعيه، هاتفا : « وأسفاه ! ٠٠ ألست تعرف عزيزك بانجلوس ؟ »

ذهل « كانديد » ، ثم انهال عليه بالاسئلة ، ولكن بانجلوس كان ضعيفا واهن القوى ، فقاده الفتى الى حظيرة جياد «جيمس» ، وأحضر له بعض القوت ٠٠ **وما أن انتعش « بانجلوس » قليلا ، حتى أخذ « كانديد » يسأله عن الآنسة « كيونجوند » ، فأجابه ، دون تمهيد : « لقد ماتت ! » ٠٠ واذ ذاك سقط « كانديد » مغشيا عليه ، حتى اذا استرد وعيه بعد هنيهة ، قال مرددا : «ماتت! ٠٠ ولكن كيف ٠٠ بأى مرض ماتت ؟»**

ـ لقد بقر جنود البلغار بطنها ، بعد أن هتكوا عرضها ٠٠ وحين حاول أبوها الدفاع عنها ، قتلوه بدوره ، كما قطعوا أمها اربا ، وفعلوا بأخيها ـ تلميذى المسكين ـ مافعلوه بأخته ٠٠ أما القلعة ، فلم يتركوا فيها حجرا على حجر ٠٠

وأغمى على « كانديد » مرة أخرى ، حتى اذا أفاق ، روى كل ماجرى له هو بدوره ، وتساءل عن تفسير أستاذه الفيلسوف للنكبات المروعة التى أصابت المعلم فى جسده ٠٠ فأجاب هذا : « كان الحب هو السبب ٠٠ الحب ، متعة المخلوقات الآدمية ، وسر بقاء الكون ! ٠٠ لابد انك ياعزيزى « كانديد » تذكر « باكيت » ، الغانية الحسناء التى كانت وصيفة لبارونتنا النبيلة ٠ **لقد ذقت فى أحضانها النعيم ، الذى لم يلبث أن أدى بى الى عذاب الجحيم ، كما ترى ٠٠ فقد كانت تحمل عدوى المرض ـ ولعلها ماتت به بعد ذلك ـ وقد التقطته من راهب متعلم ، التقطه بدوره من كونتة عجوز أصيبت به من قائد فرسان أخذه عن مركيزة منيت به من وصيف نقله عن جيزويتى نكب به من أحد الذين رافقوا كريستوفر كولمبس فى مغامرته فى الدنيا الجديدة ! »**

ـ أواه يا بانجلوس !٠٠ أليس الشيطان مبعث كل هذا ؟

ـ لا ، بل انه كان شيئا لا مفر منه ، عنصرا ضروريا فى تطور الدنيا نحو التحسن ٠٠ لأنه لو لم يصب به كولمبس ـ فى احدى جزر أمريكا ـ ماتوصلنا الى معرفة الكاكاو والكينا !

ـ ولكن ٠٠ لابد من أن تشفى منه !

ولجأ « كانديد » الى كرم « جيمس » متذللا ، متوسلا ، حتى قبل أن يأوى الدكتور « بانجلوس » فى داره ، وأن ينفق على علاجه ‥ ولم يفلح العلاج الا بعد أن فقد بانجلوس احدى عينيه ، واحدى أذنيه ٠ وعهد اليه «جيمس» بأن يتولى « تسجيل » حساباته ‥ وان هما الا شهران ، حتى عنت له رحلة الى لشبونة ، فاستصحب معه الفيلسوفين ‥ وفيما كانوا فى البحر ، راح بانجلوس يشرح نظريته لجيمس مبينا كيف ان كل شىء قد خلق بحيث لايمكن أن يكون خيرا مما هو ٠ لكن جيمس عارضه قائلا : « **لابد أن الجنس البشرى قد انحرف فى بعض الامور عن براءته الأولى ، لأن الناس لم يخلقوا ذئابا ، ومع ذلك تراهم يطارد أحدهم الآخر كما تفعل تلك الضوارى ! ‥ ان الله لم يمنحهم مدافع ولا نصال ، ومع ذلك فقد صنعوا المدافع والنصال ليقضى كل على الآخر ‥** »

فأجاب الفيلسوف : « **كل هذه ضرورات لا محيص عنها ، لأن المصائب الخاصة ، فوائد عامة ‥ ومن ثم فكلما زادت المصائب الفردية ، ازداد الخير العام !** »

وفيما هما يتجادلان ، هبت عاصفة ، والسفينة على مرأى من مرفأ (لشبونة) ‥

- ٥ -

◆ **اجتاحت** العاصفة السفينة ، فأخذ الركاب يرتطم بعضهم ببعض ‥ وذهل نصفهم ، بينما راح الآخرون يصرخون ، ويصلون ‥ وما لبث أن انهمك الجميع فى نزح المياه من السفينة ، ولكن الرياح العنيفة مزقتها شر ممزق ‥ **وانقض ملاح شرس على « جيمس » فألقاه أرضا ، ولكنه ما لبث تحت عنف الريح أن هوى ، فتعلق بالصارى المكسور ، واذ ذاك خف « جيمس » الطيب القلب لمساعدته ‥ ولكنه سقط فى الماء أثناء المحاولة ، فلم يعبأ به الملاح ! ‥ ولمح « كانديد » الرجل الذى أحسن اليه ، والماء يوشك أن يبتلعه ، فهم بأن يقفز لانقاذه ، لولا أن منعه بانجلوس ، قائلا ان ساحل لشبونة لم يخلق الا ليغرق « جيمس » عنده !** ‥ وفيما هو يقنعه بالحجة ، انهار آخر جزء من السفينة ، وغرق جميع من كانوا عليه ، اللهم الا بانجلوس وكانديد والملاح الشرس ‥ وأخذ هذا يسبح حتى بلغ الشاطىء ، أما الآخران فتعلقا بلوح من الخشب حملهما فى النهاية الى البر ٠ وما أن استردا أنفاسهما ، حتى سارا الى لشبونة، وهما يأملان أن يكفى ماتبقى معهما من مال لأن يقيم أودهما فترة ‥

على أنهما سرعان ما أحسا بالارض ترتجف تحت أقدامهما ، وبماء البحر يفور ويغلى ‥ **واندلعت الحرائق فى المدينة ، وانهارت الدور ، فدفن تحت أطلالها**

ثلاثون الف نسمة من أهلها ! ٠٠ وتحدى الملاح الشرس الموت ، فانطلق فى غمرة الدمار يبحث عن أسلاب ينهبها !

وأصيب « كانديد » بصدمة من حجر وقع عليه ، فاستلقى على الارض جريحا ، حتى أسعفه بانجلوس بماء من نبع قريب ٠ وفى اليوم التالى وجدا بين الاطلال شيئا من القوت ، وأخذا يعينان الاهالى على انقاذ جرحاهم ومصابيهم ، وبانجلوس يواسيهم قائلا : « كل مايجرى انما يجرى فى سبيل خير الغايات ٠٠ » ٠ وكان الى جانبه رجل ضئيل الجسم ، فى ثوب أسود كالذى كان يرتديه أعضاء « محاكم التفتيش » ، فقال له : « **لعلك لاتؤمن اذن ياسيدى بالخطيئة الاصلية الاولى ٠٠ اذ لو كان كل شىء قد قدر لخير الاغراض ، لما تردى الانسان فى الخطايا ، أو نزل به عقاب !** »

ـ بل ان زلة الانسان واللعنة التى أحاقت به انما تدخلان فى نطاق التطور للوصول الى خير دنيا

ـ اذن فأنت لاتؤمن بأن أعمال الانسان انما تصدر عن ارادة حرة ؟!

ـ ان الارادة الحرة تتمشى مع الضرورة المطلقة ٠٠ اذ كان من الضرورى أن نكون أحرارا ٠٠

وأشار الرجل من طرف خفى الى تابع له ٠٠ فقبض على بانجلوس وتلميذه !

- ٦ -

◆ **ورأى** الحكماء بعد الزلازل ، أن أنجع وسيلة لدرء الخراب عن البلاد ، هى الترفيه عن الناس بايقاد نار كبيرة يحرقون فيها بعض الافراد أحياء ، فى احتفال كبير ! **٠٠ وكان بانجلوس ممن اختيروا ليحرقوا ، لأنه جاهر بما يعتقد ٠٠ أما « كانديد » فقد تقرر أن يجلد بالسياط علنا ! واذ حان يوم الحفل الرهيب ، شنق بانجلوس بدلا من أن يحرق ! ٠٠ بينما سيق كانديد فى موكب، والسياط تنهال عليه ٠٠ وحدث فى اليوم ذاته ، زلزال أثار ذعرا وفوضى ، فأخذ كانديد يرتجف ، مذهولا ، مفزوعا ، وهو يقول لنفسه : « اذا كانت هذه خير دنيا ممكنة ، فما حال العوالم الاخرى ؟ »**

وفيما هو هائم على وجهه ، اقتربت منه عجوز وقالت له : « تشجع يا بنى ، واتبعنى ! » ٠٠ فتبعها الى دار متداعية ، وهناك أعطته وعاء به معجون لعلاج جراحه ٠ وقادته الى سرير نظيف ، عليه حلة من الثياب ، وقدمت له طعاما وشرابا ٠٠ واستمرت تعالجه وتطعمه على هذا النحو ثلاثة أيام ٠٠ وفى الليلة الرابعة جاءته لاتحمل طعاما ، وسألته أن يتبعها فى صمت ٠٠ وبعد أن سارت به زهاء ربع الميل خارج المدينة ، انتهت به الى دار منعزلة محوطة بحدائق وخنادق ، فطرقت العجوز الباب ، واذا به يفتح فى الحال ، فصعدت به سلما

الى حجرة صغيرة ولكنها أنيقة الرياش ٠٠ وأجلسته على أريكة ، ثم غادرته وأغلقت الباب

خيل لكانديد انه فى حلم غريب ٠٠ وما لبثت العجوز ان عادت تسند فى عناء شابة لا تكاد تقوى على الاستواء على قدميها ٠ وكانت ذات مظهر مهيب جليل ، ترتدى ثيابا ثمينة ، وقد تزينت بالجواهر البراقة ٠٠ **واذ اقتربت من الشاب ، ازاحت بيد مرتجفة نقابا كان مسدلا على وجهها : ما كان أسعدها من لحظة !٠٠ ويالها من مفاجأة ! كانت « كيونجوند » أمامه ٠٠ بلحمها ودمها !٠٠ فهوى على قدميها ٠٠ بينما تهالكت على الاريكة فاقدة الرشد !**

وعندما أفاقا ، شرعا يتسامران ، فتركتهما العجوز وانصرفت ٠٠ واذ ذاك روى كانديد لكيونجوند ما أبلغه اياه بانجلوس من عدوان جنود البلغار عليها ، فبينت له أنها لم تمت وان كانوا قد أصابوها فى بطنها ٠٠ وسألته أن يروى لها ما جرى له من أحداث ٠٠ فلما فرغ من قصته أخذت تروى له قصتها هى :

- ٧ -

◆ شرعت « كيونجوند » فى روايتها فقصت كيف أغار البلغار على قلعة أبيها ، وكيف سطا عليها جندى منهم ، فلما قاومته طعنها أسفل بطنها ٠٠٠ وفاجأه ضابط وهو منهمك فى عدوانه البهيمى فقتله ، وحملها الى معسكره كأسيرة ٠٠ الى أن أفلس يوما على مائدة الميسر ، فباعها الى يهودى يدعى « دون ايساتشار » كان يتجر فى أسواق هولندا والبرتغال ٠ وكان مدنفا فى هوى النساء ، فأبدى لها كل عطف ، ولكنه لم يستطع أن ينال منها شيئا ٠٠ حتى اذا سافر الى البرتغال ، حملها معه ، وأسكنها هذا البيت ٠ وذات يوم رآها كبير محققى محاكم التفتيش ، فعرض على الاسرائيلى أن ينزل له عنها ! ولما كان « دون ايساتشار » صاحب نفوذ مالى كبير فى البلاط الملكى ، فقد استطاع أن يناجز كبير المحققين ٠٠ بيد انه خشى أن ينفذ فيه تهديده بأن يحرقه بتهمة الكفر ، فاتفق معه على أن يتقاسما التردد على البيت : استأثر اليهودى بأيام الاثنين ، والاربعاء ، والسبت ، على أن تكون بقية الايام من نصيب الآخر !

واستطردت كيونجوند تقول : « ٠٠ ودام هذا الاتفاق ستة شهور ، ولكنه لم يخل من منازعات بصدد الوقت الذى يقع بين ليل السبت وصباح الاحد ، ومن حق أى منهما يكون !٠٠ الى أن جاءت الزلازل ، وطاب لسيدى المحقق أن يقيم الاحتفال ٠ وقد هزنى مرأى اليهود وهم يحرقون أحياء ٠٠ وذهلت حين رأيت بانجلوس فى الموكب ، ففركت عينى ، وأنعمت النظر ، فاذا هو معلق فى المشنقة ٠٠ **واغمى على ، حتى اذا استعدت وعيى ، رأيتك عاريا ، وكان**

هذا أقصى ما احتملت من ذعر وأسى ـ واصارحك أن بشرتك أنصع بياضا ، وأبدع منظرا من بشرة الضابط البلغارى ـ وأردت أن أصرخ ، ولكن صوتى خانني . وبعد أن جلدوك بقسوة ، قلت فى نفسى : « لشد ما خدعنى بانجلوس حين أخبرنى أن كل شيء فى هذه الدنيا هو خير ما يمكن أن يكون ! »
.. وفى حيرتى وقنوطى ، عاودتنى ذكرى مصرع أبى وأمى وأخى ، وعدوان الجندى البلغارى ، والجرح الذى خلفه تحت بطنى .. وعبوديتى .. فحمدت الله أن ساقك الى المكان الذى أنا فيه ، بعد كل هذه المحن .. فعهدت الى العجوز التى ترافقنى بأن تأتى بك .. »

وتناول الحبيبان العشاء معا ، ثم عادا الى جلستهما على الاريكة .. وفى هذه الجلسة فاجأهما « دون ايساتشار » ، اذ كان اليوم سبتا !

- ٨ -

◆ **انقض** اليهودى على فتانا الويستفالى مشهرا خنجرا مدببا ، فاستل « كانديد » سيفه ، وسرعان ما ألقى بالاسرائيلى جثة هامدة ، فصاحت الفتاة : « يا للعذراء ! .. ما الذى سيحيق بنا ؟ »

وفيما كانا يتدبران الموقف مع العجوز الامينة ، أقبل كبير المحققين ـ اذ كانت الساعة الواحدة من صباح الاحد ـ وأدرك كانديد الخطر المحدق ، فقال لنفسه : « هذا الرجل كان السبب فى أننى جلدت بقسوة .. وهو غريمى ، وقد بدأت أغمس يدى فى الدم ، فلا داعى للتردد » .. وسرعان ما أورده مصير اليهودى !

وأنقذت العجوز الموقف ، فذكرت أن فى الحظيرة ثلاثة جياد اندلسية ، كاملة السروج والعتاد .. ولم يلبثوا ان انطلقوا على ظهور الجياد فى طريقهم الى (قادش) .. فلما بلغوا بلدة « أراسينا » القابعة وسط جبال « سييرا مورينا » نزلوا فى فندق البلدة .

.. ولم يكد الثلاثة يستقرون فى الفندق ، حتى اكتشفت « كيونجوند » سرقة ما كانت تحمل من حلى وجواهر ادخرتها من هدايا اليهودى وكبير المحققين !.. واتجهت شكوك العجوز الى قس رافقهم فى بعض الطريق ، فقال كانديد : « **لطالما علمنى بانجلوس ان متاع الدنيا مشاع بين الناس أجمعين .. ولكن كان يجدر بالقس ـ طبقا لهذا المبدأ ـ ان يترك لنا ما يكفينا الى نهاية رحلتنا ! »**

واقترحت العجوز أن يبيعوا جوادها ، على أن تركب وراء مولاتها .. فباعوه بثمن بخس ، وبلغوا أخيرا مدينة (قادش) ، فاذا بأسطول مهيأ ، واذا بجنود تحشد لمحاربة رهبان « الجيزويت » فى « باراجواى » لاتهامهم باثارة احدى قبائل

الهنود الحمر ضد ملكى أسبانيا والبرتغال •• وعرض « كانديد » على قائد الجيش الاسبانى بعض ما تعلمه من فنون البلغار الحربية ، فعهد اليه القائد بفصيلة من المشاة •• وهكذا صعد و « كيونجوند » ، والعجوز ، والجوادان الاندلسيان ، وخادمان الى سطح احدى سفن الاسطول •• وأخذوا خلال الرحلة يتسلون بمناقشة فلسفة بانجلوس المسكين • وبينما كان « كانديد » و « كيونجوند » يستعيدان ذكرياتهما الاليمة ، قالت العجوز : « ما هذا التذمر وما هذه الشكوى !•• لو انكما عانيتما نصف ما جرى لى ، لكان فى ذلك بعض ما يبرر شكواكما •• »

ولم تتمالك الآنسة « كيونجوند » نفسها من الضحك •• فشرعت الوصيفة تروى لهما ما أصابها :

- ٩ -

◆ « **ما كنت** من قبل كليلة البصر ، ولا كان أنفى معقوفا حتى ليكاد يمس ذقنى •• يجب أن تعرفا أننى ابنة البابا «ايربان» العاشر وأميرة «بالسترينا» ، وقد نشأت حتى الرابعة عشرة من عمرى فى قلعة اذا قيست بها قلاع نبلاء ألمانيا جميعا ، لما صلحت لان تكون حظائر !•• وكان ثمن الثوب الواحد من ثيابى يكفى لابتياع نصف اقليم (وستفاليا) • »

وكانت كلما كبرت ازدادت جمالا ، وذكاء •• واستوى نهداها على صدرها يوحيان للرجال بالحب ـ حتى ان الخادمات اللاتى كن يغيرن لها ثيابها ، كن ينتشين لفرط بهائها ! ـ وما لبثت أن خطبت الى أمير جميل من أمراء « ماسا ـ كارارا » ، ولكن عشيقته ـ وكانت مركيزة ـ دست له السم فى قدح « كاكاو » ، لم يكد يحتسيه حتى سقط ميتا ! •• ورأت أم الخطيبة المحزونة أن تنتقل بها الى « جايتا » ، بيد أن بعض القراصنة هاجموا المركب ، واستولوا عليها ، وسطوا على أعراض من كن فيها ، ثم حملوهن الى مراكش ، فاذا بغرماء لهم يهاجمونهم •• ودارت معركة حامية ، عنيفة ، مزقت خلالها أم صاحبتنا اربا •• حتى اذا انتهت المعركة ، وجدت ابنة البابا نفسها وسط ركام من الجثث ، ضعيفة ، خائرة القوى ، جائعة •• وأفاقت فى النهاية على حركة فاذا بشخص ايطالى جميل •• فأسعدها أن تسمع بعد هذه الاهوال لغة قومها ••

واصطحبها الشاب الايطالى الى الجزائر ، حيث باعها لأحد الحكام الذى اتخذ منها جارية •• وهناك أصيبت بالطاعون الذى اجتاح البلاد اذ ذاك •• وما ان شفيت منه ، حتى بيعت لتاجر نقلها الى تونس ، حيث باعها الى آخر صحبها الى طرابلس ، ثم باعها فى الاسكندرية •• ومنها انتقلت الى أزمير ،

ثم الى القسطنطينية حيث ابتاعها ضابط تركى ضمها الى حاشيته حين اوفد للدفاع عن « آزوف » التى كان الروس يحاصرونها ٠٠ ولم يلبثوا ان اجتاحوها ، واعملوا سيوفهم فى كل من كانوا فيها ، فلم تبق سوى القلعة التى كان الضابط معتصما بها مع حاشيته ، فشدد الروس الحصار عليها ، حتى تفشى الجوع بين سكانها ٠٠ وانتهى الرأى الى أن يقتلوا النساء ليقتاتوا بلحومهن ٠٠ ولكن حكيما بين القوم اقترح أن يبدأوا أولا باقتطاع أجزاء من أرداف النساء ٠٠ وهكذا فقدت الاميرة الايطالية أحد ردفيها !٠

وما لبث الروس أن استولوا على الحصن ٠٠ وتصادف أن كان معهم طبيب فرنسى ، عنى بالفتاة التعسة وزميلاتها ، الى أن شفين فنقلن الى موسكو ٠٠ وهناك وقعت من نصيب رجل استخدمها فى العناية بحديقته ، وكان يجزيها كل يوم عشرين سوطا ٠٠ وأخيرا قدر لها أن تهرب ، فراحت تتنقل من بلد الى آخر ، مكتسبة قوتها من العمل كخادم ، وقد أخذت السن تتقدم بها ٠٠ وكان شقاؤها لا مزيد عليه ، حتى انها فكرت أكثر من مرة فى الانتحار ٠٠ ووقعت فى النهاية فى يدى « دون ايساتشار » ، اليهودى الذى ابتاعها واتخذها وصيفة للآنسة « كيونجوند » ٠٠

- ١٠ -

◆ **وصلت** السفينة أخيرا الى « بونس أيرس » ، فهبطت « كيونجوند » و « الكابتن كانديد » والعجوز الى البر ، وسعوا ليقدموا تحياتهم الى الحاكم « دون فرناندو ديبارا فيجورا اى لامبوردوس اى سوزا » ٠٠ وكان الرجل فى أوج الابهة والزهو ، ولكنه كان جد مولع بالنساء ، فلما رأى « كيونجوند » سألها ان كانت زوجة « الكابتن » ؟٠٠ وأبى نقاء قلب « كانديد » عليه أن يسطو على الحقيقة ، فأجاب : « لسوف تشرفنى الآنسة كيونجوند بالزواج منى ، وانا لنلتمس من سعادتكم أن تشرفوا الاحتفال بوجودكم ٠٠ »

فأخذ الحاكم يبرم شاربيه ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، ثم أمر الكابتن كانديد بأن يذهب لتفقد فرقته ٠٠ وبقى مع الآنسة « كيونجوند » فشرع يبثها لواعج حبه ، عارضا عليها أن تقبل الزواج منه ! فاستأذنت متعللة بالرغبة فى الاستجمام ، واستشارت المرأة العجوز التى قالت لها : « يجب أن اصارحك بأننى لو كنت مكانك ، لمنحت الحاكم يدى دون أدنى تردد ، وبذلك أضمن للكابتن كانديد الباسل حظا ومستقبلا ! »

وفيما هما تتحدثان ، دخلت الميناء سفينة صغيرة عليها أحد المحققين وأعوانه ٠ وكانت الامور قد جرت كما يلى : كان الراهب الذى سرق حلى « كيونجوند » وجواهرها قد شرع فى بيعها فى لشبونة ، فاذا الذى عرضها عليه يعرف انها

كانت ملكا لكبير المحققين ، فوشى به ٠٠ وقضى على الراهب بالاعدام ، ولكنه قبل أن يشنق اعترف بأنه سرقها ، ووصف المرأتين والشاب ، فتتبعهم المسئولون الى قادش ، ومنها الى « بونس أيرس » ٠

وأذيع فى المدينة ان المحقق قد جاء وراء قتلة كبير المحققين ٠٠ وأدركت العجوز فورا ما كان هناك ، فقالت لكيونجوند : « ليس بوسعك أن تفرى ، ولكن ليس ثمة ما تخشينه ، فأنت لم تكونى قاتلة كبير المحققين ٠٠ كما ان الحاكم يحبك ! » ٠٠ ثم هرعت الى « كانديد » وقالت له : « اسرع ٠٠ فمنذ الآن ستكون مهددا بأن تحرق حيا ! »

ولم يجد « كانديد » مفرا من المبادرة الى الهرب ٠٠

- ١١ -

◆ **كان** « كانديد » قد صحب معه من قادش خادما من ذلك النوع الذى يصادفه المرء على سواحل اسبانيا وفى المستعمرات ، فهو من أصل اختلط فيه الدم الاسبانى بدماء المستعمرات ، وقد تقلب على كل الاعمال ٠ وكان يدعى « كاكامبو » ، وقد أحب « كانديد » اذ وجده بالغ الطيبة ٠٠ لذلك لم يكد يسمع نصيحة العجوز حتى أسرع يسرج الجوادين الاندلسيين ، ويهيب بسيده أن يبادر الى الفرار ٠٠ فلما وجده مترددا ، بدافع الخوف على « كيونجوند » ، قال له :

- دعها تتصرف ، فالنساء لا تعوزهن الحيلة قط !

- ولكن ٠٠ الى أين نذهب ؟

- انك كنت مقبلا لتحارب جزويت باراجواى ، فدعنا نذهب لنحارب فى صفوفهم ، وانى لأعرف الطريق خير معرفة ولسوف يبتهجون بأن ينضم اليهم ضابط خبر أساليب البلغار ٠ ٠

وما أن بلغا الحدود الاولى ، حتى صاح « كاكامبو » فى حارس الخط الامامى بأن الضابط جاء ليتحدث الى القائد العام ، فأبلغ الحارس النبأ ، وما لبث أن جرد القادمان من سلاحهما وجواديهما ، واقتيدا بين صفين من الجنود الشاكى السلاح ، الى أقصى المعسكر ، ثم دعيا للانتظار ٠٠ **وان هى الا برهة ، حتى اقتيد « كانديد » الى قاعة وسط حديقة ، قامت على عمد من الرخام الاخضر والذهبى ، وكستها الكروم والنباتات الزاحفة ٠٠ وقد أوى اليها « الاب القائد » يستجم ٠٠ وكان من رهبان الجزويت !**

واذ علم « الاب القائد » ان « كانديد » من أصل ألمانى ، سأله عن الاقليم الذى ينتمى اليه ، فما أن سمع أنه ولد فى قلعة « ثندر - تن - ترونك » حتى أبدى دهشته ٠٠ واذا المناسبة تكشف عن ان الراهب القائد لم يكن سوى

شقيق الجميلة « كيونجوند » ، الذى ظن الجميع ان البلغار قد ذبحوه يوم هاجموا قصر أبيه !

وصرف «الاب القائد» اتباعه ليخلو الى « كانديد » يسمع أنباءه ٠٠ فعرف ان شقيقته ما زالت على قيد الحياة فى « بونس ايرس » ، وذكر كيف ان راهبا من الجزويت عنى بدفن القتلى فى قلعة أبيه عقب فتك البلغار بأهلها ، فعثر عليه فاقد الرشد بينهم ، وعنى به ، وأدخله مذهبه ، حتى أتيح له أن يفد على (باراجواى) مع من كان يفد عليها من رهبان الجزويت

وقال أخيرا : « **اذن ، فأختى العزيزة كيـــونجوند مع حاكم (بونس ايرس) ؟ ٠٠ لعل الحظ يواتينا يا عزيزى كانديد ، فندخل المدينة شاهرى السيوف وننقذها** »

فأجاب كانديد : « هذه أقصى أمنياتى ٠٠ لاننى آرجو أن أتزوج منها »

ـ يا لك من وقح ! ٠٠ أنت ؟! ٠٠ أوجدت من الجرأة ما يطمعك فى الزواج من أختى ؟!

وعبثا حاول « كانديد » أن يذكره بأنه أنقذها ٠٠ وبأن أستاذهمـا « بانجلوس » كان يقول أن الناس سواسية ، فان الراهب القائد لم يزدد الا ثورة ، **حتى اضطر « كانديد » فى سورة الغضب الى أن يضربه بسيفه ٠٠ فقتله !**

وخف « كاكامبو » الى نجدته ، فألبسه ملابس الراهب ، وهيأ له أسباب الفرار !

- ١٢ -

◆ **استطاع** « كانديد » وخادمه أن يعبرا الحدود قبل أن يفتضح مقتل الراهب الجزويتى ، فانطلقا فى أرض غريبة ، لايكادان يستبينان لنفسيهما فيها طريقا ٠٠ وبلغا أخيرا بستانا جميلا ، فهبطا فيه ، وأخذ « كاكامبو » يغرى سيده ليصيب من الطعام الذى قدمه قسطا ٠٠ وأخذت الشمس تجنح للمغيب ، **وفجأة ، سمعا صرخات نسائية ، فاذا بشابتين عاريتين تجريان وفى أثرهما قردان يعضان أردافهما !٠٠ وأسرع « كانديد »الى بندقيته فأردى القردين ٠٠ لكنه سمر فى مكانه مأخوذا اذ رأى الفتاتين تحتضنان القردين القتيلين وتغسلان جراحهما بدموعهما وهما تندبانهما ٠٠ فقال « كاكامبو » :**

ـ لقد أظهرت براعة يا سيدى فى الرماية ، ولكن ٠٠ أتعلم انك قتلت حبيبى هاتين السيدتين !٠٠ أراك تدهش لكل شىء ٠٠ لماذا تستغرب أن يكون فى الدنيا بلد يحظى القردة فيه بأحلى عواطف السيدات ؟ ان الانسان ينحدر من سلالة القرود ، كما انحدر أنا من سلالة الاسبان !



وأوغلا فى أحد الاحراش ، فجن عليهما الليل ، وناما ٠٠ حتى اذا استيقظا ، أدهشهما انهما لم يكونا يقويان على الحراك ، فان « الاوريون » ـ أهل تلك المنطقة ـ قيدوهما بحبال من أليـاف الشجر ، اذ شكتهما اليهم الفتاتان ٠٠ وأحاط بهما خمسون من « الاوريون » العـرايا ، مسلحين بأقواس ونشـاب ، وهراوات ، وفؤوس من الصوان ٠وكان بعضهم منهمكا فى ايقاد نار تحت قدر كبيرة ، والكل يصيحون اذ ظنوا «كانديد» من الجزويت ، فعقدوا العزم على أن يأكلوه !٠٠ وهتف « كانديد » فى أسى: « **آواه !٠٠ ترى ما الذى كان يقوله المعلم « بانجلوس » لو رأى هذه الفطرة «النقية» ؟! كل شيء طيب وخير ٠٠ قد يكون هذا صحيحا ، ولكنى أرى من القسوة ان افترق عن الآنسة كيونجوند ، وأن أكون طعاما لهؤلاء المتوحشين !** »

ولكن « كاكامبو » ، الذى لم يكن ليفقد قط حضـور بديهته فى أوقات الشدة ، سرى عنه ، وقال انه يعرف شيئا من لغة القوم ، ومن ثم تحول اليهم قائلا : « لعلكم تظنون أيها السادة انكم ستحظون بأكل واحد من الجزويت ـ ولو كان الامر كذلك لما كان هناك بأس ، **فالواقع أن سنة الطبيعة تعلمنا أن نقتل جيراننا ، ومن ثم نجد هذا متبعا فى العالم كله ، واذا كنا لا نأكل لحم البشر ، فلأن لدينا ما هو أفضل منه !** ـ على انكم لا تبغون بالتأكيد أن تأكلوا أصدقاءكم ، فان مخدومى هذا صديق لكم ، ومدافع عنكم ، فى حين اننى من أبناء بلادكم ٠٠ فان شئتم أن تستوثقوا فاحملوا رداءه هذا الى أول خطوط الجزويت ، وسلوهم عما اذا كان مخدومى لم يقتل أحد ضباطهم ؟!

وراق الاقتراح للاوريون ، فأوفدوا اثنين منهم ، لم يلبثوا ان عادوا يؤكدون صدق « كاكامبو » ٠٠ واذ ذاك أطلقوا سراح الاسيرين ، واكرموهما ، فصاح « كانديد » : « **لو اننى لم أقتل شقيق الآنسة كيونجوند ، لما كان ثمة مناص من ان اؤكل حيا !** »

- ١٣ -

◆ قرر « كانديد » أن يأخذ بنصيحة خادمه ، فيسعيان للفرار الى فرنسا ٠٠ ولكن الجبال والانهار والوهاد واللصوص والمتوحشين كانت عراقيل فى طريقهما ٠٠ كما نفق جواداهما لفرط الارهاق ، ونفدت مؤونتهما ، ثم انتهيا آخيرا الى نهر يقوم على ضفافه نخيل جوز الهند ٠٠ ووجدا قاربا ، فملآه بجوز الهند ، وانطلقا فى النهر على غير هدى ، مسلمين نفسيهما للاقدار

وكان النهر يمر فى أحد المواضع تحت صخرة شاهقة ، فاستسلم صاحبانا للتيار الذى انطلق بالقارب بسرعة وضجة رهيبتين ٠٠ وبعد أربع وعشرين ساعة لاح لهما ضوء النهار ٠٠ لكن القارب تحطم ، فراحا يتنقلان من صخرة الى أخرى ، حتى بلغا سهلا بهيجا ، يانع الخضرة ممهد الطرق ٠٠ وصادفا عند مدخل أول قرية فى طريقهما أطفالا فى ثياب مزركشة بالقصب والذهب ـ حتى لقد خالاهم أولاد ملوك ـ ثم صادفا حشدا كبيرا ، وسمع « كاكامبو » القوم يتحدثون بلغة أهل « بيرو » ، الذين تنتمى اليهم أمه ٠٠ وشد ما عجب صاحبانا اذ عرفا أن كل المطاعم والفنادق فى ذلك البلد بالمجان ، تنفق عليها الحكومة ! وتبينا قطعا كبيرة من الذهب مبعثرة فى الطرق ، وعلما من الناس أنهم ينظرون اليها كما لو كانت حصى لا قيمة له !

وأعرب «كاكامبو» عن فضوله بآلاف الاسئلة وجهها الى صاحب الفندق ، الذى آثر أن يحيله على شيخ مسن يعتبر أعلم رجال المملكة ٠ وكان بيته بسيطا : فالباب من فضة خالصة ، والسقف من ذهب مصنوع بذوق جميل ، والجدران مرصعة بالاحجار الكريمة ! وقال الشيخ انه فى العام الثانى والسبعين بعد المائة من عمره ، وان هذه المملكة هى الموطن الاصلى لعشيرة « انكاس » ، وقد خلفوها ليغزوا بلادا أخرى ، فغلبوا على أمرهم ، وأفناهم الاسبان ، ومن ثم أمر من بقى من الامراء البقية الباقية من رعاياهم بأن لا يبرحوا المملكة ، فظلوا على نقاء نفوسهم وهنائهم ٠٠ وقد اقترب بعض الرواد من حدود المملكة ولكنهم لم يصلوا اليها ٠٠ على أنهم حدسوا ما كانت عليه ، فأسموها « الدورادو » ٠٠ أى بلاد الذهب !

وسأله «كانديد» عما اذا كان لهم دين ، فأجاب الشيخ بأنهم يعبدون «الله» الواحد ، ولكنهم لا يرفعون اليه الدعوات ، فليس هناك ما يسألونه اياه ، لانهم أوتوا كل شىء !٠٠ وليس لديهم كهنة ولا رهبان يثيرون الخلافات ، ويدبرون المؤامرات ، ويحاولون فرض نفوذهم على الناس !٠٠ وكان «كانديد» يصغى الى كل هذا الحديث وهو يقارن فى ذهنه بين هذه البلاد السعيدة ، وبين « وستفاليا » موطنه ٠٠

وما لبث الشيخ أن أمر بعربة شد اليها ستة من الغنم لتقل الضيفين الى قصر الملك • ولعل القارىء قد أدرك من الاوصاف السابقة ما كان عليه هذا القصر من بذخ وفخفخة •• **واستقبلت الضيفين عشرون عذراء جميلة ، حملنهما الى الحمام ، ثم لففنهما فى أثواب من ريش البلابل ، واقتيدا بعد ذلك الى جناح الملك ، بين صفين من الموسيقيين ، تألف كل منهما من ألف موسيقى !•• وأنبأهما ضابط كبير بأن العادة جرت على أن يعانق الزائر الملك ويقبل وجنتيه••**

وتلقاهما الملك فى اكبار بالغ ، واستبقاهما للعشاء •• وفى انتظار ذلك أمر بأن يطاف بهما فى المدينة ، فرأيا بنايات عامة تطمح بأعاليها الى السحاب ، ونافورات ، وعيون لماء الورد ، وقد رصفت جوانب الطرق بأحجار ينبعث منها عبير القرنفل والقرفة !•• **ودهش «كانديد» اذ عرف أن ليس فى البلاد محاكم أو سجون •• وطرب حين شاهد بها قصرا للعلوم !**

وقضى الشابان شهرا فى ضيافة الملك ، ولم يكن يعكر على «كانديد» هناءه سوى شوقه الى محبوبته «كيونجوند» •• وكان يقول لكاكامبو : « لو بقينا هنا ، لما اختلفنا عن الآخرين • أما لو عدنا الى دنيانا ، مصطحبين اثنى عشر خروفا ـ فقط ـ من خراف « الدورادو » ، محملة « بحصى » هذه البلاد ، لصرنا أغنى من ملوك أوربا جميعا ! »

وراقت الفكرة لكاكامبو ، فتحمس لها ، ومن ثم استأذنا الملك فى الرحيل • وأشفق الملك عليهما من طريق النهر المحفوف بالخطر ، وأمر الموكل بالآلات فى المملكة أن يصنع لهما آلة تحملهما الى ذروة أحد الجبال الشاهقة المحيطة ببلاده • وسمح لهما بأن يحملا معهما ما شاءا من تراب بلاده وحصاها ، وهو يعجب من شغفهما بهذا التراب والحصى الاصفر !

- ١٤ -

◆ **كان** اليوم الاول لرحلة صاحبينا يوما بهيجا ، وقد سرهما أن أصبحا يملكان من الثروة ما يفوق ما فى أوربا وآسيا وأفريقيا معا !•• على أن خروفين من خرافهما غاصا بحمليهما في هوة ، فى اليوم التالى • ومالبث آخران أن نفقا لفرط التعب بعد أيام !•• ثم مات سبعة أو ثمانية جوعا فى احدى الصحارى •• وهكذا لم يبق لهما بعد مائة يوم سوى خروفين فقط ! •• فقال « كانديد » **لكاكامبو : « هل ترى ياصديقى العزيز كيف ان مال هذه الدنيا فان ، وليس أبقى من الفضيلة •• ومن الفرحة برؤية الآنسة كيونجوند ! »**

ومالبثا أن أشرفا على مدينة « سورينام » التابعة لهولندا • وعندما اقتربا من المدينة ، رأيا زنجيا مستلقيا على الارض ، وليس له سوى ذراع واحدة ـ هى اليمنى ـ وساق واحدة ، هى اليسرى ! وسأله «كانديد» عن أمره ، فقال

انه يرتقب مولاه «ماينهير فاندر دندور» التاجر المشهور، فعجب الشاب لرجل يستخدم عبدا عاجزا بهذا الشكل ، ولكن الزنجى قال « **هذه هى العادة هنا ٠٠ عندما يفقد عامل فى مصانع السكر أصبعا ، يقطعون يده ٠٠ فاذا حاول الفرار ، بتروا ساقه٠ وبهذا الثمن تحظون بالسكر فى أوربا !٠٠ ومع ذلك ، فان أمى حين باعتنى فى غينيا ، قالت لى : « بارك يابنى سادتنا البيض ، فلسوف يسعدونك ، ولسوف تفخر بأن تكون عبدا للسادة البيض »!٠٠ ان الكلاب والحمير أقل تعسا منى ٠٠ ومع ذلك فان السادة الذين علمونى الدين ، يقولون لى فى كل يوم أحد ، ان السود والبيض سواء ، أبناء آدم !** »

فبكى كانديد وهو يقول : « أواه ، يابانجلوس ٠٠ اننى مضطر لان أنبذ **تفاؤلك ، فمن المكابرة الزعم بأن كل مافى الدنيا خير ، فى حين انه شر ٠٠**»

وسألا عما اذا كانت ثمة سفينة راحلة الى « بونس ايرس » ، فاذا الذى سألاه يملك مركبا اسبانية ، اتفق على أن يقلهما عليها بأجر معتدل ، وواعدهما فى احدى الحانات ٠٠ وهناك ، قص « كانديد » ــ بسذاجته ــ على الاسبانى مغامراتهما وعزمه على أن يحمل كيونجوند بعيدا عن « بونس ايريس » ، فقال الرجل : « **اذن فلن أقلك الى هناك ، والا شنقنا ٠٠ اذ أن كيونجوند الفاتنة هى أحب عشيقات الحاكم اليه !** »

وبكى كانديد طويلا ، ثم انتحى بكاكامبو جانبا ، وقال له : « ان فى جيوبنا من الماس ما تعادل قيمته خمسة أو ستة ملايين ٠٠ وأنت ابرع منى فى هذه المسائل ، فاذهب لاحضار الآنسة « كيونجوند » ، وان حاول الحاكم أن يثير الصعاب ، فاعطه مليونا ، أو اثنين ٠٠ وسأجهز مركبا أخرى لنذهب فيها الى (البندقية) ٠٠ »

وتعانقا وهما يذرفان الدمع ، ثم رحل « كاكامبو » ٠٠ وبقى « كانديد » أياما يرتقب سفينة تقله وخروفيه الباقيين الى ايطاليا ، واستأجر خدما ، وابتاع مايلزم لرحلة طويلة ٠٠ وأخيرا وقع على التاجر الهولندى « ماينهير فاندر دندور » الذى طلب ــ أجرا لنقله ــ عشرة آلاف من عملة بلاده ، فقبل الشاب بلا تردد ، مما أوحى للرجل بأنه واسع الثراء ، **فأخذ يرفع الاجر حتى بلغ ثلاثين ألفا ! وقد اضمر فى نفسه أمرا : فما أن نقل الخروفان الى المركب ، حتى نشر قلوعها وانطلق بها دون أن ينتظر القارب الذى كان يقل « كانديد » من الشاطىء !**

وعاد الشاب الى الشاطىء حزينا محسورا ، وقد خسر مايعادل ثروة عشرين ملكا ! ٠ ٠ وسعى الى قاضى المدينة يعرض قضيته ، وكان يتكلم فى حدة وصوت مرتفع ، مما جعل القاضى يحكم عليه بغرامة قدرها عشرة آلاف ، ثم

أنصت الى شكواه ، ووعد ببحثها عندما يعود صاحب السفينة ٠٠ وتقاضاه عشرة آلاف أخرى ٠٠ رسوم القضية !

وكانت هذه الحيل - على تفاهتها بالنسبة لما لاقى كانديد من مصائب - سببا فى نفاد صبره ، **فقد كشفت له عن خبث الجنس البشرى فى أبشع الصور** ٠٠ وعندما سمع بعد وقت أن ثمة سفينة فرنسية راحلة الى (بوردو) ، استأجر غرفة على سطحها ، وأعلن فى المدينة أنه على استعداد لان يصحب معه انيسا يتكفل بنفقات سفره ، ويهديه عشرة آلاف فلس ، على شريطة أن يكون أكثر أهل الاقليم سخطا على حاله ، وأتعسهم حظا !٠٠ وانتقى ممن تقدموا اليه عشرين شخصا ، دعاهم الى الفندق الذى كان ينزل فيه ، ووعد بأن يقدم لهم العشاء ، بشرط أن يقسم كل منهم بأن يروى تاريخ حياته ، فيختار أسوأهم حظا ، زميلا له فى سفره ، ويقدم لكل من الباقين منحة سخية ٠٠

وظل ينصت اليهم حتى الساعة الرابعة صباحا ، وهو يذكر المرأة العجوز حين قالت له ولحبيبته ان ليس من انسان الا وقد أصابه الكثير من النحس ٠٠ ويتمنى لو كان معلمه بانجلوس معه ، ليرى خطأ نظريته ٠٠ فما كانت الأمور خير مايمكن أن تكون الا فى (الدورادو) وحدها !

واختار أخيرا طالب علم ظل عشر سنوات يعمل فى مكتبات (امستردام) ٠٠ وكان امينا ، غاية فى الشرف ، ولكن زوجته سرقته ، وضربه ابنه ، ونبذته ابنته وفرت الى البرتغال ، واضطهده رجال الدين فى (سورينام) !

- ١٥ -

◆ **ورحل** « مارتن » - وهو اسم الرجل - مع « كانديد » الى (بوردو)٠٠ وكانا سواء فى سوء الحظ ، ولو أن « كانديد » كان يعيش على أمل أن يلتقى بالآنسة «كيونجوند» ، كما كان لايزال يملك بعض المال والجواهر

وسأل « مارتن » وهما يتجادلان يوما فى فلسفة الحياة عن رأيه فى خير الطبيعة وشرها ، فأنبأه بأنه من فئة الذين يؤمنون بخلود الشيطان ،ولايعترفون بالكتب السماوية ، فهتف به « كانديد » : « لابد أن الشيطان قد استولى عليك ! »

- قد لايكون هذا مستبعدا ، فهو يهتم كثيرا بشئون دنيانا ٠ ولكنى لا أملك، كلما جلت ببصرى فى الارض ، الا أن أرى أن الله قد نبذها وتركها لمخلوق شرير ٠٠ فما أكاد أعرف مدينة لاتبغى القضاء على جارتها ٠٠ ولا أسرة لاتطمع فى هلاك أسرة أخرى ! ٠٠ والفقراء فى كافة أرجاء الارض يكنون البغضاء للاغنياء ، حتى وهم يزحفون ويتعلقون بأذيالهم ٠٠ والاغنياء يعاملون الفقراء كما لو كانوا غنما يقايضون بالمال على صوفهم ولحمهم !

وفيما هما يتجادلان ، سمعا قصف مدافع ، واذا بسفينتين مشتبكتين فى قتال لم تلبث احداهما خلاله أن أصيبت ٠٠ ورأيا مائة رجل يصرخون ويرفعون أذرعهم الى السماء على ظهر السفينة الغارقة ٠٠ فقال «مارتن» : « هل ترى كيف يعامل الانسان أخاه ! » ٠٠ وظهر أن السفينة المنتصرة اسبانية ، أما الغارقة فكانت عين السفينة التى سرق ربانها أموال «كانديد» !٠٠وغرقت كل الثروة ، فيما عدا خروف واحد ٠٠ فقال كانديد لصاحبه : « **ألا ترى أن الرذيلة تلقى أحيانا عقابها ! »**

فأجاب مارتن : « هذا حق ، ولكن ماذنب الركاب ؟٠٠ لقد عاقب الله الشرير ، وأغرق الشيطان الباقين ! »

واحتضن « كانديد » الخروف الناجى ، قائلا : « مادمت قد وجدتك ثانية ، فمن المحتمل أن أجد حبيبتى كيونجوند من جديد !»

ولاح الساحل الفرنسى أخيرا٠٠ فسأل كانديد صاحبه عما اذا كان قدزار (باريس) **من قبل ٠٠ فأجاب مارتن : « أجل ، انها مرتع للفوضى ٠٠ زاخرة بأناس يبحث كل فرد منهم عن مسراته دون أن يجدها ٠٠٠ما أن بلغتها حتى سرق النشالون و «شارطو الجيوب» مالى ، ثم قبض على بزعم انى سارق ، وسجنت أسبوعا ! »**

وقال كانديد وهو يحاوره : « **الى أية نهاية تسير بنا هذه الدنيا ؟ أتظن أن بنى البشر كانوا دائما يتقاتلون هكذا ؟ هل كانوا دائما يقارفون الكذب ، والغش، والخداع ، والجحود ، والحسد ، والطمع ، والقسوة ؟ »**

– ألا تعتقد أن الصقور جبلت دائما على التهام الحمام ؟٠٠ كذلك الجنس البشرى لايمكن أن يغير فطرته !

- ١٦ -

◆ **وصل** «كانديد» و «مارتن» الى باريس ٠ واذ كان «كانديد»متعبامن السفر، وموفور المال ، **فانه لم يلبث أن وجد فى زيارته طبيبين لم يستدعهما ، وحفنة من الاصدقاء الذين لم يسبق أن رآهم ، وامرأتين قامتا على خدمته ٠٠ فسرعان ماتحول التعب الى مرض استفحل واشتد ! ٠٠ واذا بقس الأبرشية يقبل ليبيعه صكا يدفع لحامله فى العالم الآخر !** ٠٠ وأوشك « مارتن » أن يلقى بالقس من النافذة ، ثم اكتفى بأن ألقاه من الباب ٠٠ وأثار الحادث فضيحة انتهت الى القضاء !

وكان بين الذين أحاطوا بكانديد ولازموه راهب لبق ذو كياسة ، صحبه ومارتن الى المسرح ٠٠ وتأثر « كانديد » لروعة التمثيل ، فذرف بعض الدموع ، واذا بأحد المحيطين يلومه قائلا : « **ان التمثيل سيىء ، والمسرحية أسوأ ٠٠ فان المؤلف لايفقه من اللغة العربية شيئا ومع ذلك فقد نسج فصولها فى بلاد العرب ! »**

وسأل «كانديد» الراهب عن عدد المسرحيات فى الادب الفرنسى ، فأجابه بأنها تتراوح بين خمسة آلاف وستة آلاف ٠٠ فقال : « **وكم الجيد منها ؟** »

ـ حوالى خمس عشرة مسرحية ، أو ست عشرة !

ولاحظ « كانديد » أن احدى الممثلات تشبه « كيونجوند » فرغب فى أن يكرمها ، فقال الراهب : « اننا اذا رغبنا فى تكريم الممثلات فى مدن الريف ، صحبناهن الى حانة ٠٠ أما فى باريس فيعاملن بغاية الاحترام خلال حياتهن ، مادمن جميلات ، فاذا متن ، ألقينا بجثثهن مع أكوام القمامة !»

وتملكت الدهشة « كانديد » ، وعاد يتساءل : « أصحيح أن أهل باريس دائمو الضحك ؟»

ـ أجل ، ولكن الغضب كامن فى قلوبهم ٠٠ فهم يعبرون عن شكواهم بالقهقهة ، ويرتكبون أزرى الجرائم وهم يبتسمون !

وعرض الراهب على « كانديد » أن يعرفه بسيدة من ذوات الجاه ، يستطيع أن يرى فى بيتها صورة من الحياة الحقة ٠٠ فتركه كانديد يقوده الى دار فى ضاحية « سانت أونوريه » ، **حيث رأى قوما يلعبون الورق ، وقد ران عليهم الصمت ، وشاع فى الجو القلق ، بينما كانت ربة البيت ترقب كل شىء بعينين كعينى اللبؤة ٠٠ وكانت تلقب بماركيزة «باروليناك» ، ولها ابنة فى الخامسة عشرة كانت بين اللاعبين ، وقد جهدت فى أن تشير لأمها من طرف خفى برموز تكشف مافى أيدى الآخرين من ورق !**

وخسر «كانديد» خمسين ألف فرنك فى دورين !٠٠ وأذهل القوم انه لم يبد جزعا على خسارته ٠٠ حتى اذا فرغوا من العشاء ، شرعوا يتبادلون عبارات مقتضبة ، ثم فكاهات ، ثم أقبلوا على الشائعات والاقاويل ، وحديث السوء ، وبعض السياسة ، وكثير من الفضائح ٠٠ وتحولوا بعد ذلك الى حديث الكتب والادب والمسرحيات ٠٠ **ومالبثت الماركيزة أن قادت « كانديد » الى غرفتها ، وسألته : « أو مازلت مدلها فى هوى الآنسة كيونجوند ؟ » ٠٠ واذ رد بالايجاب قالت : « ان الفرنسى لا يجيب مثلك ، بل يقول : « لقد كنت أكن لها حبا عظيما ، ولكننى مذ رأيتك أشعر بأننى لم أعد أحبها بالقدر الذى كنت عليه !٠**

وأسقطت رباط جوربها ، فالتقطه لها ، ولكنها سألته أن يثبته حول ساقها ٠٠ وهكذا أغوته ، ثم استدرجته الى النزول لها عن ماستين كان يزين بهما أصابعه !

وعاد «كانديد» مثقل القلب بالشعور بالخيانة نحو الآنسة « كيونجوند » ٠ وكان القس يشاركه الأسى ، لأنه لم يصب من المبلغ الذى خسره الشاب فى الميسر الا قدرا ضئيلا !٠٠ ومن ثم عول على أن يستغل صلته به ماستطاع ، وأحس أن فى الحديث عن «كيونجوند » ثغرة يتسلل خلالها الى نفسه و٠٠ جيبه!

.. فدبر حيلة ماكرة ، بحيث تلقى «كانديد» فى اليوم التالى رسالة من حبيبته تنبئه بأنها فى باريس ، وانها وحيدة ، مريضة . وأسرع «كانديد» بذهبه وماسه مع « مارتن » الى العنوان الذى ورد فى الرسالة .. فوجد سيدة فى فراش ، وحاول أن يزيح الستائر ليتأمل وجهها ، **ولكن الخادم التى كانت تقوم على خدمتها حذرته قائلة انها لاتقوى على احتمال النور ، ولا على الكلام .. فترك الى جوارها كيسا من الذهب وهو يبكى .. حتى اذا هم بالانصراف ، أقبل الراهب مع عدد من رجال البوليس المسلحين ، وقال لهم : « هاكم الغريبان اللذان تحوم حولهما الشبهات ! » .. فألقى الجنود القبض عليهما .. وفى الطريق ، حدس « مارتن » ان الجنود ليسوا سوى أعوان للراهب فى خدعة غادرة ، وان التى خالها كيونجوند ليست سوى ممثلة زائفة ! ومن ثم أوحى اليه أن يرشو ضابط الشرطة بثلاث ماسات** .. وتقبل الضابط الماسات ، فأطلق سراح أسيريه ، وأوفدهما الى (دييب) ، حيث وجدا سفينة هولندية مقلعة الى (بورتسماوث) فى انجلترا .. ومع أن « كانديد » كان يسعى الى البندقية ، الا أنه آثر السفر على تلك السفينة لينأى عن فرنسا !

- ١٧ -

◆ **سأل** « كانديد » صاحبه وهما على سطح السفينة :

ـ هل فى انجلترا من الحمقى مثل مافى فرنسا ؟

ـ أجل ، ولكن بطريقة مختلفة .. فهاتان الدولتان تتحاربان من أجل بضعة افدنة من الجليد بقرب كندا ، وقد أنفقتا فى ذلك أكثر مما تساوى كندا بأسرها !

واذ بلغا (بورتسماوث) ، رأيا جانبى المرفأ زاخرين بجموع تلاقت أبصارها على رجل ركع على سطح سفينة حربية ، وقد وقف أمامه أربعة جنود ، لم يلبث كل أن أطلق ثلاث رصاصات على رأس الرجل !.. **وعرف كانديد أن الرجل كان «أميرالا» ، وقد أعدم لأنه لم يتسبب فى موت عدد كبير من أخوته فى البشرية .. فقد قاد معركة ضد أميرال فرنسى ولم يتغلب عليه !**

ولم يشأ «كانديد» أن يطأ الساحل الانجليزى بل اتفق مع صاحب السفينة على أن يقله الى البندقية . وما أن وصلا اليها ، حتى أخذ كانديد يبحث عن «كاكامبو» ، دون جدوى . وعجب لذلك ، فان رحلته الى (بوردو) و (باريس) و (دييب) و (بورتسماوث) استغرقت شهورا ، كان من المقدر أن يصل خلالها « كاكامبو » والحسناء « كيونجوند » .. ووقر فى نفسه أن حبيبته لابد قد ماتت ، فاستسلم للحزن . وقال له «مارتن» : « **لقد كنت من السذاجة بحيث خلت ان خادما زنيما يحمل خمسة أو ستة ملايين فى جيبه ، يذهب الى آخر**

الدنيا ليبحث عن حبيبتك ويحضرها لك ؟!٠٠ انه حتى لو وجدها ، سيؤثر بها نفسه ٠٠ ألا فلتنس خادمك وحبيبتك ! »

ولكن مواساة « مارتن » لم تزد كانديد الا اغراقا فى الاسى ٠٠ الى أن صادف يوما « باكيت » - وصيفة بارونة « ثندر - تن - ترونك » التى نقلت عدوى الداء الوبيل لمعلمه «بانجلوس» ٠٠ وعلم منها انها طردت من القلعة بعد أن **بارحها بقليل ، فصادفها طبيب عنى بعلاجها ، مقابل أن اتخذها عشيقة له بعد شفائها • واضطرت بعد ذلك الى أن تقتات من الاتجار بجسدها ٠٠ واختتمت المسكينة روايتها بأنها أتعس الناس طرا ، وان كانت مهنتها تضطرها الى اصطناع المرح والهناء ٠٠**

وعلم «كانديد» أن نبيلا من شيوخ البندقية يدعى « بوكوكورانتى » يرحب بالاجانب ، فصحب « مارتن » لزيارته فى قصره الفخم • واستقبلهما رب الدار فى أدب جم ، وقدمت اليهما فتاتان جميلتان شراب « الكاكاو » ، ومالبث الشيخ أن اصطحب ضيفيه بعد العشاء الى حجرة مكتبته ، فراحا يستعرضان كتبه ، ويخوضان معه فى حديث عن الأدب والكتب ، فاذا به يعرب عن سأمه من كل كتاب ، وقال أثناء الحديث : « **اننا لا نكتب اليوم فى ايطاليا الا كل ما لا يجول بخواطرنا ، فان الناس لايجرؤون فى هذه الايام على اعتناق أية فكرة الا بتصريح من أحد رهبان مذهب الدومينيكان !** » ٠٠ وعجب « كانديد » لهذا الرجل الذى لم يكن راضيا عن شىء ما ٠٠ واذ انصرفا من عنده ، قال مارتن لكانديد : « هل رأيت ؟ لقد أوتى هذا الرجل كل مايجعله أسعد الخلق ، ولكنه يكره كل مافى حوزته ! » ٠٠ فقال كانديد يحاوره : « **هذا لاينفى أن ثمة متعة فى انتقاد كل شىء ، وفى كشف الاخطاء فيما يراه الغير جميلا !** »

- أى أن ثمة متعة فى أن لايستمتع المرء بأى شىء ؟!

وانتهيا من جدلهما الى أن خير شىء للانسان أن يأخذ بالأمل فى الحياة !

- ١٨ -

◆ **وأخذت** الاسابيع تنصرم ، ولا أثر لكاكامبو ! وأضنى « كانديد » الأسى والحزن ٠٠ الى أن كان يتأهب ذات مساء للذهاب مع «مارتن» لتناول العشاء فى الفندق ، حين فوجىء بكاكامبو ! ٠٠ وماكان يفوق فرحته برؤيته اذ ذاك سوى فرحته لو رأى «كيونجوند» ٠٠ فما أن أشبع شوقه اليه ، حتى سأله عن فاتنته ، واذا به يعرف أنها فى القسطنطينية • وقال كاكامبو :

« **لا أستطيع الآن أن ازيدك حديثا ، فأنا عبد ، ومولاى فى ارتقابى لأخدمه على المائدة ٠٠ ولكن ، لا تفصح أمامه عن شىء ، بل تناول عشاءك وتأهب لنرحل معا** »

وكان حول مائدة الفندق ستة من الاغراب ، قام « كاكامبو » على خدمة أحدهم ، حتى اذا انتهى العشاء ، اقترب منه قائلا : «مولاى ، يستطيع جلالتكم أن يرحل متى شاء ، فالسفينة معدة » ٠٠ واقترب من كل من الآخرين خادمه يطمئنه الى قرب الرحيل ، ويخاطبه بـ «مولاى» و « جلالتكم » ٠٠ حتى اذا انصرف الخدم ، قال «كانديد» وهو فى غمرة الدهشة : « أيها السادة ، هذا لعمرى أمر طريف ٠٠ كيف تصادف انكم جميعا ملوك ؟ »

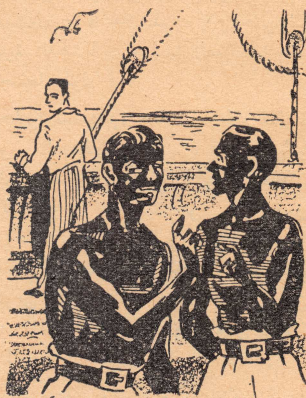
وتبين انهم جميعا ملوك سابقون ، وقد جاءوا ليشهدوا حفلات « الكرنفال » فى البندقية ٠٠ وكان مولى « كاكامبو » هو « السلطان احمد » ، عاهل تركيا السابق ، الذى يعيش معتقلا فى بلاده ، والذى وفد باذن من ابن أخيه «السلطان محمود » الذى خلفه ٠٠ وقد استطاع « كاكامبو » الوفى الامين ، أن يغرى ربان سفينة السلطان على أن يسمح لكانديد ومارتن بأن يرحلا على سطح السفينة ٠٠ وقال كانديد لمارتن وهما يصعدان اليها : « **أرأيت كيف تناولنا العشاء مع ستة ملوك مخلوعين ؟ ولعل هناك أمراء آخرين أكثر تعاسة منهم ٠ ٠فى حين أننى فى طريقى الى أحضان « كيونجوند » ٠٠ اننى أؤكد أن « بانجلوس » كان على حق اذ قال ان كل شيء يتطور الى الخير !** »

واذ التقى « كانديد » بكاكامبو على سطح السفينة ، راح يمطره بالأسئلة عن « كيونجوند » ٠٠ فقال له انها تغسل الأطباق فى دار أمير فقير ، فهى جارية فى أسرة مالكة عريقة تعيش فى تركيا لاجئة ، واستطرد قائلا : « ولكن أدعى الامور جميعا للحزن ، هو انها فقدت جمالها وأصبحت بشعة الشكل ! »

ومضى فذكر انه دفع لحاكم « بونس ايرس » مليونين مما كان يحمل ، ليسترد «كيونجوند» ، ثم هاجم أحد القرصان السفينة التى كانا عليها ، فسلبه مابقى معه من الملايين ، وباعها هى ووصيفتها العجوز فى تركيا !

وان هى الا أيام ، حتى بلغت السفينة مياه البسفور ، فبادر « كانديد » بدفع فدية ضخمة للسلطان السابق كى يسترد « كاكامبو » ، ثم أسرع معه ـ يرافقهما « مارتن » ـ ليبحثا عن « كيونجوند » ٠٠ **وفيما هم يغادرون السفينة ، لمح « كانديد » عبدين ممن يجذفون لتسيير السفينة ، يتأملانه فى تفرس ٠٠ حتى فاجأهما ربان السفينة ، فهم بأن يجلدهما بالسياط ٠٠ لولا أن تدخل كانديد ، واذ ذاك صاح العبدان : « يا للسماء ! ٠٠ أهذا كانديد !؟ » ٠٠ وشد ماذهل كانديد اذ ألفى أن أحدهما كان « الأب الجزويتى القائد » ـ شقيق «كيونجوند» الذى ظن أنه قتله ـ وان الآخر كان معلمه «بانجلوس» الذى رآه يشنق !** ٠٠ فلم يتردد فى أن يدفع للربان الفدية التى طلبها ليستردا حريتهما ٠٠ وانطلقوا جميعا ، ينشدون تحرير « كيونجوند » .

- ١٩ -



◆ **اعتذر** ابن البارون عما كان منه مع « كانديد » ، ثم روى له كيف أنه أسعف بالعلاج بعدأن طعنه هذا ، وشفى. بيد أنه لم يلبث أن وقع فى أسر الاسبان ، ثم استرد حريته ورحل الى روما ، فعينه رئيس كنيسته قسا خاصا للسفير الفرنسى فى القسطنطينية .. وهناك ارتكب ما أوغر صدر الحاكم الاسلامى عليه ، فكان عقابه أن صار عبدا !

أما «بانجلوس» ، فلم يكد « يشنق » حتى ابتاع طبيب جثته ليجرى عليها بعض تجارب فى التشريح ، ولكنه سرعان ما تبين أن حبل المشنقة كان مبتلا ، فلم يطبق على عنقه فى شدة ، ومن ثم بقيت فيه بعض أنفاس واهنة .. وهكذا عنى به الجراح ، حتى شفى .. ومالبث أن عمل فى خدمة تاجر من البندقية ، وذهب معه الى القسطنطينية ، حيث قدر له يوما أن يدخل مسجدا ، ففاجأه الامام، وساقه الى القاضى ، الذى أرسله ليعمل رقيقا فى السفينة التى كان البارون مستعبدا فيها ..

وبلغ الرفاق الدار التى كانت فيها «كيونجوند» والوصيفة العجوز .. وذابت قلوبهم أسى اذ وجدوا « كيونجوند » وقد حرقت الشمس بشرتها ، وضعف بصرها ، وتجعد وجهها !.. وابتاع كانديد الفتاة والعجوز من مولاهما ، ثم اشترى مزرعة صغيرة ، استقروا فيها ..

وذكرت «كيونجوند» فتاها بوعده بأن يتزوجها ، دون أن تفطن الى ما عدا على جمالها من تشوه .. ولم يتردد «كانديد» فى أن يقبل البر بوعده ، ولكن أخاها البارون أبى أن يسمح لأخته بأن تتزوج من شخص أدنى منها محتدا وأصلا !.. فصاح كانديد : « ياللاحمق .. ألم أفتدك ، وأحرر أختك ، وأقبل الزواج منها رغم ما أصابها ؟ » .. فقال البارون : « لك أن تقتلنى ثانية ، ولكنك لن تتزوج من أختى مادمت حيا ! »

والواقع أن « كانديد » لم يكن شديد الشغف بالزواج منها ، ولكن معارضة

البارون ، والحاح كيونجوند ، جعلاه يلجأ الى مشورة بانجلوس ومارتن وكاكامبو ٠٠ فأفتى أولهم بأن ليس للبارون ولاية على أخته ٠٠ ونصح كاكامبو باعادة البارون الى ربان السفينة ٠ وفعلا نفذوا هذا الرأى !

- ٢٠ -

◆ **وكان** من الطبيعى بعد ذلك أن نتصور أن « كانديد » ـ بعد كل هذه النكبات ـ تزوج من « كيونجوند » ، واستقر مع زملائه فى هناء ٠ **ولكن ثروته كانت قد نفدت ، ولم تبق له سوى المزرعة الصغيرة ، وأخذت زوجته تزداد كل يوم قبحا ، واختل عقل المرأة العجوز وساءت طباعها !٠٠ وكان «كاكامبو» يفلح المزرعة ، ويحمل محصولها ليبيعه فى القسطنطينية ، حتى أضناه التعب وأخذ يلعن حظه !٠٠ وييئس «بانجلوس» من أن يحظى بمركز فى أية جامعة ألمانية ٠٠ أما «مارتن» فكان قد وطن نفسه على أن الحياة ليست سوى سوء حظ وشقاء ، مما أعانه على الصبر !**

وكانوا لا يفتأون يتجادلون فى فلسفة الحياة ، وسألتهم العجوز يوما : « **أيهما أسوأ ، أن يلقى المرء مثل ماصادفوا من نكبات ومحن ٠٠ أو أن يبقى فى المزرعة خاملا ، لا يفعل شيئا ؟** » ٠٠ فأجاب « مارتن » بأن الانسان ولد ليعيش فى أحد حالين : فى متاعب وقلاقل ، أو فى خمود البطالة والكسل !٠٠ ولم يستقر «كانديد» على رأى ، بينما أصر «بانجلوس» على مذهبه فى التفاؤل ، وفى أن كل شىء لايمكن أن يكون خيرا مما هو كائن !٠٠ وقال «مارتن» لكانديد :«لقد توقعت أن تبدد ثروتك ، فلا تزيد الجميع الا تعاسة على تعاسة !»

وفى تلك الاثناء ، وفدت على المزرعة ، الوصيفة « باكيت » ، وراهب كان يلازمها ٠٠ وما أن التقت ببانجلوس حتى شغلته عن فلسفته !٠٠ وكان يقيم على مقربة من المزرعة « درويش » عرف بأنه خير فلاسفة تركيا ، فلجأوا اليه يستشيرونه ٠٠ قال له بانجلوس : « **جئنا نسألك : لماذا خلق مثل هذا الحيوان** العجيب الذى يسمونه الانسان ؟ »

فأجاب الدرويش : « ولماذا تشغل عقلك بأمر ليس من شأنك ؟ »

وسأله « كانديد » : « **ألا ترى أن فى الارض كثيرا من الشر والسوء ؟** »

فقال الدوريش : وماقيمة الخير أو الشر ؟ ٠٠ عندما يرسل السلطان سفينة الى مصر ، أتراه يشقى بتعرف ما اذا كانت الجرذان فيها مرتاحة ؟ »

قال بانجلوس : « **اذن ، ماذا ينبغى أن نفعل ؟** »

ـ **نلزم الصمت ٠٠**

ـ كنت أطمع فى أن نتناقش فى الاسباب والمسببات والنتائج ، وفيما فى

العوالم من خير ، وفى أصل الشر وطبيعة النفس ٠٠ »

وطردهم الدرويش ٠٠ **وفى تلك الأثناء ، شاعت الأنباء بأن وزراء تركيا ومفتيها قد شنقوا ، فأثار ذلك ضجة لبضع ساعات** ٠٠ وفيما كان «بانجلوس» و « كانديد » و « مارتن » عائدين الى المزرعة الصغيرة ، صادفوا رجلا سمح الوجه يقف أمام داره . وبدافع من الفضول الغريزى عند بانجلوس ، سأل الرجل عن اسم المفتى الذى شنق ، فأجابه هذا : « **لست أدرى ٠٠ فما عرفت يوما اسم مفتى أو وزير ، وانى لأجهل كل شيء عن النبأ الذى ذكرته . على اننى أظن ان أولئك الذين يشغلون أنفسهم بالمسائل العامة ، يلقون أحيانا مثل هذا المصير التعس ، وانهم ليستحقونه ، ولكننى لا أحفل قط بالسؤال عما يجرى فى القسطنطينية ٠٠**»

ودعاهم الرجل الى داره ، حيث عرفهم بابنتيه وابنيه ، الذين قدموا اليهم مختلف أنواع الموالح ، والفواكه ، والعطور ، فقال كانديد للرجل : « **لابد انك** تملك ضيعة شاسعة ٠٠؟ »

– ان كل ما أملك لا يزيد على عشرين فدانا ، أزرعها بنفسى وبمساعدةأولادى، فيكفى محصولها ليصد عنا ثلاثة أنواع من الشر : «الكسل ، والرذيلة ، والعوز ! »

وفيما كانوا عائدين الى مزرعتهم ، قال كانديد : « يبدو أن هذا الشيخ الطيب قد اختار لنفسه نصيبا أفضل مما لاقاه الملوك الستة الذين تشرفت بتناول العشاء معهم ! »

فقال بانجلوس : « **ان المجد البشرى شديد الخطر ، فكم من ملوك وأباطرة لقوا أبشع المصائر !** »

قال كانديد : « هو ذلك ٠٠ وما أراك بحاجة الى أن تقول لى ان علينا أن نعنى بمزرعتنا ٠٠ »

فقال بانجلوس : « **هذا حق ٠٠ اذ أن الانسان حين أسكن جنة عدن ، انما وضع فيها ليعنى بها ويعمرها ٠٠ وهذا دليل على أن الانسان لم يولد ليكون خاملا » !**


ترقب - فى منتصف هذا الشهر - العدد الخامس - من "مطبوعات كتابى" متضمنا النص الكامل لأروع قصة طويلة كتبها الروائى الفرنسى الخالد "جى دى موباسان"
حياة امرأة !
أوص عليها بائع الصحف من الآن
مطبوعات
كتابى
يصدرها: حلمى مراد

ثقافة الأديان



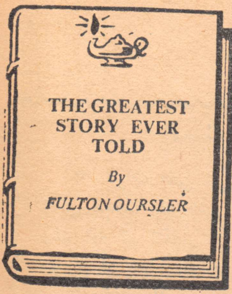
أصحاب العقائد والرسالات

عزيزى القارىء :

لما كانت رسالة « كتابى » تستهدف تعميم الثقافة الرفيعة بجميع ألوانها ، وفى جميع مجالاتها وميادينها ٠٠ ولما كانت الثقافة الدينية من أول أسس الحضارة البشرية والتاريخ الانسانى ، فقد رأيت أن أقدم لك فى هذا الباب الجديد ، دراسات شاملة لسير أصحاب الوحى من دعاة العقائد والاديان ، ثم لسير أنبياء الصف الثانى فى الديانات السماوية الثلاث ٠٠ على أن أتبعها فى فرصة قريبة بمجموعة مكملة لها من القصص الانسانية التى وردت فى كتب الاديان نفسها ، أى من قصص التوراة والانجيل والقرآن ٠٠

وقد قدمت لك فى هذا الباب فى العددين السابقين قصة حياة موسى ، ثم الجزء الاول من قصة حياة المسيح ـ التى تقرأ اليوم فيما يلى الجزء الثانى والاخير منها ـ يتلوها فى العدد القادم قصة حياة محمد ، ثم سير الانبياء والرسل : ابراهيم ، اسحاق ، اسماعيل يعقوب ، يوسف ، شعيب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يونس ، زكريا ، يحيى ، أشعياء ، يوحنا ، بولس ، أبى بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان ابن عفان ، على بن أبى طالب ٠٠ ثم من الأئمة والمصلحين الدينيين : أبى حنيفة، ابن حنبل ، مالك ، الشافعى ٠٠ مارتن لوثر ، كالفن ٠٠ الخ ٠

الكتاب الذى بيعت منه ٣ ملايين نسخة !



حياة المسيح

للكاتب الأمريكي "فلتون أورسلر"



السنوات الحافلة من حياة المسيح

◆ قرأت معى فى العدد الماضى الجزء الاول من هذا الكتاب الشائق الذى طبعت منه حتى الآن ٥٥ طبعة ، بيعت منها ثلاثة ملايين نسخة ، رغم انه لم تنقض على صدوره خمسة أعوام !.. وقد روى لنا المؤلف المؤرخ فى الجزء السابق حياة كل من «مريم» و«يوسف» قبل مولد المسيح ثم ظروف مولده ، وفرار أسرته به الى مصر ، وسنوات صباه ، وفترة اعداده لحمل الرسالة ، ثم معجزاته الأولى ، وبداية تصادمه مع رؤساء اليهود .. وأخيرا نزوة الاميرة «سالومى» واستشهاد « يوحنا المعمدان»

واليوم يواصل المؤلف ـ فى الجزء الثانى والاخير من كتابه ـ سرد أحداث السنوات الاخيرة ، الحافلة ، من حياة المسيح :

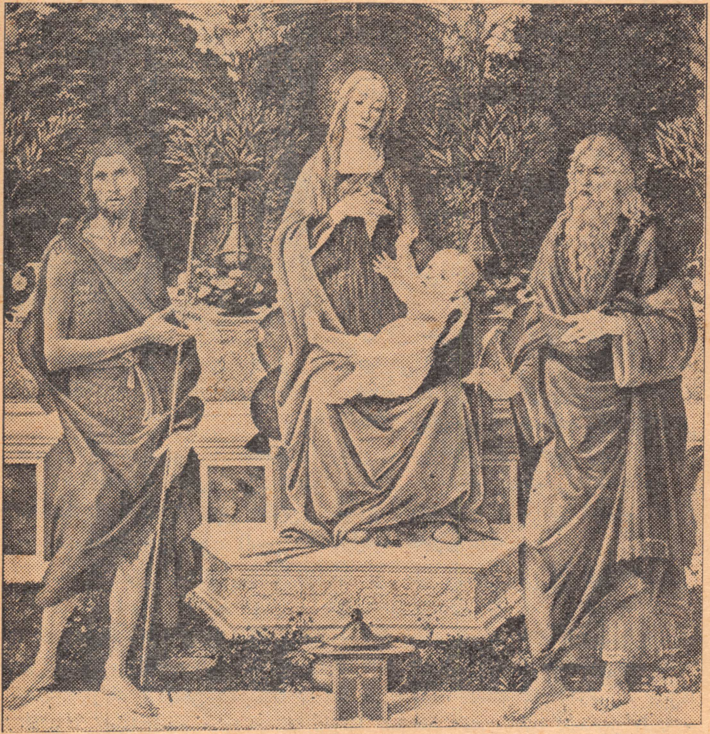
١ ـ السنة الأولى

الموعظة على الجبل

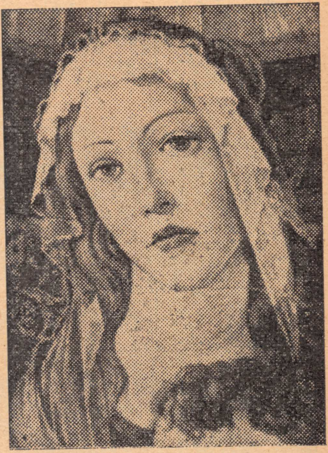
◆ **كان** أول قرار اتخذه المسيح حين أحس بتألب رؤساء اليهود ضده ، أنه اختار حوارييه ـ أو تلاميذه ـ الذين سوف يناط بهم اتمام رسالته من بعده .. وقد حرص فى اختيارهم على أن يكونوا من جهات وأقاليم مختلفة ، وكان أوائلهم هؤلاء السبعة : بطرس وأخوه اندراوس ، يوحنا زبدى وأخوه يعقوب ، متى ، فيلبس ، برثلماوس .. ثم اختار بعد ذلك : يعقوب الصغير ـ الذى طرح فيما بعد من فوق قمة الهيكل ، من أجل تعلقه بالمسيح ، فلما لم يمت رجم بالاحجار حتى لفظ أنفاسه ! ـ ثم أخاه يهوذا (غير الاسخريوطى) الذى مات بعد ستين عاما فى (أرمينيا) مقتولا بالنشاب ، من أجل ايمانه ! .. وسمعان الذى صلب فى بلاد العجم فى سن ١٢٩ عاما .. و توما المتشكك ، الذى مات فى الهند مضروبا بحربة .. وأخيرا يهوذا الاسخريوطى الذى انتحر على أثر خيانته للمسيح !

وأراد المسيح أن يلقن تلاميذه مبادئه ، فاستقل واياهم ذات يوم مركب صيد، رست بهم بعد ساعات فى بقعة هادئة ، بعيدة عن غوغاء الشعب ، فصعدوا الى هضبة عالية حيث جلس التلاميذ حوله فى شبه دائرة ، وهناك ألقى عليهم تلك الموعظة الخالدة التى تعد الدستور الرئيسى للدين المسيحى ، أو الفلسفة النموذجية السامية للسلوك البشرى .. وقد جاء فيها :

« ما أوسع الباب وأرحب الطريق المؤدى الى الهلاك ، وما أضيق الباب وأكرب الطريق المؤدى الى الحياة الابدية !٠٠ طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات ٠ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ٠ طوبى للحزانى لأنهم يتعزون٠ طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون ٠ طوبى للرحماء لانهم يرحمون



العذراء والمسيح ، والى يمينهما يوحنا المعمدان ، والى اليسار القديس يوحنا الرسول (لوحة بمتحف برلين للرسام الخالد « بوتيتشيللى »


«أم المسيح» : للرسام «بوتيتشللى» (لوحة بمتحف «أوفيزى» بفلورنسا)

(بضم الياء) . طوبى للأنقياء القلب لانهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر . طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عنكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات. لاتقاوموا الشر بالشر . من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر أيضا . من سخرك ميلا فاذهب معه اثنين . (وهكذا ابطل المسيح الوصية القديمة القائلة عين بعين وسن بسن !) .. واستطرد «يكمل» وصايا موسى العشر قائلا : « تقول الوصية : «لا تقتل» ، أما أنا فأقول : ان من يبغض أخاه فهو قاتل نفس . وتقول الوصية : «لا تزن» ، أما أنا فأقول : ان من نظر الى امرأة واشتهاها فقد زنا بها فى قلبه !.. واذا أعثرتك عينك فأقلعها ، أو يدك أو رجلك فاقطعها ، فلخير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . سمعتم أنه قيل ينبغى للمرء أن يحب قريبه ويبغض عدوه ، أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم .. لأنه ان أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس الخطاة أيضا يفعلون ذلك ؟ »

وبعد أن ظل المسيح يحدث تلاميذه على هذا النحو حتى انحدرت الشمس للمغيب ، ختم « موعظة الجبل » بتزويدهم بنموذج للصلاة المثالية ، قال : « اذا صليتم فلا تكرروا الكلام باطلا ، لأن أباكم يعرف ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه ، وانما صلوا هكذا : « أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك ، كما فى السماء كذلك على الارض ، خبزنا كفافنا ، أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا . ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد الى الابد ، آمين . » .. فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى ، وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » .

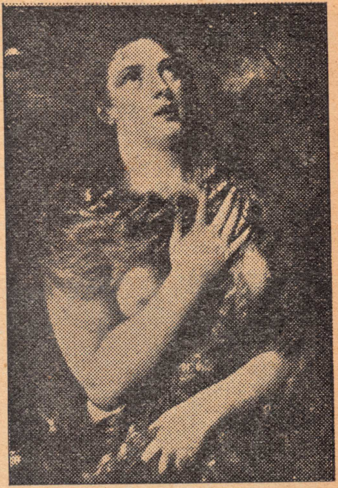
الخاطئة التى تابت

◆ وذات يوم دعى المسيح لتناول العشاء فى منزل أحد أثرياء «الفريسيين» ـ وهم غلاة اليهود المتعصبين ـ وكان يدعى سمعان . وبعد أن تحدثا فى : المحصول والتفاؤل بوفرته ، والضرائب التى صارت باهظة ، والشائعات الرائجة عن اندلاع السنة الحرب فى الغرب .. دخلت امرأة ذات شعر ذهبى مسترسل ، ترتدى ثوبا حريريا فاخرا ، وتذكرها رب البيت ـ فقد رآها من قبل فى مناسبة لم يكن معهما فيها ثالث ! ـ لكنها تجاهلته الليلة ، رغم ما وصل اليه من سطوة وجاه ، وتجاهلت أيضا حرفتها الوضيعة ذات المظاهر الخلابة الزائفة .. وبدلا من أن تتجه اليه وهو الثرى الامثل ، اتجهت الى ذلك النجار المفلس يسوع ،



توبة الخاطئة « مريم المجدلية » : لوحة للرسام « كوريجيو » بمتحف بورجيزى بروما

فانحنت تسكب على قدميه قارورة طيب غالى الثمن ، ثم تمسحهما بشعرها وتقبلهما ، ودموعها تتساقط على خديها ! .. فحدث الفريسى نفسه مغيظا : « لو كان هذا الرجل نبيا ، لعرف حقيقة حرفة هذه المرأة ! » .. وكأنما أدرك المسيح أفكاره فانبرى يقول له بصوت رقيق : « يا سمعان ، عندى ما أقوله لك : كان رجل يدين اثنين ، الواحد بخمسمائة دينار ، والآخر بخمسين . ولما لم يكن عندهما ما يوفيان به الدين فقد تنازل لهما عنه .. فأيهما يحب دائنه أكثر من الآخر ؟ »



«مريم المجدلية» : للرسام «تيسيان»
(لوحة بمتحف بيتى بفلورنسا)

- الذى تنازل له عن الدين الاكبر .
- **بالصواب أجبت . أترى هذه المرأة؟ انك لم تقدم لى ماء لغسل رجلى (كما كانت العادة المتبعة) ، أما هى فلم تكف عن غسلهما بالدموع ومسحهما بشعرها، انت لم تقبلنى قبلة واحدة ، أما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل قدمى ، لقد غفرت خطاياها الكثيرة لانها أحبت كثيرا .** » .. ثم التفت الى المرأة وقال لها : « **مغفورة لك خطاياك** » . ودون أن يبالى بحنق مضيفه ، أغلق زجاجة الطيب وسلمها للمرأة قائلا : « **اذهبى بسلام . ايمانك قد خلصك** » .. ثم غادر البيت .

قصة الابن الضال

◆ **واشتهر** المسيح بالامثال التى كان يضربها لسامعيه ، والتى كان يستوحيها من الحوادث اليومية الجارية ويبسطها غاية التبسيط كى يفهمها الناس ، ومن هذه الامثال التى ضربها مثل « الابن الضال » ، ذلك الشاب الذى أصر على أخذ نصيبه من ميراث أبيه (وهو على قيد الحياة !) وانطلق الى بلدة بعيدة - ليتحرر من رقابة أبيه - **وهناك أنفق كل ماله على محظية تآمرت مع نفر من المقامرين ومدمنى الخمر على ابتزاز آخر درهم يملكه .. فلما أفرغت ما فى جعبته ، نبذته نبذ النواة !.. وساءت حاله ، حتى اضطر أن يعمل راعيا للخنازير ، ومع ذلك كان يشتهى أن يسد رمقه من الخرنوب الذى كانت تأكله الخنازير فلا يجده !** واذ استبد به اليأس قرر أن يعود الى أبيه نادمامستغفرا، ويسأله أن يعطيه عملا كواحد من خدمه .. لكن الاب لم يكد يلمحه من بعيد حتى رق له قلبه فهرع اليه يحتضنه ويغمره بالقبلات ، وألبسه حلة جديدة ، كما أوصى خدمه بأن يذبحوا له العجل المسمن ، قائلا : « **لنفرح ونسر ، لان ابنى هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد !** » .. ثم عقب المسيح على هذا المثل بقوله : « **هكذا الله ، أبوكم السماوى ، يشتاق أن يرى أبناءه البشر يعودون اليه تائبين ..** »

من هو قريبك ؟!

◆ **وسأله** محام ذات مرة : « يا سيد ، ما هى أهم الوصايا جميعا ؟ » ٠٠ وكان السؤال حرجا وعسيرا ، فقد كانت الوصايا تربو على ٢٤٨ وصية ، تكاد تعتبر كلها فى مرتبة واحدة ٠٠ لكن المسيح أجابه : « **أحبب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل عقلك ، ومن كل قدرتك ٠٠ وأحبب قريبك كنفسك** » ٠٠ فسأله المحامى : « ومن هو قريبى ؟ »

فأجاب المسيح بأحد الامثال كعادته : « **كان رجل مسافرا من أورشليم الى أريحا ، وكان الطريق محفوفا بأخطار اللصوص وقطاع الطرق ، فنصحته زوجته بالتريث حتى يجد من يرافقه فى سفره ٠ واذ ذاك انبرى ابنه الصبى يقول ان والد صديق له يزمع السفر فى نفس الطريق ، وكان الآخر « سامريا » ٠٠ فلم يكد الاب يعلم هذا حتى انتفض كمن لدغته عقرب وصاح بابنه : « كيف تصادق ابن سامرى نجس ؟ أما تعلم أن السامريين تصاهروا مع العجم «الغزاة» منذ مئات السنين ؟ ان فعلتك لو عرفت لأثرت فى عملى وتجارتى وسمعتى !**

« **ورفض الرجل اقتراح ابنه الصغير وسافر منفردا ، فهاجمه اللصوص فى الطريق وسلبوه ماله وثيابه وأصابوه بجراح ثم تركوه بين حى وميت ! ٠٠ ومر به كاهن ، فرآه لكنه تغاضى عنه ومضى فى طريقه ٠٠ ثم مر به رجل من عشيرته ، فتجاهله وواصل سيره ٠٠ وأخيرا مر به « سامرى » ، فعطف عليه وتوقف فغسل جراحه ودهنها بالزيت ، ثم أركبه على دابته وأوصله الى فندق ، وأوصى صاحب الفندق بأن يعتنى به ، ثم نفحه بجنيهين كدفعة أولى ، على أن يتقاضاه بقية النفقات فيما بعد ٠٠** »

والتفت المسيح الى المحامى والسامعين ، وسألهم : « **أى هؤلاء يكون قريبا للمسافر ؟** » ٠٠ فأجابه المحامى : « من صنع معه الرحمة » ٠٠ فقال له المسيح : « **اذن ، اذهب وافعل هكذا** » ٠

وتوالت معجزات المسيح ، فى شتى المناسبات : فقد هبت الرياح الشديدة مرة على سفينة صغيرة كان يركبها المسيح وتلاميذه ، حتى أشرفت على الغرق ، فانتهر المسيح الريح فهدأ الجو على الفور ٠٠ واذ ذاك قال لهم : « **أين ايمانكم ياقليلى الايمان ؟** »

وفى مرة أخرى كان ذاهبا الى كفر ناحوم ، وكانت بين الجموع التى تتبعه امرأة مصابة منذ عشرات السنين بنزيف لم يوفق الاطباء الى شفائه ، فتسللت الى مكانه ولمست طرف ثوبه ، .فجف نزيفها فى الحال ٠ وأحس المسيح كأن قوة خرجت منه ، فتساءل : « من لمسنى ؟ » ، فخرت المرأة عند قدميه واعترفت له ، فقال لها : « ايمانك قد شفاك ، اذهبى بسلام » ٠٠ وفى نفس الطريق هرع اليه راكضا رجل من رؤساء المجمع يدعى « يايرس » وسأله أن يذهب معه

ليشفى ابنته المريضة . وفى تلك اللحظة أتاه رسول يقول : « **لاتتعب المعلم ، فان ابنتك قد ماتت !** » . فكاد الاب يسقط مغشيا عليه ، لكن المسيح طمأنه ومضى معه .. فلما دخل منزله رأى النساء يبكين فقال لهن : « **لماذا تنتحبن ؟ ان الصبية لم تمت وانما هى نائمة !** » فضحكن ساخرات ، لكنه أمسك بيد الصبية وقال : « **ياصبية ، لك أقول قومى** » ، فنهضت فى الحال !

٢ ـ السنة الثانية

أرغفة الخبز والسمكات

◆ **وكانت** الملكة هيروديا قد أدخلت فى روع زوجها الملك هيرودس انه بقتله « يوحنا المعمدان » يتحرر من الشكوك التى سمم بها يوحنا ذهنه بصدد اغتصابها من زوجها الاول ـ أخيه ـ كما أوهمته ان الشعب سيهدأ بعد موت يوحنا ويكف عن التنديد بها وبزواجها الباطل من الملك ! .. لكنها أخطأت الحساب فى الناحيتين : فان موت يوحنا لم يطرد من مخيلة الملك كلماته وتحذيراته له ولزوجته ، كما ان اضطلاع المسيح بالرسالة التى كان يوحنا مجرد « ممهد » لها قد نشر مبادىء هذه الديانة الجديدة فى أنحاء المملكة بصورة لم تخطر ببال أحد ! .. وهكذا ذاع صيت المسيح بعد قتل يوحنا خمسين ضعفا ، وانتشرت تعاليمه فى كافة الارجاء ، سيما بعد أن منح الله تلاميذه القدرة على الشفاء والقيام بالمعجزات فرفع المسيح عينيه الى السماء وصلى شاكرا ، ثم قال : « **تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وأنا أريحكم** »

وكانت هذه الاخبار تصل الى مسامع هيرودس عن طريق جواسيسه ، الذين أبلغوه أن التعاليم الجديدة قد انتشرت فى ٢٠٤ من البلدان والقرى ! **وزاد انزعاج الملك حين بلغه أن المسيح قد أطعم خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة**



العذراء والمسيح » : للرسام «دولسى» (لوحة بمتحف بورجيزى بروما)

شعير وسمكتين ، كانت مع غلام من الحاضرين ، وبعد أن أكلت الجماهير بقى من الخبز ما ملأ ١٢ سلة أخرى ! ـ ولم يكن فى وسع الملك انكار هذه المعجزة ، فقد شهدها ٥٠٠٠ شخص ! ـ ثم تناهى الى هيرودس أن عصابة من الثائرين قد تألفت برئاسة المدعو « باراباس » ، لتخليص البلاد من الحكم الرومانى بالقوة ، وانهم قد تآمروا فيما بينهم على خطف المسيح عنوة وتنصيبه مكان هيرودس . وحين حاولوا تنفيذ المؤامرة رفض المسيح فكرتهم واختفى عنهم فى الجبال !.. ومع ذلك فقد خشى هيرودس أن يضعف المسيح عن الصمود أمام هذا الاغراء طويلا ، فيجىء يوم يقبل فيه الفكرة وينتزع منه عرشه ! ومن هنا نصح اتباع الملك له أن يستأصل الخطر من أساسه قبل أن يستفحل ، وذلك بالتخلص من المسيح فى أقرب فرصة ! .. وفى نوبة هلع هيرودس من زوال ملكه ، فكر فى أن يقابل المسيح وجها لوجه ، لكن زوجته خشيت أن يتأثر بشخصية هذا النبى الجديد فيقع تحت سلطانه ، فأقنعته بنبذ هذه الفكرة !.. وأصدر الملك أمره الى رجال الشرطة باضطهاد المسيح وتلاميذه وأتباعه ، فارتد عدد من هؤلاء الاتباع خوفا من غضب « القصر » .. كما ارتد عدد آخر بدافع الضيق بصرامة التعاليم الجديدة وماتفرضه من تزمت قاس !.. وانتهز « الفريسيون » اليهود هذه الفرصة فراحوا يشددون النكير على المسيح وينصبون الشباك لاحراجه فى كل مناسبة ، فسألوه مرة أمام المستمعين له : « لماذا تأكل أنت وتلاميذك أطعمة محرمة ، وبأيد غير مغسولة ؟ » فأجابهم على الفور : «ينطبق عليكم قول أشعياء النبى : « هذا الشعب يعبدنى بشفتيه ، أما قلبه فبعيد عنى ! .. ألا تعرفون ان ما يدخل الفم لاينجس الانسان ، وانما ينجسه مايخرج منه»! ـ يقصد الكلام الذى ينطق به الفم !

التجلى

◆ وارتحل المسيح شمالا الى (صيدون) ، وهى ميناء على ساحل البحر الابيض تعد من أقدم مدن العالم . وقد حسب انه سيقضى هناك وقتا يستجم فيه ويستريح ، حيث لايعرفه أحد .. ولكن لم تنقض فترة قصيرة حتى شاع خبر وجوده ، فكان ذلك بمثابة نهاية عطلته ، اذ توافد اليه المرضى والمصابون من كل مكان كى يشفيهم . وجاءته امرأة فينيقية تتوسل اليه أن يشفى ابنتها التى كان بها « روح نجس » ـ ولعلها كانت مصابة بنوع من « الصرع » ـ لكنه أراد أن يمتحن قوة ايمانها باهانة تستفزها ، فقال لها : « لايليق أن يؤخذ خبز الابناء ليطرح للكلاب » .. فأجابته دون أن يخور ايمانها : « ياسيد ، ان الكلاب أيضا تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها ؟ » ، فأعجب المسيح بايمانها وشفى ابنتها .. ثم عاد الى (الجليل) حيث شفى رجلا كان أعمى وأصم !

•• وفى اليوم التالى أعاد معجزة الطعام فأشبع ٤ آلاف نفس من ٧ أرغفة وبضع سمكات !

وبدأ المسيح يعلن لتلاميذه انه سيذهب الى أورشليم حيث يضطهده أعداؤه ويسلمونه للموت ! •• وبعد أيام كان مع تلاميذه بطرس ويوحنا ويعقوب فوق جبل قريب ، فركع ليصلى • وفجأة شعر التلاميذ بأن حادثا غير طبيعي يجرى له: اذ تغيرت هيئته ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج ، فقال بطرس : « لقد تجلى لنا المسيح على حقيقته ! » •• ثم ظهر الى جانبيه شبحان أخذا يتحدثان معه — **ولم يدر التلاميذ كيف عرفا فى ذينك الشبحين ، النبيين « موسى » و « ايليا » !•• فقد كان المنظر كله خارقا لطاقة البشر ، حتى لقد تثاقلت — وهم يشهدونه — عيونهم ، واستسلموا للنعاس •• وحين استيقظوا فى ختام هذا « التجلى » قال بطرس : « هيا ، فلنصنع ثلاث مظال تظللكم : لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة » ، واذ ذاك خيمت عليهم سحابة ظللتهم جميعا ، وسمعوا صوتا يقول : « هذا هو ابنى الحبيب ، له اسمعوا » •• فسقط التلاميذ من شدة الرعب على وجوههم ، ولم يستطيعوا النهوض الا بعد أن لمسهم المسيح • واذ تلفتوا حولهم لم يجدوا غير المسيح وحده !**

درس فى التواضع

◆ **وصار** المسيح يعلن لتلاميذه أنه سيموت ميتة شنيعة ، على يد أولئك الذين كان ينتظر أن يقفوا بجانب الحق • ثم طلب اليهم ألا يخبروا أحدا برؤيا « التجلى » الا بعد أن يقوم من بين الاموات • واذ ذاك أساءوا فهم قصده فظنوا أنه بعد قيامته سيتخذ له مملكة على الارض ، يشغلون هم فيها مراكز رفيعة ، فبدأوا يتنافسون على هذه المراكز ، وعلى من يكون الرئيس منهم ومن يكون المرؤوس ! •• واذ علم يسوع مايدور بخلدهم قال لهم : « **من أراد منكم أن يكون الاول فليكن الاخير ، وليكن خادما للجميع !** » •• ثم أمسك بطفل وأوقفه فى وسطهم وقال : « **ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات • من خدم طفلا كهذا باسمى فقد خدمنى ، ومن خدمنى فقد خدم الذى أرسلنى •** »

٣ ـ السنة الثالثة

الراقصات فى الهيكل !

◆ **ورغم** أن جواسيس رؤساء اليهود لم يفلحوا فى الايقاع بالمسيح فى شراكهم المتوالية خلال عامين كاملين ، فانهم لم ييأسوا •• لكن الخطر الحقيقى بدأ يحيق به وبتلاميذه منذ اقتراب « عيد المظال المشهور » ، الذى كان يقال فى

وصفه : « من لم يره ، لم ير مجد أورشليم ! » .. وقد بدأ الثلاثة عشر رحلتهم الخطرة الى العاصمة ، يحف بهم الخصوم والجواسيس فى كل خطوة . حتى (السامرة) التى طالما رحبت بهم فى الماضى وأضافتهم ، قابلتهم الآن بفتور ، **الأمر الذى أثار ثائرة يوحنا ويعقوب فطلبا الى المسيح أن ينزل نارا من السماء على أهل المدينة لتلتهمهم ! ولكنه هز رأسه فى أسى وقال : « الى متى تظلون تجهلون اننى ماجئت لأهلك بل لأخلص ؟!»**

وقد أدهشت تعاليمه أولئك المتربصين به ، فتساءلوا : « من أين له هذه الحكمة ، وهو لم يتبحر فى العلم ؟ » .. وحين اقترب موكبه من العاصمة سبقه اليها تلاميذه . وكانت أورشليم تموج بالوافدين اليها من كل حدب وصوب ليحتفلوا بالعيد العظيم فى خيام يستأجرونها ليعيدوا ذكرى أسلافهم البدو الرحل الذين كانوا يقطنون فى مساكن من جلد الماعز .. **وكان الهيكل فى تلك الليلة شعلة من الأضواء والزينات ، تموج ساحته الامامية بحملة المشاعل ،والراقصات ذوات الدفوف والصاجات ، والعازفين على الآلات الوترية .. وبعد أن قضى التلاميذ الليلة قرب الهيكل أشرق الفجر فتبع الشعب كهنته الى بركة سليمان التى كانوا يأخذون من مائها فى آنية من الذهب الخالص ثم يسكبون الماء فوق مذبح الهيكل ..**

من كان منكم بلا خطيئة ..

◆ **أما** المسيح فقد قضى الليلة فوق جبل الزيتون ، شرقى العاصمة ، بينما كان أعداؤه يتشاورون فى الهيكل للايقاع به وقتله ، بطريقة لاتثير غضب أتباعه الذين صاروا يعدون بعشرات الألوف !.. وبعد أن دبروا مكيدتهم حان موعد تنفيذها فى اليوم التالى ، والمسيح جالس فى الهيكل يلقى عظاته وتعاليمه ، **فقد ظهر أمامه فجأة جماعة أمسكوا بتلابيب امرأة أوقفوها أمامه قائلين :«ياسيد، لقد ضبطت هذه المرأة وهى تزنى ، وشريعة موسى تقضى برجمها ، فماذا تقول أنت ؟ »**

وكانت حيلة ماكرة ، فقد كانوا واثقين من أن ابن الناصرة المتسامح ذا القلب الرحيم لن يأمر برجم المرأة .. ولو طلب اليهم ـ من الناحية الاخرى ـ تجاهل حكم الشريعة الذى يقضى برجمها ، كان مجرما فى حق الناموس وجزاؤه القتل ! .. فياله من شرك محبوك !

أما المسيح فقد راح ينقل بصره بينهم ، ثم انحنى وبدأ يكتب بأصبعه على التراب .. ثم رفع رأسه وقال للشاكين : « **من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر ! » ، ثم انحنى مستأنفا الكتابة على الارض .. فكان كل من يتقدم منهم مدفوعا بحميته لينفذ الحكم ينظر الى مايكتبه المسيح على الارض ، فيقرأ خطاياه مكتوبة على التراب .. فيتراجع وينصرف مطأطىء الرأس !.. وهكذا انسحب**

الجميع ـ شيوخا وشبانا ـ واحدا بعد الآخر ، فلما فرغ المسيح من تعداد خطايا القوم ورفع راسه ، لم يجد أمامه سوى المرأة الزانية ٠٠ فنظر اليها نظرة العطف والرثاء ، وابتسم لها فى غير ازدراء ـ وهى ذاهلة من مسلكه المتسامح ـ ثم سألها : « أين أولئك المطالبين برجمك يا امرأة ؟ ألم يدنك أحد منهم ؟ » ٠٠ فأجابته : « لاأحد ياسيد » ٠٠ فقال لها : « ولا أنا أدينك ٠٠ اذهبى ولا تخطئى ثانية »

فانصرفت المرأة كالمصعوقة ، لاتصدق أذنيها !

معجزة الاعمى

◆ **أثارت** قصة تلك الزانية اعجاب أهل أورشليم بالمسيح ، لا فى البيوت والمجتمعات فحسب ، بل بين أعضاء الهيكل الاعلى أنفسهم ٠ لكن ذلك لم يزد أعداءه الا اصرارا على تدبير مكيدة جديدة له !٠٠ ولم ينتظروا طويلا ، فقد صادف المسيح يوما فى أحد الازقة رجلا ضريرا ، وكان التلاميذ يعرفون أنه مصاب بالعمى منذ ولادته ، فسألوا المسيح : « **يا معلم ، هل أخطأ هذا الرجل ، أم أخطأ أبواه ، حتى انه ولد هكذا أعمى ! » ٠٠ فأجابهم على الفور : « لم يخطىء هو ولا أبواه ، وانما ولد هكذا كى تتمجد فيه أعمال الله ! » ٠٠ ثم بصق على الارض وعجن من البصاق طينا ، دهن به عينى الاعمى ، وقال له : « اذهب فاغتسل فى بركة سليمان » ٠٠ فلم تمض لحظات حتى عاد الرجل يرقص طربا ٠٠ فقد أبصر !**

جن الفريسيون وأعداء المسيح غيظا ، ولم يجدوا ما يتقولون به عليه سوى انه « شفى المريض فى يوم سبت ، فكسر بذلك شريعة موسى ! » ٠٠ وحين أفاقوا من تأثير الصدمة أشاعوا أن الرجل كان يدعى العمى كذبا من قبل ! لكن والديه كذباهم اذ شهدا بأن ابنهما كان أعمى منذ ولد ٠ وسئل الرجل نفسه : « كيف تزعم أن خاطئا مثل هذا استطاع أن يشفيك ؟ » فأجابهم : « لست أعرف اذا كان خاطئا أم غير خاطىء ، وانما أعرف شيئا واحدا ، هو أننى كنت أعمى ، والآن أبصر ! »

فئتان من النساء !

◆ **وكان** بين أصدقاء المسيح أسرة فى بلدة (بيت عنيا) مكونة من شاب يدعى « اليعازر » ، وشقيقتيه « مرثا » و « مريم » ٠٠ فكان كلما مر بالبلدة يعرج على بيتهم فيكرمون وفادته ويستمعون الى تعاليمه ، ولا سيما مريم التى كانت تجلس عند قدميه تصغى بانتباه ، بعكس أختها « مرثا » التى كانت ـ كسائر نساء اسرائيل ـ تؤثر باهتمامها الشئون المنزلية ، دون الامور الفكرية أو الروحية ٠ **وذات يوم أقبلت مرثا على المسيح تشكو اليه فى انفعال أختها**

التى تتركها تخدم بمفردها ! .. فأجابها المسيح فى هدوء : « أنت تهتمين بأمور كثيرة ، أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها الى الابد » .. وبذلك فتح المسيح أمام مريم باب الدخول الى ميدان الفكر الذى كان حتى ذلك الوقت وقفا على الرجال ، فصارت نواة المرأة العصرية التى تقف اليوم مع الرجل على قدم المساواة !

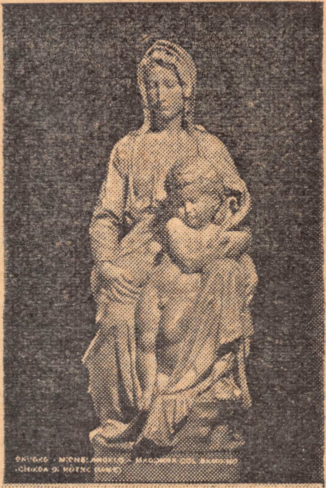
وتوالت معجزات المسيح .. صار يفتح عيون العمى ، ويطهر البرص ، ويشفى المرضى بأمراض مستعصية .. فتحير أعداؤه كيف يوقعون به ! .. وفكر ثرى منهم فى دعوته الى مأدبة فاخرة ، عله ينجح فى استمالته الى صفوفهم. واذ علم المسيح بما يطويه ضمير الرجل قصد أن يلقى عليه درسا ، فجلس الى المائدة دون أن يغسل يديه . ولما امتعض الرجل ، قال له المسيح : « **انكم أيها الفريسيون تطهرون الكأس من الخارج وتتركون باطنكم ممتلئا خبثا .. يامراءون، انكم مثل القبور المبيضة من الخارج ، وهى من الداخل مملوءة عظاما نتنة !** »

الأغنياء .. ودخول الجنة !

◆ **علم** المسيح بقرب نهاية اقامته على الارض ، ووجوب اعداد التلاميذ للرسالة التى سيضطلعون بها بعده ، فحدثهم عن أحكام ديانته فيما يتصل بمشكلات الحياة الاجتماعية ، كالزواج والعزوبة والطلاق ، فسأله أحدهم : « أيهما أفضل للانسان الذى يبغى ارضاء ربه : العزوبة أم الزواج ؟ » ، فأجاب : « لمن شاء باختياره ، أن يتحرر من الرباط العائلى ومسئولياته كى يخصص نفسه لخدمة ربه .. »

وجاءت اليه أمهات بأطفالهن كى يباركهم ، فلما حاول التلاميذ ابعادهن ومنعهن من الاقتراب انتهرهم المسيح قائلا : « **دعوا الاولاد يأتون الى ولا تمنعوهم ، لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات** » .. ثم تحدث الى الجموع عن اهتمام الله بالفرد ، فقال : « **ان العصفور الذى يباع بفلس ، ليس منسيا أمام الله .. بل ان شعور رؤوسكم محصاة عنده . ولكل شخص ـ مهما انحط شأنه ـ قيمته الفريدة فى نظر الله** » .

ثم حدثهم عن ألمه لقسوة الاغنياء على الفقراء ، فسأله شاب غنى : « ماذا أفعل لأرث الحياة الابدية ؟ » فأجابه : « **احفظ وصايا الرب** » . فقال الشاب : « حفظتها كلها منذ حداثتى ! » .. فنظر اليه المسيح بعطف وقال له : « **اذهب بع كل مالك ووزع ثمنه على الفقراء ، ثم تعال اتبعنى** » .. فمضى الشاب حزينا كاسف البال ، اذ كان من الاثرياء ، وعندئذ قال المسيح عبارته المشهورة : « **ان دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من دخول الاغنياء ملكوت السموات !** » ـ ولم يقصد بثقب الابرة معناه الحرفى ، بل كان يرمز به الى فرجة ضيقة فى



« العذراء والطفل » : تمثال للفنان الخالد « ميكيل انجلو »

أسوار المدينة كانت تفتح فى المساء ، عند الضرورة ، ولا يكفى اتساعها الا لدخول جمل بكل جهد ، وبعد تجريده من كل أحماله !

ثم ألقى درسا آخر عن التسامح وغفران خطايا الغير، فلما سأله أحدهم : « كم مرة فى اليوم يجب أن أغفر لأخى خطاياه ، أسبع مرات ؟ » .. فكان جوابه : « **بل سبعين مرة فى سبع مرات !** »

يقيم الموتى !

◆ **ووصلت** الى المسيح رسالة من « مريم » و « مرثا » تقول ان شقيقهما « اليعازر » الذى يحبه مريض . لكنه تباطأ فى الذهاب اليه ، عامدا ، بغية تقوية ايمان التلاميذ . **وبعد يومين قال لهم : « ان حبيبنا اليعازر قدمات ولكنى ذاهب لأوقظه » ..وعند ما وصل الى بيت الاسرة هرعت اليه « مرثا » تاركة البيت يموج بالباكين والنادبين ، وقالت له فى لهجة عتاب : « يا سيد ، لو كنت هنا لما مات أخى ! » فأجابها : « سيقوم أخوك » فقالت : « أعلم انه سيقوم يوم القيامة » .. لكنه أجابها : « أنا هو القيامة والحياة . ان آمنت ترين مجد الله » .**

ثم جاءته مريم وركعت عند قدميه باكية معاتبة بدورها ، فسألها : « أين وضعتموه ؟ » . فلما أرته القبر ، بكى يسوع .. ثم طلب أن يدحرجوا الحجر الذى يغطى القبر ، فلما فعلوا نظر الى السماء وصلى قائلا : « أيها الاب ، لكى يؤمن هذا الشعب أنك أرسلتنى ، أسألك أن تستجيب لى » .. وتلت ذلك فترة سكون مطبق رهيب ، صرخ بعدها المسيح بصوت مدو : «اليعازر ، هلم خارجا» .. فتحرك الميت ، ثم نهض ، وهو لا يزال مقيدا بالاكفان ! .. فقال المسيح : « حلوه ، ودعوه يذهب » .

ومن اليسير تصور الاثر المدوى الذى كان لبعث اليعازر حيا ، بعد أن شيع الناس جثمانه وواروه التراب ! .. بل ان ذلك الحادث كانت له نتائج واحتمالات

سياسية خطيرة ، والا فأى هيبة تبقى للرؤساء والكهنة والحكام بعد أن يلتف الشعب كله حول المسيح ؟! .. ثم ان تعاليمه ستؤثر على الطقوس والفروض التى درت عليهم ثروات طائلة ، واذا ضعف نفوذهم فسوف تمتنع الدولة الرومانية عن التعامل معهم وتؤثر التعامل مع المسيح الذى أصبح يمثل الشعب ! .. فلا عجب اذا طار النوم من عينى « قيافا » زوج ابنة رئيس الكهنة ، وأصيب من جراء انزعاجه بداء معوى صار ينتابه بعد كل وجبة طعام .. الخ

وأخيرا ، وبعد التشاور الطويل ، قرر « قيافا » مع أتباعه أنه « خير أن يموت فرد من الشعب ، من أن يهلك الشعب كله ! »

أما المسيح فكان فى تلك الاثناء يعلن لتلاميذه أنه قد اقترب اليوم الذى سوف يسلم فيه الى أيدى الرؤساء والكهنة الذين سيضطهدونه ويسلمونه للموت .. لكنه سوف يقوم فى اليوم الثالث !

توبة « زكا » العشار

◆ **وحل** موعد عيد الفصح ، العيد الاكبر الذى يتجه فيه الشعب كله الى أورشليم ، لزيارة الهيكل وتقديم « حمل » الفصح ، قربانا ورمزا لذكرى خروج بنى اسرائيل من أرض مصر وخلاصهم من العبودية . وتأهب المسيح وتلاميذه للذهاب الى أورشليم لتمضية أيام العيد فى هيكلها ، مثل غيرهم من آلاف الحجاج. لكن التلاميذ لم يدركوا مغزى هذا السفر ونتائجه ، رغم تذكير المسيح لهم بأنه سيتألم ..

وفيما كان الركب مجتازا بلدة أريحا ، أراد رجل اسمه « زكا » أن يرى المسيح ، لكن لقصر قامته وشدة الزحام ، لم يجد سبيلا الى ذلك ما لم يتسلق شجرة جميز ، ففعل . كان زكا رئيس « العشارين » ، أى جباة الضرائب الذين يحصلون لحساب الحكومة الرومانيـــة عشر دخل الافراد من كل شىء ، حتى المأكولات والمزروعات ! وبحكم وظيفته هذه كان زكا مكروها ومحتقرا من الشعب، لذلك كانت دهشة الجماهير بالغة حين سمعوا المسيح يخاطب زكا عندما مر موكبه تحت الشجرة التى يربض فوقها ، : « أسرع وانزل يا زكا لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك ! » .. يا لفرحة زكا المحتقر المنبوذ ، بهذا الشرف .. ويا لغيظ الفريسيين وحنقهم اذ يرون المسيح يدخل بيت رجل «خاطىء» ـ فى نظرهم ! ـ على أن زيارة المسيح لبيت زكا كان لها فى نفس الاخير أكبر الاثر ، فقـــد وقف فى نهايتها وقال : « يا رب ، ها أنا أهب نصف أموالى للمساكين ، واذا كنت قد وشيت بأحد ، أرد دينى أربعة أضعاف ! »

ومر المسيح أثناء رحلته الى أورشليم بقرية (بيت عنيا) ، وجلس ليتناول الطعام فى بيت رجل يدعى « سمعان » ، فجاءت مريم أخت اليعازر ـ الذى كان

جالسا بجوار المسيح ـ وجثت عند قدميه ثم فتحت قارورة « طيب » غالى الثمن وصبت محتوياتها عليهما ثم مسحتهما بشعرها الطويل الحالك المسترسل ٠٠ فتبادل الفريسيون نظرات الغيظ والحقد ، ولا سيما يهوذا تلميذ المسيح الذى كان أمينا لصندوق الفقراء ـ وسارقا ! ـ ثم تساءلوا متهامسين : « **لماذا هذا التبذير ؟ أما كان الافضل أن يباع هذا الطيب ويودع ثمنه فى صندوق الفقراء ؟» ٠٠ لكن المسيح حدس أفكارهم ، فقال لهم : « لم تضايقون المرأة ؟ لقد فعلت ذلك لتكفننى ! ٠٠ وأقول لكم انه ما بقى الانجيل سوف يبقى ذكر ما فعلته هذه المرأة ! »**

الموكب الخالد ٠٠ فى أحد السعف

◆ **وفى** اليوم التالى استأنف المسيح رحلته مع تلاميذه صوب أورشليم ، وكان يوم الاحد السابق لعيد الفصح ، وقد ازدحم الطريق بالحجاج الذين أمسكوا فى أيديهم بسعف النخل ٠٠ لكن ما كان يبدو للتلاميذ انه سفر للحج ، احتفالا بعيد الفصح ، انتهى بما يمكن أن يسمى « أعظم انتصار حدث على مر العصور ! »

٠٠ لم يكد الركب يصل الى جبل الزيتون ، القريب من العاصمة ، حتى التف الشعب فجاة حول المسيح ، وفى أيديهم سعف النخل ، يلوحون به قائلين : « أوصنا ، (مبارك) الآتى باسم الرب» ٠٠وصاروا يفرشون له ثيابهم فى الطريق **٠٠ وان الاساطير التى تصف روعة موكب قيصر وهو يمر تحت أقواس النصر فى عاصمة ملكه ، لتقصر أن تكفى لوصف موكب النصر هذا الذى تالف فجاة ، فى لحظة ! ٠٠ وبعد أن كان المسيح واحدا من آلاف الحجاج المسافرين ، انفرد على حين غرة بأنه أصبح رئيس الحفل ، ومحط أنظار الشعب !**

واذ وصل الركب الى ساحة الهيكل ، تقاطر الاطفال حول المسيح هاتفين : « أوصنا (مبارك) ابن داود ؟ » ٠٠ أما الرؤساء والكهنة فكان سيل حنقهم قد بلغ الزبى ، فصمموا على وجوب وضع حد للامر ! ٠٠ وفى تلك الاثناء امتلأ الهيكل باتباع المسيح ، بل وبالغرباء الذين جاءوا لمشاهدة « النبى العجيب » ! ٠٠ وأراد أعداؤه أن يوقعوا به ، فسألوه : «هل ندفع جزية لقيصر ؟» ٠٠ وكان السؤال ينطوى على «فخ» منصوب : فلو قال «لا تدفعوا الجزية» لما استحق من الامبراطور الرومانى أقل من عقوبة الموت ، جزاء له على تحريضه الشعب على التمرد ! ٠٠ ولو قال « ادفعوا الجزية لقيصر » لخسر عطف الشعب وتعلقه به بصفته عدو الظلم والنفاق !

وعرف المسيح قصد السائلين على الفور ، فقال : « أرونى قطعة عملة ٠٠ لمن هذه الصورة التى عليها ؟ » فقالوا : « لقيصر » ٠٠ قال : « **اذن ، اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! »**

وفى اليوم التالى ـ الخميس ٧ ابريل سنة ٣٠ ميلادية ـ استأنف المسيح القاء تعاليمه فى الهيكل ٠٠ ومن نافذة غرفته كان « حنانيا » ـ رئيس الكهنة ـ يسمع حركة الشعب فى الخارج ، وتقاطر الالوف المؤلفة من الناس لسماع تعاليم هذا النبى الجديد ٠ وفجأة دخل « قيافا » ـ زوج ابنته ـ وبدأ يحدثه عن خطر المسيح على مركزهم ، وكيف انه يفتح أذهان الفقراء على مدى التفاوت بينهم وبين الاغنياء ، كما أن معجزاته العديدة تزيد من التفاف شعبه حوله ! واذ ذاك قال حنانيا : « **اذا كان الامر كذلك فيجب أن يعدم هذا الرجل ، ويعدم فورا قبل أن يتنبه الشعب فيثور غضبا واحتجاجا !٠٠ ولما لم يكن بد من تصديق الوالى «بيلاطس البنطى» على الحكم ، فانى أترك تدبير ذلك كله لحذقك وحكمتك ! » ٠٠ فأجابه قيافا : « لقد دبرت الامر فعلا بالاشتراك مع واحد من تلاميذ المسيح يدعى « يهوذا الاسخريوطى » ، وقد تعهد بارشاد رجال الشرطة الى مكان المسيح وشخصه ، خشية أن يختلط الامر عليهم ساعة القبض عليه ، من فرط الزحام ، فيخطئون ! »**

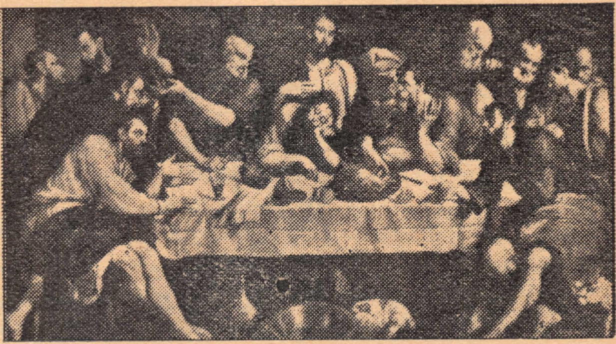
ثم نادى قيافا « يهـوذا » ليقابل حنانيا ، فكرر أمامه استعداده لتسليم المسيح الى رجال الشرطة ، بشرط أن يعده بعدم ايذاء المسيح ، والاكتفاء بوضعه تحت الحـراسة ! ٠٠ ثم شهد له بالطيبة وطهارة اليد ، وقرر أنه يؤمن بكل أعماله ٠ فلما سئل عن سبب خيانته له اذن ، قال انه بدأ أخيرا يتحدث حديثا غريبا عن الملكوت ! ٠٠ وفى نهاية المقابلة قدم « حنانيا » ليهوذا ثلاثين قطعة من الفضة ، مكافأة له على الخيانة ، فتردد قليلا فى أخذها ، ثم قبلها !

العشاء الربانى (الأخير)

◆ وفى المساء جلس المسيح يتناول العشاء مع تلاميذه ٠ ولم يدر بخـاطر هؤلاء أنها آخر مرة يأكلون فيها مع معلمهم ، فأخذوا يتناقشون فى : من منهم سيكون الاعظم ! ولم يشأ المسيح أن يدع هذه المناسبة تمر دون أن ينتهزها لالقاء درس آخر عليهم فى التواضع ، **فاتزر بمنشفة وصب ماء فى وعاء ثم بدأ يغسل أقدامهم ، وهو يقول لهم : أنتم تدعوننى معلما وسيدا ، فان كنت وأنا كذلك قد غسلت أقدامكم ، فكم بالاحرى ينبغى أن يغسل بعضكم اقدام بعض !؟»**

ولاحظ التلاميذ ارتباك يهوذا الاسخريوطى ، أمين الصندوق ، اذ لم تبد عليه بهجة العيد ! واذ شرعوا يأكلون ، قال المسيح : «ان واحدا منكم سيسلمنى !» ٠٠ فتبادلوا النظرات الحائرة ، ثم سأله يوحنا : « من منا ياسيد ؟ » ٠٠ فأجاب : « هو الذى اغمس اللقمة وأعطيه اياها ! » ثم غمس لقمة واعطاها ليهوذا !

وأردف : « لقد اشتهيت أن أتناول طعام الفصح معكم قبل أن أتألم » ٠٠ ثم تناول خبزا وكسر ثم شكر وقال : « خذوا كلوا ، هذا هو جسدى الذى



« العشاء الاخير » لوحة للرسام « باسانو » بمتحف بورجيزى بروما

سيبذل فداء لكم · اصنعوا هذا كلما أكلتم لذكرى » ·· ثم تناول كأسا من نبيذ الكروم قدمها اليهم قائلا : « اقتسموا هذه بينكم ، فهذه الكأس هى العهد الجديد ابذله لكم بدمى الذى سيسفك من أجلكم · اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى » ·· فأكلوا جميعا وشربوا ، ما عدا يهوذا الذى كان قد تسلل من بينهم وخرج !

يتخذون الهيكل سوقا للمرابين وباعة الحمام !

◆ **كانت** تلك الكلمات بمثابة وداع ، وايذان بالفراق بين المسيح والذين أحبهم فى هـذا العالم ، ولو انها تضمنت وصايا للاجيال التالية من اتباعه والمؤمنين برسالته ·· فقد كان مما قاله للتلاميذ ليلتئذ : « **هذه وصيتى لكم : أن تحبوا بعضكم بعضا كما احببتكم ، فليس فى الحب درجة أعظم من أن يبذل المرء نفسه من أجل أحبائه · وأنتم أحبائى ان فعلتم ما أوصيكم به »·· فقال له بطرس : « يا رب ، انى مستعد لأن أمضى معك حتى الى السجن أو الموت ! » ·· فأجابه المسيح : « أقول لك يا بطرس ، لا يصيح الديك فى الفجر حتى تنكر ثلاث مرات انك تعرفنى ! »**

واخذ يكلمهم ويزودهم بنصائحه ووصاياه فترة من الوقت ، ثم خرج واياهم الى حديقة يطلق عليها « جثيمانى »

فى ذلك الوقت كان المتآمران عليه ــ « حنانيا » و « قيافا » ــ قد أدركا ضرورة الاسراع فى تنفيذ مؤامرتهما ، انقاذا لمستقبل طبقتهما الارستقراطية من الخطر الذى يتهددها نتيجة لنشاط المسيح وتعاليمه ·· فاستقل حنانيا

عربته ، يتقدمها حملة المشاعل ويسير خلفها نفر من أتباعه ، وقصد الى قصر الحاكم « بيلاطس البنطى » - رغم كراهيته الشخصية له بحكم انه يمثل القوة الرومانية التى تحكم البلاد ، وبحكم أنه يكره اليهود - وحين بلغ القصر فتحت له الابواب فدخل ، ثم خرج بعد نصف ساعة متهلل الأسارير .. فقد حصل على وعد من بيلاطس بالموافقة على اعدام المسيح حين تعرض أوراقه عليه !

وعند ما وصل حنانيا الى بيته وجد فى انتظاره جمهرة من العمال الشرسين الماجورين الذين جمعهم قيافا كى يقوموا بمظاهرات عدائية صاخبة ضد أى شخص يسلطهم عليه . وكان الى جانبهم عدد من رجال الكهنوت الذين اتهمهم قيافا بالتقصير فى اداء واجبهم ، والا ما جرؤ المسيح على دخول الهيكل وقلب مناضد الصيارفة وطرد باعة الحمام والاغنام ، قائلا كلمته المأثورة : « بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ! »

وبالاضافة الى هؤلاء واولئك ، كان « قيافا » قد أعد فرقة رومانية مسلحة كى تسير فى مقدمة الموكب « المدبر » ، واتصل بأعضاء مجلس الرؤساء ليعد أذهانهم للاحداث المنتظرة ! .. ولم يلبث « يهوذا الاسخريوطى » أن وصل ، ليقود المتآمرين الى حيث يوجد المسيح .. فسأل حنانيا زوج ابنته : « اذن فأنت على استعداد ؟ » .. فأجابه قيافا : « نعم ، وفى الحال ! »

خيانة يهوذا !

◆ **كانت** الساعة قد جاوزت التاسعة مساء ، والظلام قد خيم على الكون ، حين قام « يهوذا » بدور الخيانة العظمى فقاد الجمع الى حيث كان المسيح يصلى فى حديقة « جثيمانى » ، على جبل الزيتون . وساءل الجنود الرومان بعضهم البعض متذمرين : « أيحشد كل هذا الجمع ، وهذه الاسلحة ، للقبض على رجل واحد ! » .. **وحين وصلوا الى المكان راح يهوذا يجيل بصره فى الظلام المخيم ، باحثا عن المسيح ، حتى رآه راكعا يصلى قائلا : « يا أبتاه ، ان شئت فلتجنبنى هذه الكأس .. ولكن لتكن ارادتك لا ارادتى » . وحين فرغ من الصلاة نهض الى حيث كان التلاميذ ، فوجدهم يغطون فى النوم ، فأيقظهم ليصلوا .. واذ ذاك تقدم منه يهوذا وقبله - وكانت هذه اشارة متفقا عليها بينه وبين المتجمهرين كى يعرفوا الشخص المطلوب القبض عليه ! وبالفعل تقدموا فى الحال فقبضوا عليه وساقوه أمامهم .. أما تلاميذه فهربوا مذعورين ، حتى لقد ترك أحدهم ثوبه فى يد الجندى الذى حاول الامساك به ، وهرب !**

واقتيد المسيح فى موكب شامت الى حيث كان « حنانيا » ينتظره .. فلما رآه ، أدهشه وأثار اعجابه ما بدا على « السجين » من مهابة ووقار ، وما لاح فى عينيه الواسعتين من صفاء وهدوء ينمان عن سكينة نفس ! .. وبادر رئيس



القبلة التى سلم بها يهوذا المسيح لاعدائه ! تمثال للفنان «اياكوميتى» بروما

الكهنة فوجه الى المسيح تهمة « التجديف على الله » وطلب محاكمته .. واذ ذاك سمعت صرخة أليمة صادرة من فم يهوذا الاسخريوطى الذى أمسك بتلابيب حنانيا قائلا : « أبالتجديف تتهمونه ؟ ألم تعدونى بـ .. ؟ » ، لكن جنديا بادر فكمم فمه بيده قبل أن يكمل العبارة .. بينما كان المسيح يقتاد - مقيد اليدين ! - الى حيث أعدت العدة لمحاكمته فى بيت الكاهن الاعظم . وكان الليل حالكا ، والطرق مقفرة الا من الشهود المأجورين لالصاق التهمة بالمتهم .

وتبع بطرس الجمع من بعيد ، فلما جلسوا حول النار فى دار الكاهن ، فى انتظار استدعائهم ، جلس بطرس بينهم ، ورأته جارية فقالت : «وهذا كان معه ! » فأنكر بطرس ذلك ، بل أنكر أنه يعرف المسيح ! وتكرر « الاتهام » وتكرر الانكار ثلاث مرات ، ثم صاح الديك .. فتذكر بطرس نبوءة المسيح له فى هذا الشأن ، فخرج من الدار وبكى بكاء مرا !

المحاكمة !

◆ **امتلأت** القاعة التى كانت معدة لمحاكمة المسيح بجماهير النظارة ، وكانت مضاءة بعشرات من مصابيح الزيت المشتعلة . وجلس القضاة - وعددهم نحو السبعين ! - على وسائد مطرزة ، على شكل نصف دائرة ، يهزون رؤوسهم ويلوحون بأيديهم مستغربين دعوتهم المفاجئة فى منتصف الليل ليحاكموا ذلك السجين ! .. **بينما جلس بالقرب منهم عدد من القضاة الشبان « الاحتياطيين » كى يحل أحدهم محل من يدهمه المرض أو الشلل ، أو الموت ، من القضاة الشيوخ أثناء الجلسة ، كى لا تتوقف . وكان أولئك القضاة يحفظون شريعة موسى عن ظهر قلب ، ولا ينقادون لغير تعصبهم الاعمى وخوفهم على مراكزهم ! وكانوا متضلعين فى علوم الطب ، والكيمياء ، والفلك ، والسحر ، واللغات**

الرومانية واليونانية والمصرية ، وغيرها .. !

ودخل حنانيا فى مهابة ، فجلس على وسادته على رأسهم . واذ ذاك ارتفع صوت قيافا يقول : « يسوع الناصرى ، تقدم » .. فاقترب المسيح حتى وقف بين عامودين من أعمدة القاعة ، بينما بدأ قيافا ينادى الشهود المأجورين ، فيشهد كل منهم - زورا - بما لقنه من أنه سمع المتهم « يجدف » على الله ، أو سمعه يقول انه سوف يهدم الهيكل ويعيد بناءه من جديد فى ثلاثة أيام !.. أو يقول انه ابن الله .. الخ

ووقف شاهد يدعى « نيقوديموس » يقول ان التاريخ لم يعدم مثالا لتجسد الله فى صورة انسان ، وانه ليس ثمة ما يمنع من اعادة الكرة .. ثم أضاف انه لا يجوز محاكمة المتهم دون أن تكون له هيئة دفاع . وختم كلمته بالقول انه يرى اطلاق سراح المسيح « وكفانا سهرا ، فان سنى تقتضينى أن أكون فى فراشى الآن ! »

موافقون .. موافقون !

◆ **ولو** أخذت أصوات الحاضرين على أثر سماع هذه الشهادة لاطلق سراح المسيح ، **لكن قيافا لم يلبث أن نهض ، يختال فى ثيابه الفاخرة ، وراح يصرخ بأعلى صوته محاولا التأثير فى القضاة ، متهما المسيح بالتجديف لانه قال انه ابن الله .. ثم التفت الى صغار الكتبة الذين أعدهم لهذا الغرض : « بماذا تحكمون أنتم على المتهم لو كنتم قضاة ؟ » فصاحوا بصوت واحد : « انه مجرم يستحق الموت ! » .. وبذلك أوحى الماكر للقضاة بالاتجاه المطلوب منهم تأييده فى حكمهم ! وفجأة نهض يهوذا الاسخريوطى صائحا : « أشهد أن هذا المتهم برىء . انكم وعدتمونى بما يخالف ما تقترفون الآن . ها هى فضتكم ! » .. وألقى بكيس النقود الفضية على الارض ، فتبعثرت محتوياته عند قدمى حنانيا ، ثم نظر الى المسيح والالم يمزق أحشاءه وشق طريقه الى الخارج ، واندفع الى حقل قريب حيث شنق نفسه فى غصن شجرة !**

أما قيافا فقد انتهى من مرافعته الى اثبات ان المسيح « مذنب » وأقره القضاة على ما رأى !

وفى تلك الساعات من فجر الجمعة ٧ أبريل ، كان الحاكم الرومانى «بيلاطس البنطى » ينتظر فى قصره نتيجة المحاكمة ، وهو يسخط على حظه الذى ألقى به فى هذه البقعة الصحراوية من الامبراطورية ، حيث يسود الجفاء العلاقات بينه وبين حنانيا وقيافا ، بحيث يخشى لو تحداهما أن يدبرا ثورة أو قلاقل فى البلاد تطيح به من منصبه !

وفجأة سمع ضجيج ، ثم دخل حنانيا وقيافا وفى أعقابهما المسيح ، وقد بدا

من هيئته أنه نال من اللكمات والتعذيب خلال الطريق ما لا يمكن وصفه ــ وكان المأجورون قد عصبوا عينيه بمنديل وراحوا يلكمونه ويسألونه مستهزئين: « **قل من الذى ضربك ؟!** »

وسأل بيلاطس زائريه عن التهمة الموجهة الى السجين فقالا انه مشاغب ، لا يدفع الجزية لقيصر ، ويقول انه ملك ، وانه ابن الله ! ٠٠ واذ ذاك وصلت رسالة الى بيلاطس من زوجته تقول له فيها : « اياك وادانة هذا البار ، فقد رأيت فى حلم أنه برىء ! » ، **فدهش بيلاطس لهذه الاحلام التى صارت تنتاب زوجته بشأن المسيح ، حتى جعلتها تتدخل ــ على غير عادتها ــ فى مهام عمله ! ٠٠ وطلب أن ينفرد بالمتهم ، فلما نظر اليه اهتز كيانه تأثرا أمام نظرات المسيح الوديعة ، وساءل نفسه : « هل أقتل هذه الروح ، أم أنقذها ؟ » ٠٠ ثم سأل المسيح : « هل أنت ملك اليهود ؟ » ، فأجابه : « أنت تقول ذلك ، لكن مملكتى ليست مملكة أرضية ، بل روحية » !**

اقتنع بيلاطس ببراءة المسيح ، وصلاحه وطهارته ، فاعتزم أن يطلق سراحه ــ سيما وقد قدر أنه سوف يموت لا محالة قبل أن تحين لحظة الصلب ، فانه لن يحتمل « مقدمات » ذلك الحكم ، التى تتضمن ضربه أولا ثم جلده أربعين جلدة ، بسوط فى طرفه مسامير تمزق الجلد ! ــ ومن ثم اصطحب الحاكم سجينه وسار به الى شرفة القصر ، حيث كان ينتظر حنانيا وقيافا والشعب المتجمهر ٠٠ **فلم يكد المتجمهرون يلمحون يسوع حتى بدأوا يصرخون ويزأرون كالوحوش ، مستهزئين ساخرين ٠٠ لكنهم حين ظهر بيلاطس لاذوا بالصمت ، فصارحهم بانه لا يجد فى المتهم علة يستحق من أجلها الموت ، فلقد صرح بأن مملكته روحية وليست أرضية ، ومن هنا لا تنطبق عليه تهمة ادعاء الملك ٠٠ ثم ختم بيلاطس كلمته بأنه يرى احالة المتهم على الملك هيرودس كى يفصل فى قضيته ، بحكم انتماء المسيح الى منطقة (الجليل) التى يحكمها هيرودس ، لا منطقة أورشليم التى يحكمها هو ــ بيلاطس ٠٠**

ولم تفلح زمجرة حنانيا وقيافا ومأجوريهما فى اثناء بيلاطس عن رأيه !

اصلبه !٠٠ اصلبه !

◆ **كان** هيرودس جالسا بين محظياته ، وقد أكل وشرب حتى ثمل ٠٠ فلما أدخل عليه المسيح راح يمزح ، طالبا اليه أن يقوم باجراء معجزة أمامه ! ثم سخر منه مكررا وهو يمثل الخضوع والخشوع للمتهم : « **اذن فأنت ملك اليهود ؟ السلام عليك أيها الملك ! لماذا تقف جامدا تحدق فى عينى هكذا ! انك كقريبك يوحنا المعمدان الذى قطعت رأسه ، ورقصت به « سالومى » على طبق ! ٠٠ لكنى لن اعيد الكرة وأطيح براسك ، فقد فعلت ذلك مرة وكفانى !**

واذا لم يكن بد من ذلك فعلى بيلاطس أن يقوم بهذه المهمة ، فان الذنوب التى ارتكبها الرجل وقعت فى منطقة أورشليم التى يحكمها هو ! ٠٠ أيها الجنود ، خذوه فقد حسبته ساحرا سوف يرفه عنى بشعوذته ! »

رحل السجين ، وأغلق الباب ٠٠ لكن هيرودس ظل مضطربا ، تماما كما حدث لبيلاطس !

وأعيد المتهم الى بيلاطس ، وكان يجلس الى زوجته التى هددته بالانفصال عنه اذا أدان ذلك البرىء ٠٠ فازدادت حيرة الحاكم بين ارضاء ضميره وزوجته ، وبين ارضاء رؤساء الكهنة الذين يستند حكمه الى مناصرتهم اياه ! ٠٠ وكان حنانيا وقيافا قد أنهكهما التعب بعد مشقة الذهاب والاياب من مكان الى آخر وراء السجين ، فتورمت أقدامهما وشحب وجهاهما ٠٠ وقال بيلاطس : « لست أرى فيما فعل هذا الرجل ما يستحق من أجله الموت ، فقد فحصت قضيته بعناية ٠ وها هو هيرودس قد رأى رأيى وأعاد المتهم ثانية ٠٠ فلأطلق سراحه وانتهى من أمره » ٠٠ ولكن هنا ثارت ثائرة الكاهنين وثار معهما المتجمهرون المأجورون ، فعلا صراخهم : « اصلبه ! ٠٠ اصلبه ! »

وكانت العادة قد جرت على أن يطلق سراح أحد المسجونين فى عيد الفصح – على سبيل العفو عنه – فبذل بيلاطس محاولة أخرى لانقاذ حياة المسيح ، بأن اقترح ان يكون هو السجين الذى يطلق سراحه فى هذه المناسبة ٠ ولكن كان عليه ان يحتكم فى هذا الشأن للشعب أولا ، فخير المتجمهرين بين ان يطلق لهم سراح المسيح أو سراح سجين آخر يدعى « باراباس » ٠٠ لكنهم صرخوا جميعا بصوت واحد : « اطلق لنا باراباس ! » ٠ فعاد يسألهم : « والمسيح ؟ » ، فصاحوا جميعا: « اصلبه ! ٠٠ اصلبه ! »

وتدافع المتجمهرون نحو المسيح فوضعوا على رأسه أكليلا من الشوك ، ثم نزعوا ثيابه وجلدوه حتى تمزق لحمه وسالت دماؤه ، وهو صامت لا يتكلم ! ٠٠ وحين دخل بيلاطس الى مخدعه ألفى زوجته فى الفراش حزينة كسيرة الفؤاد ، واذ انحنى عليها دفعته بعيدا عنها فى نفور ٠٠ فنهض وهو يقسم بأغلظ الايمان: « سأحاول مرة أخرى ! » ٠٠ وعاد يعرض على المتجمهرين اطلاق سراح المسيح ، لكن صراخهم ارتفع من جديد يصم الآذان : « اصلبه ! ٠٠ اصلبه ! » ٠٠ وعندئذ طلب بيلاطس ماء وغسل يديه قائلا : « أنا برىء من دم هذا الانسان ٠٠ خذوه انتم واصلبوه ! »

لكن حنانيا وقيافا ذكراه بأنه بهذا انما يتخلى عن واجبه ، فقال : « كيف أصلب ملككم ؟ » ٠٠ فصاحوا قائلين : « ليس لنا ملك الا « قيصر » ٠٠ أصلبه ، أصلبه ، دمه علينا وعلى أولادنا ! »

وأحرجت هذه الكلمات بيلاطس ، فلم ير بدا من أن يسلم اليهم المسيح ليصلب ٠٠ فقادوه الى مكان التنفيذ فوق هضبة « الجلجثة » ٠٠٠ فى الوقت الذى اطلق فيه سراح « باراباس » ، فخرج يسير مع اتباعه بخطى ثابتة واسعة٠٠ ولم ير تلك المرأة ذات الثوب الأزرق ، التى وقفت فى ظل حائط تبكى وتنتحب، والأسى يحز فى نفسها ٠٠

كانت المراة هى مريم ، أم يسوع !

اما « باراباس » فلم يكن سوى الصديق القديم لزوجها يوسف ٠٠ وكانذلك الصديق يدعى يومئذ « صموئيل » !

الموكب الحزين !

◆ **وبعد** أن جلد المسيح فى غرفة الحرس بمعسكر « قصر أنطونيا » ، اقتيد الى سلم عريض ، راح يهبط درجاته على قبس من ضوء الفجر الباهت ، دون أن يشعر به أحد ٠٠ **وعند نهاية السلم كان الصليب فى انتظاره كى يحمله — وكان مصنوعا من الخشب الثقيل ، ومطليا بالقطران — فأمره أحدهم بأن يرفعه ويسير به ، دون أن يتوقف حتى ليلتقط أنفاسه ٠٠ وكان يسير معه فى نفس الموكب اثنان من اللصوص محكوم عليهما بنفس العقوبة ، وكل منهما يحمل صليبه بدوره !**

وأثناء الطريق تعثر المسيح تحت ثقل حمله فسقط على الارض من فرط ضعفه وألمه ، حتى لقد خشى الحراس والمأجورون اذا هم أمعنوا فى تعذيبه أن يلفظ أنفاسه فى الطريق فتضيع عليهم فرصتهم المنشودة فى رؤيته مسمرا على الصليب يتألم ٠٠ فكان أن سخروا أحد المارة كى يعينه على حمل صليبه الثقيل ٠٠ وحين مر الموكب أمام دار فتاة تدعى « فيرونيكا » ورأت المنظر المفجع ، شقت طريقها وسط الجمع وهى تبكى ، ومسحت بمنديلها قطرات العرق المتساقطة على وجه المسيح ٠٠

وكان نبأ الحكم عليه بالصلب قد شاع فى البلدة ، فغادرت كثيرات من النساء بيوتهن فى تلك الساعة المبكرة من الصباح ، غير مباليات بفظاظة الدهماء الذين يتألف منهم الموكب الشامت ، وما هى الا دقائق حتى أحاطت بالجمع مئات من النساء والفتيات والارامل ، يبكين وينتحبن ٠٠ **فلما أبصرهن المسيح التفت اليهن وقد امتلا قوة ، وقال لهن : « يا نساء أورشليم ، لا تبكين على ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن ، فسوف تأتى على مدينتكن أيام يقال فيها لأهلها : « طوبى للعاقر ، وللبطن التى لم تلد ، والثدى الذى لم يرضع ! »**

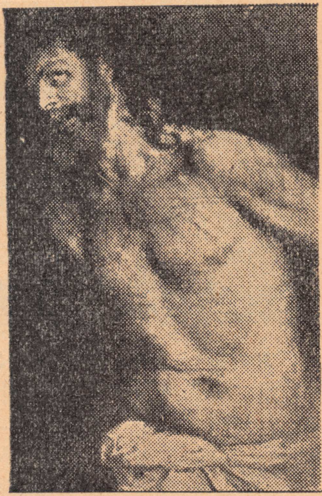


« العشاء الأخير » : لوحة مشهورة للفنـــان الخالد « ليونَاردو دافينشى » (بمتحف اللوفر ، بباريس)

الساعات الاخيرة ..

• وصل المسيح الى « الجلجثـة » ومعناها « مكان الجمجمة » ، ووصل وراءه اللصان يحملان صليبيهما ، وكان تهليل المتجمهرين بوصولهم «وحشيا» اذ توقعوا ان يكون منظر صلب ثلاثة أشخاص فى آن واحد ، موضع تسلية وتفريج بالنسبة لهم !

وعندما انتهى العمال من حفر الحفر المعدة لاقامة الصلبان عليها، فى موضع «التنفيذ» ، كان الظهر قد اقترب . ووقف المسجونون الثلاثة : «جستاس»، و «ديماس» ، ويسوع - بجوارصلبانهم وعلى غير المألوف فى مثل تلك الفترة من الربيع ، وفى رابعة النهار ، ظهرت فى الجو غيوم قاتمة ، الامر الذى كان خليقا بأن يثير دهشة «النظارة» لولاانشغالهم بالنظر الى حاملى المطارق والمسامير ، وحاملى الحراب الذين اخذوا ينخسون بها المحكوم عليهم كى يتمدد كل على صليبه الملقى على الارض . وجاء دور المسيح ، فألقوا به على الصليب ، وأمسك بعضهم بأطرافه فى الوضع المطلوب ، بينما أخذ آخرون يدقون المسامير فى قدميه كى يثبتوهما فى الخشب .. حتى اذافرغوا من هذه المهمة رفعوا الصليب ، وهـو مثبت عليه ، وأنزلوا قاعدته فى الحفرة المعدة له ، وقد كادت تتمزق أوصال المسيح المصـلوب .. وبذلك تحققت رغبة «حنانيا» و «قيافا» كاملة !



جلد المسيح : لوحة معبرة للرسام « تيسيان » (بمتحف بورجيزى ، بروما)

على أنه حدث ما نغص على الآثمين فرحتهما ، فقد رأى بيلاطس – وهو الحاكم الرومانى الاصل – ان يسخر من أعدائه اليهود فى شخصيهما ، فأمر بأن توضع فى أعلى صليب المسيح لوحة يكتب عليها : « هذا هو ملك اليهود !» فغلى الدم فى عروق قيافا وانتفض غضبا لهذه الاهانة لجنسه ، ورغم الحاح حميه «حنانيا» عليه بالعودة الى البيت ، فانه أصر على أن يحمل فى محفة الى قصر بيلاطس ، وهناك حاول عبثا اقناع الحاكم بازالة تلك اللوحة ، أوفى القليل تعديل «لهجتها» بحيث يكتب عليها : «هذا هو الذى زعم انه ملك اليهود !» .. لكن بيلاطس رفض مطلبه قائلا : « ان ماكتب قد كتب ! » ثم تركه ودخل الى زوجته يقول لها : «أشعر اننى مجرم فلعلنى قتلت نبيا ! » فأجابته : « بل لعلك قتلت الها ! » .

ومن فوق الصليب ، تطلع المسيح الى المتجمهرين الذين يحيطون به مستهزئين، ثم رفع عينيه الى السماء وقال : «ياأبتاه، اغفر لهم ،لانهم لايعلمون ماذا يفعلون» ..

ولعل لسان حاله كان خليقا بأن يقول: «اغفر لهم جميعا. أين الاحباء والاصدقاء! أين أنت يابطرس ؟ كم ستتألم من أجلى ايها الصياد الامين ! .. وانت يايوحنا، يامن وضعت رأسك على صدرى ، أين أنت ؟ .. واين الباقون ؟ أين يهوذا ؟ انه قد توارى حزنا على سيده ، وفارق الحياة ! .. لقد هرب الجميع ، خوفا على حياتهم .. ولكن ، لابأس . سوف يأتى يوم يصبح فيه ايمانهم راسخا لاتزعزعه المخاوف ! » .

ثم قال المسيح : «انا عطشان» ، فأعد له الحراس شرابا : من «الخل» الممزوج بالمر ! لكنه أبى أن يشربه . . واقتسم الحراس ثيابه بينهم ، حتى اذا جاء دور عباءته المنسوجة باليد ، دون حياكة ، ألقوا بشأنها قرعة! .. واذ نظر المسيح الى أسفل ، لم يجد نفسه وحيدا ، فهناك قرب الصليب كانت ثلاث نسوة:

مريم امه، وشقيقتها، ثم مريم المجدلية ٠٠ وبجوار امه كان يوحنا ، تلميذه الحبيب ٠ «اذن فلهذا السبب تباطأت يا يوحنا ، كى تعود بأمى فى رفقتك ؟ » ٠٠ ونظر المسيح الى امه المتألمة ، وقال : «ياامرأة، هاهو ذا ابنك» ثم قال ليوحنا : «هذه هى امك» ٠٠ ومنذ ذلك اليوم اخذها يوحنا الى بيت أسرته ٠

وبدأت مشاعر الحراس والنظارة ترق وتعطف على المصلوب الوديع وهو يتعذب : سواء بتأثير طلعته السمحة ، أو ماضيه الحافل بالحسنات ، أو منظر النساء النائحات من أجله ٠٠ واذاأحس الكهنة بأن الجماهير بدأت تتأثر وتفيض حنانا على البرىء المصلوب ، جلبوا أعوانهم الذين راحوا يمطرونه بعبارات السخرية ، قائلين : «لقد خلص غيره ٠٠ لكنه عجز عن انقاذ نفسه ! ٠٠ ان كان هو المسيح فليخلص نفسه ! ٠٠ ان كان هو ملك اليهود فلينزل من على الصليب فنؤمن به ٠٠ » ٠٠ الخ ٠

معجزات المسيح فى القرآن

- ١ -

« فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ٠ فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ٠ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ٠ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون »

قرآن كريم (سورة مريم)

وصرخ «جستاس» ـ أحد اللصين ـ قائلا : « ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وخلصنا معك ! » ٠ لكن اللص الآخر انتهر زميله بقوله : « ألا تخاف الله ؟ اننا ننال جزاء ما اقترفت أيدينا ، أما هذا فانه برىء » ٠ ثم التفت الى المسيح ، على الصليب المجاور وقال له : « اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » ٠٠ فأجابه يسوع :« اليوم تكون معى فى الفردوس » ٠

نبوءات التوراة ٠٠ تتحقق

◆ **وازدادت** السحب تكاثفا فى الجو واظلم الكون ، وأبرقت السماء وأرعدت وهطلت الامطار ، وسادت الارض ظلمة حالكة ٠٠ حتى لقد دب الرعب فى قلوب أشد المتجمهرين غلظة وشراسة ! وبدأ الناس يتشاءمون ، ويحسون بأن حدثا غير عادى يتخذ له مكانا فى تاريخ الانسانية ٠ **وقبيل الساعة الثالثة تكلم المسيح للمرة الرابعة ، قائلا : «الهى ، الهى ، لماذا تركتنى !»**



المسيح على الصليب : لوحة للرسام « بنتوريكيو » ، (بمتحف بورجيزى ، بروما)

.. فبدأ قيافا يستهزىء به ساخرا : « لقد دعي نفسه «الله» ، وها هو يطلب الى الله أن يخلصه ! » ، لكن حنانيا لفت نظره هامسا : « انك تتكلم كأحد الجهلة الاغبياء . ألا تذكر أن هذه العبارات وردت فى التوراة فى المزمور الثانى والعشرين من مزامير «داود» ؟ » .. ثم لم يقو حنانيا على البقاء ، رغم الحاح قيافا عليه ، فانصرف ..

وابتسم المسيح ابتسامة المحبة والحنان لأمه ومحبيه ، واذ وضع الحراس على فمه أسفنجة مشبعة بالخل ، قال : « قد أكمل » .. واذ ذاك رجح قيافا أن يكون المصلوب هو المسيح الذى تنبأت به «التوراة» حقا ، فقد تمت فيه جميع النبوءات التى وردت فيها عنه ! .. نعم ، أغلب الظن أنه هو المسيح المنتظر ، الذى جاء ليفتدى الخطاة ، ويقاسى آلام الموت من أجلهم !

ثم تكلم المسيح للمرة الاخيرة ، فقال بصوت واهن : « يا أبتاه ، فى يديك أستودع روحى » . ثم نكس رأسه .. وأسلم الروح ! ـ وكانت الساعة الرابعة من يوم الجمعة الحزينة ٧ ابريل سنة ٣٠ بعد مولد المسيح ـ واذ ذاك طعن أحد الحراس جنب المسيح بحربة، ليتأكد من مدى قوته ، فسال منه دم وماء ..

وقد تناقل الناس ما حدث ساعتئذ ، على اثر صعود روحه الى بارئها ، اذ انشق حجاب هيكل اليهود الذى كان يفصل المذبح الداخلى فى « قدس الاقداس » .. وهبت العواصف .. وتكسرت الصخور .. وانفتحت القبور .. وراح أحباؤه يقرعون صدورهم ويبكون .. وتنهد الضابط الرومانى الذى أصدر الامر بالقبض عليه وصلبه وحدث نفسه : « . حقا ، كان هذا ابن الله ! »

قيامة المسيح ..

◆ **جلس** حنانيا الشيخ فى غرفته يروح عن نفسه بمروحة فى يده ، وأمامه مصباح على منضدة ، وقد تدلت خصلة من شعره الاشيب على عينه اليسرى .. وعلى أريكة بجوار النافذة جلس «قيافا» زوج ابنته ، يقول : « **لقد صلبنا المسيح واعتقدنا أننا قضينا عليه ، لكن الذين يؤمنون به تضاعفوا أضعافا بعد موته ، فقد آمن به فى هذا الاسبوع فقط ثلاثة آلاف شخص !**

حنانيا : بل خمسة آلاف ! .. وهم على يقين تام من ايمانهم

قيافا : ان نشوب الثورة وخطرها قد ازداد بعد موته !

حنانيا : أواثق من أنه مات ؟

قيافا : ألم تره بنفسك يموت ؟

حنانيا : كلا ، فاننى لم أنتظر الى النهاية . وهل لا يزال جسده فى القبر؟

قيافا : كلا ..

حنانيا : كلا ؟ كيف ؟

قيافا : سرقه تلاميذه الشياطين !

حنانيا : كيف يسرقونه وقد أمر بيلاطس بوضع حراسة شديدة على القبر ؟ وكيف يجرؤ أحد على محاولة سرقته ؟

قيافا : ليتنى أعرف كيف كان ذلك !

حنانيا : اصغ الى يا قيافا : انهم لم يسرقوا جسده ، ولم تكن لديهم فرصة لذلك . ان الجسد قد اختفى وأنت تقول انهم سرقوه !؟

قيافا (متذمرا) : انك تتكلم كأنك أحد أتباعه ، أو أحد المؤمنين به !

حنانيا : كل ما فى الامر اننى أريد أن أكون واقعيا .. فالحراس يؤكدون أنهم رأوا ملاكا ذا وجه مضىء يهبط من السماء ، فذعروا وسقطوا على وجوههم فاقدى الوعى ! ثم دخلت مريم المجدلية الحديقة والظلام لا يزال مخيما ، وكانت

- ٢ -

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وابرىء الاكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فأعبدوه ، هذا صراط مستقيم »

قرآن كريم (سورة آل عمران)



انزال جثمان المسيح من الصليب : لوحة خالدة للرسام الاشهر « رفاييل »

تحمل طيبا ومواد لتحنيط الجسد ، فارتاعت بدورها حين رأت القبر مفتوحا خاليا ، وهرعت تعدو الى المدينة حيث أخبرت قائدهم الجديد « بطرس » أن جسد سيده قد سرق ! ٠٠ وبعد لحظات دخلت الحديقة أمه وخالته ، فأدهشهما أن رأتا الحجر الذى كان يغطى القبر مدحرجا ، وفى داخل القبر ـ مكان الرأس ـ ملاك بثياب بيضاء ،قال لهما : « أتبحثان عن يسوع الناصرى الذى صلب ؟ اذهبا وقولا لتلاميذه انه فى طريقه الى الجليل حيث سترونه كما أنبأكم من قبل ! »

قيافا : هراء !

حنانيا (مستطردا) : وحين أخبرت المرأتان بطرس ويوحنا بما رأتا ، لم يصدقهما ٠٠ فهرعا بدورهما الى القبر ، حيث وجدا الاكفان وحدها ، ولا جسد هناك ! ٠٠ ولم يصدقا الامر فى البداية، تماما مثلك ومثلى ٠٠

قيافا : أليس حديثك هذا مضيعة للوقت ؟

حنانيا : لابأس ٠ اسمع بقية القصة: توجد قرية صغيرة تدعى (عمواس) ، يقال ان يسوع ظهر فيها لعائلة هناك وأكل مع أفرادها !

قيافا : هراء ! هراء لا يصدق !

حنانيا : بل ستدهش مما يلى : لقدظهر المسيح لتلاميذه ـ هنا فى أورشليم ذاتها ـ وكانوا مجتمعين فى بيت ،والابواب مغلقة ، فارتعبوا ولم يصدقوا ، واذ ذاك قال لهم : « مابالكم مضطربين ؟انى أنا هو ٠٠ أنظروا مواضع المسامير فى يدى وقدمى ، وتحسسوها ! » ٠٠وأراهم تلك المواضع ، ثم أكل معهم ، وباركهم ٠٠ وبعد حين عاد أحدهم ويدعى «توما» ، فارتاب فى الامر ولم يصدق ٠٠

قيافا : هذا أول مسيحى له ذرة من العقل !

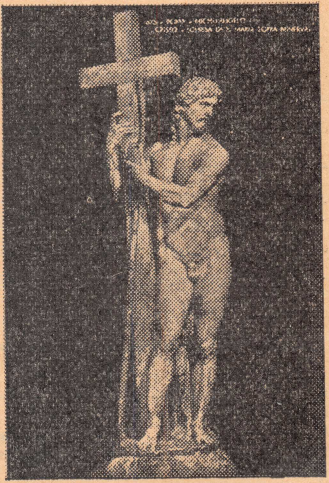
حنانيا : فلما أمسك المسيح بيده وجعله يتحسس مواضع المسامير والحربة التى طعن بها فى جنبه بعد موته ٠٠هتف به خجلا : « ربى والهى » ٠٠ واذ ذاك قال له المسيح : « انك آمنت يا توما بعد أن رأيت ٠٠ ولكن طوبى للذين آمنوا بغير أن يروا ! »

قيافا : غير معقـــول ! ٠٠ غير معقول ! ٠٠

٠٠ واستمر الكاهنان يتجادلان على هذا النحو فى تلك الجلسة وفى جلسات أخرى ، وتتابعت الاحداث المزعجة لهما : لقد ظهر المسيح أيضا لتلاميذه عند بحر (طبرية) ، كما ظهر لآخرين على جبل فى (الجليل) ٠٠ ثم جمع أتباعه حوله على جبـــل الزيتون ، للمرة الاخـيرة ، وبعـد أن زودهم بوصاياه ونصائحه ، قال لهم : « ها أنا معكم دائما ، والى انقضاء الدهر » ـ يقصـد أنه سيكون معهم بروحه لا بجسمه ـ ثم ارتفع عنهم ، صاعدا الى السماء ٠٠ حتى اختفى عن أنظارهم وسط الغمام !

وفى تلك الليلة الدافئة ، جلس حنانيا وقيافا يستعيدان ذكرى ذلك الرجل الذى أمرا بقتله ، والذى لايزال مع ذلك يعكر صفوهما !٠٠ ثم قال حنانيا : « سمعت أنك بدأت نشاطك بالقاء القبض على أحد أتباعه ، المسمى « استفانوس » ، وأمرت برجمه بالاحجار حتى مات ٠٠ فكان أول شـهيد مسيحى !

قيافا : لكنه لن يكون الأخير !

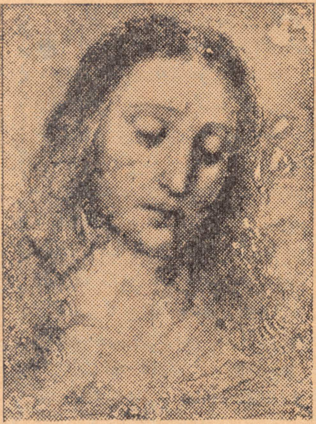


المسيح والصليب : تمثال للفنان الخالد « ميكيل انجلو » ، بروما

- ٣ -

« اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين٠ قالـوا نريد أن نأكل منهـا وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قـد صـدقتنا ، ونكون عليهـا من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيـدا لأولنا وآخـرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ٠ قال الله انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين »

قرآن كريم (سـورة المائدة)



المسيح : لوحة للفنان
« ليوناردو دافينشى »

حنانيا : ألم يخطر ببالك يا قيافا ان موت هذا الشهيد ينقض ويدحض كل آرائك ؟ أتظن ان انسانا ما ، يقبل أن يضحى بحياته حتى الموت من أجل بدعة خرافية عن جسد يقول المسيحيون انه بعث حيا ، ونقول نحن انه سرق من القبر ؟ كلا ، ان هذا الشهيد قد مات راسخ الايمان ، ولا بد أنه كان واحدا من الذين شاهدوا المسيح بعد قيامته ، عندما أراهم يديه وقدميه !٠٠ ثم هاهم المسيحيون يشهدون للمسيح فى شوارع اورشليم ، وهم يعلمون عن يقين ما ينتظرهم من متاعب، واضطهاد ، وجوع ، ومحن ! انهم لا يبالون سواء عاشوا أو ماتوا ، فالحياة والموت عندهم سواء ! وما طرأ عليهم هذا التغيير الا بعد قيامة المسيح ٠٠

قيافا : ان قصة القيامة لمهزلة !

حنانيا : حسنا ، استمر فى أفعالك واجراءاتك ٠ لكن هـذا الايمان قد تأصل فى القلوب ، ولا يعلم الا الله ماذا سيكون مداه ٠٠ ولعلنا نصبح فى نظر التاريخ مخطئين ، بل نعتبر وأتباعنا وجميع بنى اسرائيل مجرمين فى نظر العالم ، لأننا خشينا الحق ٠ والحقيقة يا قيافا أننا قتلنا الحق ! لكن الحق قام ثانية ! والآن أحس باعياء الشيخوخة يدب فى أوصالى ، والنعاس يثقل أجفانى ٠٠ فطاب مساؤك يا قيافا ٠

ثم اتجه الى مخدعه ٠٠



برهان الحب!
(فراء السمّور)

قصة تمثيلية كبرى
للروائي الفرنسي المعاصر جان أنوي

الحب .. أم المال ؟

◆ فى العدد الماضى قدمت لك مسرحية « مدرسة الأرامل » ، للكاتب الفرنسى المعاصر « جان كوكتو » .. واليوم أقدم لك مسرحية أخرى من الأدب الفرنسى الحديث ، لكاتب آخر معاصر لا يقل شهرة ومكانة فى فرنسا اليوم عن « كوكتو » ، وأعنى به « جان أنوى » ، صاحب المسرحية المشهورة : « مسافر بغير أمتعة ! » ، التى أطلق فيها صيحة مدوية ضد الحرب وما تجره على المحاربين من ويلات ـ وقد أقدم لك المسرحية المذكورة فى فرصة أخرى .

أما هذه فمسرحية انسانية تنطوى على صيحة أخرى من صيحات « أنوى » ، لكنها فى هذه المرة صيحة ضد نزعة الجشع والمادية التى طغت على المجتمع الحديث .. أو بعبارة أخرى هى صيحة ضد المال ، الصنم الذى صار معبود البشر فى هذا العصر ، وصار التكالب على جمعه دينهم وديدنهم .. فبطل القصة شاب طموح يطمع فى الزواج من فتاة يحبها ، عريقة الأصل لكنها فقيرة ،وهو يبغى ان يوفر لها حياة الرغد والرفاهية، لكن « العين بصيرة واليد قصيرة ! » كما يقولون .. فماذا يفعل ليحقق لها أحلامه وأحلامها ! انه فى سبيل بلوغ هدفه ، والبرهنة على مدى حبه لفتاته ، لا يتورع عن الاقدام على اخطر تضحية يمكن ان يتصورها عقل ! ولكن ، فلأدعك تتابع المسرحية بنفسك :

أشخاص الرواية

فرانتز (صديق مونيم)	Frantz
مونيم (صديقة فرانتز)	Monime
الدوقة دى جرافا (عمة مونيم)	La Duchesse de Gravat
فيليب (صديق فرانتز)	Philippe
مسيو بنتز (رجل من رجال الاعمال)	Mr. Bentz
مدام بنتز (زوجته)	Me. Bentz
جوزيف (خادم فى قصر الدوقة)	Joseph
أوربان (خادم فى قصر الدوقة)	Urbain
٣ من رجال البوليس	3 Inspecteurs de Police

الفصل الأول

◆ **نحن** فى ردهة المنزل الريفى الذى يقطنه « مسيو بنتز » وزوجته « مدام بنتز » ، وقد وقف ربا الدار يستقبلان شابا فى الخامسة والثلاثين من عمره يدعى « فرانتز » ، وصديقة له اسمها « مونيم » ـ يبدو على تقاطيع وجهها أنها لم تبلغ رشدها بعد ـ وقد لجأ الاثنان مع بعض أصدقائهما الى منزل « مسيو بنتز » ليقضوا ليلتهم فيه ، نظرا لعطب أصاب سيارة «فرانتز» فى الطريق ..

ويتبادل « فرانتز » مع رب المنزل حديثا نفهم منه أنه فى حاجة ملحة الى مبلغ من المال ، ليقوم بسداد قسط حان موعد دفعه ، حتى يواصل المشروع الذى بدأه منذ سنتين ، والذى علق عليه كل آماله فى الاثراء السريع ، حتى يتمكن من الزواج بصديقته «مونيم» ، فيخلصها بذلك من قبضة عمتها وسيطرتها عليها !

ومن خلال الحديث ، نفهم أيضا أن عمة « مونيم » مليونيرة وأنها تكفلت بتنشئة « فرانتز » بعد وفاة والده ـ الذى كان فى الوقت نفسه طبيبها الخاص ـ وهى تقسو فى معاملة«فرانتز» ولا يتصور أن توافق على زواجه من ابنة أخيها ، لما بين الاثنين من فروق اجتماعية . فهى لا تريد لمونيم زوجا يقل عنها جاها وثراء ومركزا !

ويرفض «بنتز» مساعدة «فرانتز» ، رغم أن هذا الاخير أفهمه أن تلك هى فرصته الاخيرة لنجاح مشروعه .. ومن ثم ثرائه ،

وفى الغرفة التى أعدت ليمضى فيها «فرانتز» ليلته ، يجتمع هذا الاخير بصاحبى المنزل ، ويعاود الكرة مع «بنتز» ، ويصارحه

بحبه العنيف لمونيم ، محاولا استدرار عطفه . ولكن بنتز لاتلين له قناة ، ويرفض نهائيا أن يقرض الشاب شيئا من المال ، معللا رفضه بعدم كفايته في الاعمال المالية . وعندئذ يثور «فرانتز» ويطلق لسانه بأقذع ألوان السباب فى «بنتز» ، فتتدخل «مدام بنتز» وترجو من زوجها أن يترك الغرفة ، فيستجيب لرجائها :

مدام بنتز : صغيرى فرانتز !

فرانتز : وأنت أيضا .. دعينى وشأنى ! انك تثيرين فى نفسى السخط والاشمئزاز !

◆ (يدق الباب وتدخل خادمة تحمل أغطية ، فتساعدها مدام بنتز فى تهيئة الاريكة للنوم . ومن وقت لآخر تنظر خلسة لفرانتز . وعندما تخرج الخادمة ، تتقدم هى نحوه :)

مدام بنتز : لاأود أن تحمل فى نفسك حقدا على .. ياحبيبى . اننى صديقتك .. ولكن زوجى رجل أعمال ولا يخضع الا لمنطق المادة . أما أنا فاننى شاعرية النزعة ، وكم أتألم من أسلوبه فى معاملة الناس ..

فرانتز : اليك عنى !

مدام بنتز : اننى لن أتركك فى الحالة المؤلمة التى أنت عليها .. أواه .. آن وجهك يلتهب من الحمى . استلق على الفراش حتى تهدأ أعصابك **(يتهالك فرانتز على الاريكة)** ها أنذا أجلس الى جوارك وأحنو عليك .. ربما لم تفقد كل شىء بعد . ان مسيو بنتز يبدو للناس رجلا قاسى القلب ، ولكنه فى الواقع ضعيف . وعندما يحلو لى ، أستطيع أن أحمله على أن يخضع لنزواتى . فاذا ما سعيت اليه طالبة مالا من أجل فتى أعشقه حقا ، فلن يتأخر عن ذلك . كم يلزمك يا فرانتز لدفع قسط الاستحقاق ؟

فرانتز : ثلاثون ألف فرنك

مدام بنتز : أحقا ؟ ألمثل هذا المبلغ التافه تثور ؟ لا يمكننا



اغتفار ذلك لزوجى «توبى» ، ولكنك تعلم من أى طينة جبل رجال الاعمال . صحيح ان المال هو المال ، مهما قل ،ولكن الامر يختلف اذا كان يتعلق بحياتنا الخاصة . ان لك شخصية جذابة ساحرة ياحبيبى ، ولست أدرى لماذا تقحم نفسك فى مثل هذه الاعمال التافهة التى لاتدر الا قليلا من المال .. ليس عليك الا أن تستلقى هكذا .. نعم هكذا .. لكم أنت فاتن يامعبودى فى وضعك هذا **(تجلس الى جانبه وتعبث بخصلة من شعره تهدلت فوق جبهته)** اننى سأساعدك بنفسى اذا رغبت فى ذلك .. ولكن الامر يتوقف على اقلاعك عن هذا المسلك السخيف !

فرانتز (ينهض واقفا ويأخذ فى تأملها ، فتنهض بدورها) : اليك عنى !

مدام بنتز : ماذا يا فرانتز ؟ هل أسأت الى مشاعرك ؟

فرانتز : لقد قلت لك أكثر من مرة اذهبى بعيدا عنى !

مدام بنتز (وهى تتجه نحو الباب) : هل أصبحت عجوزا ألقى الرعب فى قلوب الشباب .. الآن ؟!

فرانتز : اننى أحبها حقا

مدام بنتز (قبل أن تخرج) : يا لك من أحمق يا صغيرى اللطيف .. عد لرؤيتى عندما تعود الى صوابك .. سأكون دائما شديدة الاهتمام بشئونك !

◆ **تخرج** مدام بنتز ، وبعد برهة يدخل صديق فرانتز المدعو «فيليب» ، فنعرف من الحديث أن اليأس بلغ بفرانتز حدا لامزيد عليه ، وهو لا يقنع بألفين من الفرنكات شهريا ، كدخل له من عمله الصحفى ، شـأنه شأن صديقه ٠ ويصرخ بانفعال ان لأمثالهم من الفقراء ألفت كتب المواعظ والاخلاق ٠ ويحاول فيليب أن يحيى فى صدره الامل ، فيسأله عما تم فى قصته التى كان قد شرع فى تأليفها ! ٠ ويجيبه فرانتز بأنه عـديم الموهبة ، وهو لا يطلب المجد ، بل يطلب أن يعيش سعيدا ٠ ثم يستفسر من فيليب عن أنباء صحيفته ، **فيروى له هــذا ما نشرته من قصة ولدين قتلا جدة أحدهما ، ليحصلا على مبلغ من النقود يتيح لهما السفر الى باريس ، مبررين عملهما بأن الجدة ليست بكبيرة فائدة ٠ ويعقب فرانتز على القصة معلنا اعجابه بها ، مقررا أنها طريقة سهلة للحصول على العيش الرضى**

فيليب : هل أنت مجنون ؟

فرانتز : ليس بما فيه الكفـاية !٠ ماذا لو قتلت لأكون سعيدا ؟ ولكن القسس وكتب المواعظ وحنان الامومـة وقت طفولتى ، كل ذلك يقف حجر عثرة فى طريقى !

فيليب : أتقول ذلك على سبيل المزاح ؟

فرانتز : هل تجدنى قادرا على ارتكاب جريمة قتل ؟

فيليب : يخيل الى أنه ليست لديك القوة الكافية لارتكاب تلك الجريمة !

فرانتز : نعم يا صديقى ٠٠ اننى أعترف بأنى جبان ٠ انك مصيب ، ولم يعد لى حل آخر !

فيليب : ولكن ٠٠ ألستما متحابين أنت ومونيم ؟ ألن تتبعك اذا كنت فقيرا ؟

فرانتز : بلى ٠٠ ولكن تحت تأثير نشوة عاجلة ٠٠ فالحب لا يمكن أن يقاوم المطالب المادية للحياة اليومية ٠ وأفضل عندى

أن أزفها بيدى الى شاب ثرى ، من أن أجعلها تتذوق طعم الفقر والمذلة !

◆ (**ويحاول** فيليب أن يقنعه بأن الحب ليس فى حاجة الى المال ، فيبتسم فرانتز فى مرارة ، ويقول انه قضى فترة شباب مريرة بسبب افتقاره للمال ، وان حبه شىء رائع جميل ، يود أن يحيطه بأسوار من المال لصيانته !)

فيليب : صبرا يا صاحبى ٠٠ ربما تحقق لك ذلك فى يوم من الايام ٠٠

فرانتز : لا يمكننا مصاحبة العذارى دون أن نصل الى هدف معين ٠ لن أتمكن بعد اليوم من الانتظار ٠٠ اننى فى حاجة اليها، كحاجتى الى الماء والهواء !

فيليب : اذن ٠٠ اتخذها عشيقة لك !

فرانتز : ان هذا ما أشعر بقرب حدوثه ٠٠ لأن العلاقة الوحيدة التى تربط بيننا هى الحنان ٠ ولا يوجد أى حل وسط مع الحب !

فيليب : فرانتز ٠٠ يوجد حل آخر ٠٠ استجمع شجاعتك واتركها ٠٠

فرانتز : كلا يا فيليب ٠٠ اننى أعلم بأنى مقدم على حب عظيم !

◆ (**ويخرج** فيليب ، فيجلس فرانتز وقد وضع رأسه بين يديه ٠ وفجأة تدخل مونيم)

مونيم : ألم تنم بعد يا فرانتز ؟

فرانتز (يهب واقفا) : وأنت ٠٠ لماذا لم تأوى الى مخدعك ؟

مونيم : اننى أود محادثتك ٠٠

فرانتز : هل أنت مسرورة من هذه الرحلة يا عزيزتى الصغيرة ؟

مونيم : أجل ٠٠

فرانتز : ومع ذلك فمظاهر السعادة لا تبدو عليك . أما أنا ، فلو ألفيت نفسى مكان فتاة صغيرة مثلك ، حبيسة قصر منعزل طول العام ، وليس فى صحبتى الا عمة عجوز شمطاء ، وحدثت لى كل هذه المغامرات فى ليلة واحدة ، لسعدت بها حقا!

مونيم : اننى سعيدة ..

فرانتز : تقولين ذلك وأنت تتنهدين

مونيم : فرانتز .. هل أتيت تطلب نقودا من هؤلاء الناس ؟

فرانتز : لا تشغلى بالك بذلك يا مونيم .. دعينى أكافح بمفردى .. أقسم لك بأننى سأحصل على بغيتى من المال لنكون سعيدين !

مونيم : انك تقول ذلك ، بينما صوتك يخونك . لماذا تتهرب من الاجابة على سؤالى ؟ لقد رفضوا طلبك ، وستضطر الى تصفية مشروعك .. اننى على يقين من هذا ، ولو أن كبرياءك يمنعك من الاعتراف به ! .. **(فترة صمت .. تستأنف بعدها مونيم الحديث)** .. لقد تركت لك الحرية لتفعل ما يحلو لك ، ظنا منى أن هذا أفضل وأولى . ولكن ، هل يخطر ببالك يا فرانتز أن سعادتنا مرهونة بهذا القدر من المال ؟ أجبنى أيها السيد المغفل !

فرانتز : أجل يا مونيم !

مونيم : أيها المسكين .. انك على خطأ فاحش ! ان فى وسعنا لو أردنا ، أن نكون أغنياء بالحب ، غير مكترثين بالمال

فرانتز : انك فتاة صغيرة يا مونيم !

مونيم : أجل .. أجل .. انك ترى نفسك سيد العارفين لأنك أكبر منى سنا . ولكنى أدرك وأعلم أشياء كثيرة ..

فرانتز (وهو يبتسم) : وماذا تعلمين ؟

مونيم : صه !. اجلس ، واياك أن تنطق بكلمة . لا تبتسم ولا تصرخ ، ولا تقاطعنى بكلماتك اللاذعة التى أنت بها جد

فخور **(تتقدم من خلفه ثم تلصق رأسها برأسه)** ٠٠ فرانتز ٠٠ اننى لا أحب أن أراك حزينا بعد اليوم ٠ لا تقل شيئا ، والا لما أصدقتنى القول وادعيت أنك لست منقبض الصدر ، وانك تجنى مالا طائلا ، وانك ستأتى يوما فى سيارة كبيرة فارهة لترضى أحلامى وتنقلنى بعيداً عن عمتى الكريهة الشمطاء ٠٠ اننى على المام بقصتك الصغيرة ، فلا ترددها على مسامعى والا كذبت على كدأبك ٠ أجل ، انك حزين ٠ ويجب أن أشهد لك بالبراعة فى أداء دورك : عندما تحطم أغصان الاشجار ـ عند مرورى ـ لتثير غيظى ، أو عند سخريتك منى حين أطلعك على الكتاب الذى أقرأه ، أو عندما تعبث فى شعرى ، أكثر من مرة فى اليوم الواحد ! ومع ذلك ، فاننى ألمح خلال كل هذه الحركات التى لا تتغير ، انك مهموم يا فرانتز **(تضع يدها على فمه)** ٠٠ انك على وشك أن تكذب ٠ لقد لاحظت أنك عابس الوجه أثناء الرحلة ٠٠ هل تظن أننى لم ألمح كل هذه الارقام التى كنت تدونها فى مذكرتك الصغيرة ؟٠٠ انك حزين يا فرانتز ٠٠ أتعتقد حقا أننى جاهلة بالاسباب ؟ انك تحرك شفتيك ، ولكن ها أنذا أكمم فمك بيد ثابتة ، حتى لا تستطيع أن تنبس ببنت شفة ! ٠٠ **(تصمت مونيم قليلا ثم تتابع حديثها بعد برهة)** ٠٠ صديقى فرانتز ٠٠ انك لم تعد صديقى ٠٠ انك لم تعد تنظر الى كما كنت تفعل من قبل ، ولم تعد تعانقنى بنفس طريقتك السابقة ، وتخشى أن تجلسنى على ركبتيك أو تأخذنى بين ذراعيك ٠٠ هلم حرك شفتيك ٠٠ أظنك ستقول انه ليس فى استطاعتى أن أفهم أو أقدر ، لأنك أكثر منى ذكاء ٠٠ ياصغيرى العزيز ٠٠ اننى أدرك ما يجوز بخاطرك ؟ **(فترة صمت ، وقد ألصقت الفتاة خدها على رأسه ، وراحت تهمس له فى حنان فياض متدفق)** ٠٠ سأصبح عشيقة لك يا فرانتز ، متى رغبت فى ذلك ! صه ! اياك أن تنبس ببنت شفة ٠٠ اننى أود أن

أرفه عنك ، حتى يذهب شجنك ٠٠ سأغدو عشـــيقتك متى رغبت فى ذلك ! ٠٠ انك تريد أن تتكلم ، وأنا أعلم ما ستقوله لى : ان كلا الامرين يستويان فى نظرى ٠٠ وانى أود أن أرى ساعديك حول خصرى ، ورأسك يستقر فوق كتفى ، ولتجر الامور فى أعنتها !

◆ (يهب فرانتز واقفا ، ثم يلتفت وراءه فجأة ، ويجذب مونيم نحوه ، فتعلو وجهها حمرة الخجل !)

مونيم : أواه ! فرانتز ٠٠

فرانتز (بلطف) : اننى أتأملك ٠٠ نفس النظرات ٠٠ ونفس ثغر محبوبتى التى عرفتها طفلة ٠٠ مونيم بنظراتها التائهة ، وبشفتيها الورديـــتين المرتعشتين ٠٠ مونيم التى لى والتى عرفتها ٠٠ أهى أنت ؟

مونيم : انها أنا يا فرانتز !

فرانتز : اعتدلى فى وقفتك ٠٠ ها أنذا أتأملك ٠٠ انك تبدين جميلة للغاية اليوم ٠٠ ألمثل هذا اليوم الموعود ارتديت رداءك الجميل وعقصت شعرك ؟ ٠٠ ولكنك نسيت أن تلمعى أظافرك كما تفعل السيدات ٠٠ وهذا القرار الخطير ، ألم يرشدك الى الطريقة المثلى لاختيار زينتك ٠٠ لقد مسحت بقلم « الروج » على شفتيك كيفما اتفق ٠٠ كعادتك دائما !

مونيم : أواه ! انك تسخر منى يا فرانتز !

فرانتز (يجذبها نحوه فتخفى رأسها) : يا عزيزتى الصغيرة ٠٠ اننى سعيد لان أرى حبيبتى النافرة المتوحشة تقول لى هذا، والخدش ما زال عالقا بأناملها ، و«الروج» غير مستو على شفتيها! **(بعـــد فترة صمت) :** ألكى لا أكون حزينا أو كئيبـــا ، أتيت يا مجنونتى دون ترو أو تفكير ، ودون أن تسألى نفسك مغبة ذلك !؟ أتعتقدين أننى لا أعرف كل شىء يا مونيم ٠٠ انك لا تحبيننى كعاشق ! لقد أتيت لتستردى زميلك الذى فقدته ،

وتعرضين جسدك فى مقابل ذلك ، كفدية ثمينة غالية ؟ لا تخفى رأسك ٠٠ ما الذى يخجلك ؟! اننى أحبك لكل هذا يا فتاتى الصغيرة ٠٠ ذات الصوت الهادىء ٠٠ مونيم التى تعرف كل شىء ، والتى لا تعرف شيئا !

مونيم : كل ما أعرفه هو أننى أريد أن أكون عشيقتك !

(فترة صمت أخرى ، وهو محتضن اياها بين ذراعيه)

فرانتز : يا مجنونتى ٠٠ اننى أحبك بكل جوارحى ٠ لقد أتيت لتقدمى لى هدية جميلة ٠٠ ماذا يمكننى أن أقدمه لك فى مقابل ذلك ؟!

مونيم : اننى لست فتاة صغيرة ٠٠ لا أريدك أن تهـزأ أو تسخر منى ٠٠ أريدك أن تأخذنى !

فرانتز : انك لا تحبيننى يا مونيم !

مونيم : اننى أحبك بقدر ما أعلم ٠٠ والا علمت ذلك بطريقة أخرى يا فرانتز ٠ وأقسم لك بأننى سأعلم ذلك سريعا جدا ٠٠ خذنى يا فرانتز !

فرانتز : لقد حانت ساعة النوم ٠٠

مونيم : انك تتألم ٠٠ اننى ألمح ذلك فى عينيك ٠٠ ان يديك ترتعدان وتنفران من يدى خوفا !

فرانتز : اليك عنى يا صغيرتى العزيزة ٠٠ انه من السخرية أن يكتشفوا وجودنا معا ٠٠ هنا !

مونيم : سيان لدى !

فرانتز : اذهبى ٠٠

مونيم : احتونى بين ذراعيك ٠٠ أو على الاقل قبلنى ٠٠ لم تعد لى رغبة فى أن أكون صديقتك فحسب ٠٠ صديقة طفولتك الصغيرة المسكينة ٠٠ لقد قلت لى من قبل اننى سأصبح زوجتك

فرانتز : عندما نصبح أغنياء ٠٠ وعندما تحبيننى كامرأة !

مونيم : ولكننى سأحبك ٠٠ **(تقترب منه بلطف وهدوء)** ٠٠

قبلنى مرة ، حتى نبدأ حياة جديدة من الليلة ٠٠ انت تود ذلك ٠٠ انك تود ذلك يا فرانتز ٠٠ انك ترتعد ، ولم تعد لديك الشجاعة الكافية كى تبعدنى عنك ٠٠ لماذا لا تقبلنى ؟ أواه !

فرانتز (بعد أن يطبع على شفتيها قبلة طويلة) : اليك عنى الآن !

(وتخرج مونيم من الغرفة)

الفصل الثانى

◆ **فاذا كان الفصل الثانى ، انتقلنا الى قصر « الدوقة دى جرافا » عمة « مونيم » ٠٠ واذا بفرانتز مختل بمونيم ، فى غرفة تؤدى مباشرة الى مخدع الدوقة ، وقد بدأ الليل يرخى سدوله ٠ ونفهم من الحديث الذى يدور بينهما أن مونيم قد أصبحت خليلة لفرانتز ! ٠٠ ويتململ فرانتز ، بسبب تلك الرابطة التى جمعت بينهما فى الخفاء ، وينم وجهه عن عذاب دفين ، مبعثه الخوف من اكتشاف أمرهما ٠ وفى الوقت نفسه ، يرنو بعين الرثاء لحبيبته مونيم التى حذقت كيف تلقى الاكاذيب على عمتها بجنان ثابت ! والواقع أنه لم يعد فى مقدورهما الآن النكوص على أعقابهما ، بعد أن أصبحا أسيرى غرامهما ، ومن ثم كانا يشعران بأن عليهما أن يمضيا قدما فى ذلك الغرام ، الذى لا يستطيعان الفكاك منه !**

فاذا تقدم هذا الفصل ، رأينا فرانتز يبشر حبيبته بأنه وجد مخرجا من هذا المأزق ، فتبدو الدهشة على وجه مونيم ، وتسأله المزيد من الايضاح ٠٠٠ وقبل أن تتلقى جوابه ، تدخل عمتها ، ونفهم من حديثها أنها لم تعد تستحسن خروج فرانتز مع مونيم ، خوفا من ألسنة الناس وتأويلهم للصداقة التى بينهما تأويلا سيئا ! وتعلن العمة لمونيم أنها لا تفكر فى تزويجها من فرانتز ، وبما أنها تريد لها الزواج فى القريب العاجل ، فهى تود أن يقللا من النزهة والظهور معا ٠٠!

وهنا تدخل « مارى آن » وصيفة الدوقة ، وتطلب من الدوقة أن تسمح لها بالتغيب بضعة أيام ، حتى تتمكن من رؤية ابن عمها الذى يحتضر ، فى مستشفى طولون ٠ وتأذن لها الدوقة بعد لأى ، ثم تخرج من الحجرة ، فيدخل بقية الخدم على مونيم ، ويخبرونه بأن الدوقة سبق أن سمحت لهم بالتغيب هذه الليلة ، لمشاهدة المهرجان الذى يقام بالمدينة ٠٠ ثم يخرجون ، ولا يبقى فى المنزل سوى الخادم العجوز الاصم « جوزيف » ٠٠

ويركع فرانتز أمام مونيم ويدور بينهما الحديث التالى :

فرانتز : لكم أحبك يا مونيم !

مونيم (وهى تداعب شعره) : مم تخاف اذن ؟

فرانتز : أحبك ! لذلك أخشى على حبنا أن يضعف بتأثير ضرورات الحيـــاة المادية !

مونيم : أما عن حبنا ، فهو قوى ولن يموت !

فرانتز : بلى يا حبيبتى ٠٠ انه لكذلك ٠٠ فقط حاولى أن تفهمى انه ليس من الممكن أن يدوم حبنا الى الابد ، كما هو الحال فى القصص الغرامية ٠ ان الحب يتطلب كفاحا متواصلا ضد آلاف القوى : القوى الداخلية الكامنة فينا ، والقوى الخارجية التى يسلطها العالم علينا !

مونيم : أعتقد أن لدينا القوة الكافية لمواجهة هذا الصراع ٠

فرانتز : كلا يا مونيم ، فليس من السهل أن ننتصر على هذه القوى المجتمعة والفقر يلازمنا ! انك لم تذوقى ـ مثلى ـ هذا الفقر الذى يطاردنى منذ عشرين عاما ، ككلب لا يكف عن النباح ٠ اننى أتهيبه ، ولا أستطيع أن أتصور مرور النساء الجميلات على مقربة منك ، وأنت رثة الثياب ٠ حقا ، ان كل هـــذا لا يبدو ذا قيمة ، لأن حنانى عليك سوف يزداد على مر الايام ٠٠ لكن هذا الحنان بالذات ، هو الذى أخشى أن يحل محل حبنا !

مونيم : ان سعادتنا يا عزيزى قد لا تترك مجالا لما تخشاه ٠

فرانتز : أنت لا تريدين أن تفهمينى يا مونيم ٠ اننى أعلم أنه ليس من حقنا أن نجازف ، ولو قيد شعرة ، باتلاف حبنا ٠٠ خشية أن يأتى اليوم الذى سننظر فيه الواحد الى الآخر بعين المقت والكراهية ٠ ولعلك عندئذ أن تتساءلى ما لو لم يكن من الافضل لو بقيت دون زواج ، تنعمين بالرفاهية والثراء ؟!

مونيم : تبا لك يافرانتز !

فرانتز : انك ستتساءلين ولو رغما عنك،وسيأتى اليوم الذى أرى فيه مرارة الفقر على فمك ، وألمس آثاره على أناملك ٠ ويكفى عندئذ أن تتلاقى نظراتنا لنشهد مصرع حبنا !

مونيم : أواه ! لماذا يتراءى لك ذلك قبل الاوان ؟!

فرانتز (وقد جلس على الارض وأمسك بساقيها) : مونيم ٠٠ كم أود ، أنا أيضا ، أن أعتقد فى قصص الحب الجميلة !

مونيم (مرتاعة) : فرانتز ٠٠ أتبكى ؟!

فرانتز : قد لا تستطيعين أن تدركى كل ما أقول ٠٠ ولكن ، أقسمى لى يا حبيبتى ، بأن تذكرى دموعى هذه التى سكبتها بين يديك ، فيما لو أدخلت الرعب على نفسك فى يوم من الايام !

مونيم : ماذا دهاك يا حبيبى ؟

فرانتز : سيزعمون لك أننى لست الا شخصا حقيرا ، تنقصه الشجاعة لمواجهة الفقر والعمل ٠٠ وربما زعموا أيضا أننى لم أحبك اطلاقا ! فكرى عندئذ فقط فى دموعى ، وفى تعطشى العميق الخالص لحبك ٠٠

مونيم : اننى لا أفقه مما تقول معنى !

فرانتز : ليس الامر بذى بال ٠ كل ما يهمنى فقط هو أن تؤمنى بحبى ، ولو كنت لا تفهمين من الامر شيئا !

مونيم : اننى أثق فى حبنا وسأعمل ما تأمرنى به ٠٠ يجب ألا أراك تذرف دموعك بعد اليوم !

فرانتز : مونيم ٠٠ **(ثم يرفع رأسه وينظر اليها بحدة)** اذا ماتت جدتك ستصبحين غنية !

مونيم : لماذا تخبرنى بذلك يا فرانتز ؟ ٠٠ يجمل بنا ألا نتمنى موتها !

فرانتز : ولكن فى مقدورنا أن نتمنى سعادتنا ٠٠ وهذا لن يغير من واقع الامر شيئا ! ولو رغبت حقا فى أن يستمر حبنا ، لتمنيت موتها كل صباح ٠٠ كصلاة يرددها العابد عند مطلع كل فجر !

مونيم : أواه ! ٠٠ فرانتز ٠٠ كلا !

فرانتز : انظرى الى يا مونيم ٠٠ لم يبق أمامنا الا هذا الامل الوحيد ٠ أتجرؤين أن لا تتمنى موتها حتى تتحقق سعادتنا ؟

مونيم (وهى تحول بصرها عنه) : أحبك يا فرانتز ٠٠

فرانتز : انظرى الى ٠٠ اريدك أن تفعلى

مونيم : يا لخجلى !

فرانتز : ماذا ترين ؟

مونيم (تخفى رأسها فى صدر فرانتز) : ان خواطرى مثل خواطرك ٠٠ ولكنى تعسة !

◆ ويقترب فرانتز من غرفة الدوقة ، ثم يفتح الباب بحرص شديد ، ويتأمل الدوقة وهى نائمة فى فراشها ، ولا يلبث أن يعود الى مونيم ، ويفصح لها عن حقده على هذه العجوز التى ستعمر طويلا ، لعزوفها عن ملذات الحياة ! ٠٠ ونفهم من الحوار الذى يدور بين « فرانتز » و « مونيم » أن الشمطاء لم تبد لمونيم أية رعاية او عطف فى أوقات حزنها وانطوائها ٠ ثم انها عاشت حياة جافة ، خالية من ألوان المسرات والبهجة ، فلا بأس اذن فى أن تموت !

وهنا تدخل الوصيفة « مارى آن » وهى تستعد للحاق بقطار المساء ٠٠ وقبل أن تخرج ، يقطع عليها فرانتز الطريق ، ويسألها بصوت محموم :

فرانتز : مارى آن ٠٠ لقد كنت تحبينه ٠٠ أليس كذلك ؟!
مارى آن : لماذا تسألنى هذا السؤال يا سيد فرانتز ؟
فرانتز : ان الدوقة أخبرتنا بأنه كان خطيبك ؟
مارى آن : أجل يا سيددى ٠٠
فرانتز : لماذا اذن لم تتزوجا ؟ لقد كنتما عاشـــقين ٠٠ أجيبى ٠٠ مم تخافين ؟!
مونيم : دعها يا فرانتز ٠
فرانتز (وصوته يرتعد) : أجيبى يا مارى ٠٠
مارى آن : انها آلامى وحدى ٠٠ وهى لا تخصك فى شىء ، وليس لك الحق فى أن تستجوبنى !
فرانتز : انه يحتضر ٠٠ وعندما يحين دورك أنت أيضا ، لن يعلم أحد أنه كان فى امكانك أن تكونى سعيدة ٠ تكلمى ٠٠ ألم يكن عشيقك !؟
مارى آن : لم يرغب فى آن آكون خليلته !
فرانتز : لماذا ؟
مارى آن : لقد منعه كبرياؤه ٠ ولم يكن فى استطاعتى أن أكون زوجته !
فرانتز : ولم لا ؟
مارى آن : كان ينقصنا المال ، لبناء عشنا الصغير ٠ ولم يكن يكسب الا الكفاف ، وبشرط أن يجوب البحر طول اليوم كبحار ! هذا علاوة عـــلى أن الدوقة لم ترغب فى الاحتفاظ بى ، فيما لو تزوجت ٠ ولم نجد وسيلة أخرى للحصول على المال ، ولم يكن فى مقدورنا أن نريق دماء عابر سبيل ، كى نسلبه ماله !
فرانتز (وهو يضغط على ساعدها بغلظة) : هل أنت على يقين من ذلك ؟
مارى آن : كيف ؟ ماذا بك ؟ دعنى !
مونيم : فرانتز ٠٠ اتركها ٠٠ ماذا دهاك ؟
فرانتز (لمارى آن) : أأنت على يقين من أنه كان يحبك ؟
مارى آن : أجل ٠٠ أجل ! انه كان يحبنى ٠٠ وليس لك الحق أن تشك فى ذلك ٠٠ ولو رغبت ، لقتل نفسه من أجلى !
فرانتز : وما فائدة الكلام ؟ لو كان يحبك حقـــا ، لما توانى عن ارتـكاب جريمة قتل من أجلك !
مونيم : اسكت يا فرانتز ٠٠ هل جننت ؟!
فرانتز (وقد بدأ صوته يعلو) : اننى أعلم ما تريدين قوله لى ٠ لا تحاولى

أن تخدعى نفسك بمبادىء الامانة والاخلاق ٠٠ ان كل ما فى الامر أننا جبناء ٠ والا فخبرينى بالله ٠ ما الجرم فيما لو قتلنا شخصا ما ٠٠ أليس لنا الحق فى أن نكون سعداء ؟!

◆ وينقلب صياحه عواء ، وتنطلق من جوفه صرخة هائلة ، فتهرع مونيم الى غرفة الدوقة وتحكم اغلاق بابها ، ثم تلقى بنفسها على صدر « فرانتز » وتهمس له قائلة : « هدىء من روعك يا فرانتز ٠٠ أصمت يا حبيبى ٠٠ أصمت ! » فيتهالك الشاب على أحد المقاعد منهوك القوى ، ملقيا برأسه بين يديه ٠

وتصاب « مارى آن » بنوبة من الذعر ، فتطمئنها مونيم الى أن ثورة فرانتز مبعثها مرضه ، ثم تودعها وتعود الى فرانتز :

مونيم : فرانتز ٠٠ حبيبى فرانتز !

فرانتز : صحيح أننى لم أخبرك بعزمى هذا ، لانى أدركت انه لم يكن فى استطاعتك أن تحتفظى بالسر ٠ ولكن الامر تقرر ٠٠ اننى سأقتلها الآن ٠٠ بل فى التو واللحظة !

مونيم : يجب ألا تلفظ هذه الكلمة يا فرانتز ٠٠ سيقبضون عليك بعد ارتكابك الجريمة ، ولن يكون مصيرك الا الموت شنقا !

◆ وتحاول مونيم تهدئة ثائرته بكل الوسائل ٠٠ ولكن محاولاتها تبوء بالفشل ، فتصرخ معلنة له بأنها لا تحبه ، والا ففيم كان شعورهما بالشقاء والعار ، فى أعقاب كل ليلة قضياها معا ؟!٠٠ وتحاول أن تقنعه بأن كلا منهما لايحمل لصاحبه الا الشعور بالحنين ، ولا يعقل أن يقدم المرء على ارتكاب جريمة بشعة ، كجريمة القتل ، بدافع من هذا الشعور فحسب !

ويضمها « فرانتز » الى صدره بعنف ، مصرحا بأنها لا تصدقه القول ، لأن كلاهما يحمل لصاحبه حبا عارما جارفا ، وانها تعلم تماما ان ليس فى استطاعتها أن تحب أحدا غيره ، أو تتخذ لنفسها عشيقا آخر ، الى اللحظة الاخيرة من حياتها !

ويقبلها « فرانتز » طويلا ، فتستسلم له ٠ ولا تلبث أن تفقد وعيها وهى بين ساعديه ، فيحملها الى فراشها ٠ ويدخل الخادم « جوزيف » ومعه برقية يقدمها لفرانتز ، فيقرأها هذا ثم يفركها بيديه ويلقيها جانبا ٠

وفى تلك اللحظة تستيقظ الدوقة فتنادى مونيم من غرفتها ٠ ويهرع اليها « فرانتز » ، ثم يحاول استعطافها للمرة الاخيرة ، كى توافق على زواجه من



مونيم وتمنحهما قليلا من المال ! ٠٠ غير أن العجوز تقابل استعطاف الشاب بقهقهة ساخرة ، وتصيح معلنة انها تفضل أن ترى أبنة أخيها جثة هامدة ، على أن تراها زوجة لصعلوك مثله !٠٠ وفى هدوء ، يقترب « فرانتز » من فراشها ٠٠ ويجهز عليها ! ٠٠ بعد أن يعدها - وهو يفعل - بأن موتها سيكون سهلا ٠٠ !

وبعد برهة قصيرة ، تعود « مونيم » الى رشدها ، وتسرع الى الغرفة باحثة عن « فرانتز » لتحاول منعه من ارتكاب جريمته ! ولكن سرعان ما تدرك انها تأخرت ، فتتهاوى على الارض وهى تجهش بالبكاء ، وتصرخ قائلة : « لقد قتلتها ٠٠ لقد قتلتها ! »

الفصل الثالث

◆ فاذا كان الفصل التالى ، فنحن فى غرفة رئيسية من غرف القصر ، وضوء النهار قد أوشك أن يبزغ ٠٠ ونرى « فرانتز » جالسا على مقعد ، شاحب الوجه مكدودا ، أشعث الشعر والهندام ٠ وأمامه مباشرة ، جلس أحد رجال البوليس الى منضدة ، يقلب أوراقا عليها ، واستند آخر الى حافة المنضدة ، بينما أخذ ثالث يقطع الغرفة جيئة وذهابا ٠٠

ويستمر التحقيق الذى بدأ مع « فرانتز » فى منتصف الليل ، دون أن يصل رجال البوليس الى نتيجة تمكنهم من القبض عليه ، رغم اقتناعهم بأنه القاتل ! ويشددون خناقهم عليه ، ويكررون اسئلتهم المرة تلو الاخرى ، على أمل أن يتناقض فى اجاباته فيجدون خلال هذا التناقض ثغرة ينفذون منها الى اثبات ادانته ، ومن ثم الى اعتقاله ؟!

٠٠ لكن « فرانتز » يظل على يقظته وحذره ، ولا يترك أمامهم فرصة لتحقيق مآربهم ! فيقف التحقيق عند هذا الحد ، وخاصة بعد أن يعترف جوزيف ، الخادم المسن ، بأنه مرتكب الجريمة !

ويطلب مندوبو الصحافة مقابلة « فرانتز » لاخذ حديث منه عن ظروف الحادث ، ولكنه يرفض مقابلتهم ٠٠ ولا يسمح بالدخول الا لصديقه « فيليب »٠

٠٠ ويبدأ الحديث بينهما : فيبدى « فيليب » فرحه باعترافات الخادم المسن ، ولكنه يتساءل عما اذا لم يكن مجنونا ؟! وهنا يفاجئه « فرانتز » حين يواجهه بالحقيقة فى صوت أجش خفيض النبرات : « ومع ذلك ٠٠ فانت تعلم أننى القاتل ! »

ويندفع «فيليب » فى الكلام محاولا تبرئة صديقه من التهمة التى يلصقها بنفسه ، ويبدى عدم تصديقه لما يقول ٠٠٠ لكنه لا يلبث ، ازاء اصرار « فرانتز » أن يقتنع بالامر الواقع ، فيصيح قائلا : « أواه ٠٠ ان هذا لمريع » !

فرانتز : أليس كذلك ؟ ٠٠ بل ان الامر لاشد ترويعا مما تتصور ٠٠ أجل ، اننى قتلتها يا فيليب ٠ لكن كلمة « قتل » لا تؤدى المعنى المقصود ٠ لا يمكنك أن تدرك ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معان ٠ لقد كانت لدى مطرقة ملفوفة بالقماش ، فرفعتها وأهويت بها على رأسها ! ولم تحول الطرف عنى والضربات تتوالى عليها ٠٠ آه ! لو كنت تعلم كم كانت الثوانى تمر بطيئة ٠ انها لم تمت من الضربة الاولى ، فانهلت عليها ضربا دون انقطاع ، لانها كانت تتحرك دائما ٠٠ ولم أكف عن الضرب الا عند ما سكنت !

فيليب : أواه ٠٠ اسكت !

فرانتز : لقد أفزعتك ٠٠ أنا أيضا كنت مفزوعا ٠ والآن زال عنى هذا الخوف ٠٠ انما أردت فقط أن تعــلم ما معنى القتـــل ، وما معنى أن تكون قاتلا ! **(يمسكه من طرف سترته وينظر اليه)** ٠٠ والآن اصغ الى : اننى لم اسمح لك بالدخول ، دون بقية الصحفيين ، الا لحاجتى الماسة الى أن أصرح لشخص ما بأننى سعيد اذ قتلت ! ٠٠ لن أندم على شىء ! واذا أخذوا بتلابيبى فلن أدافع عن نفسى ، اذ ليس لدى ما أقوله للقضاة ٠ ومع ذلك فأنا أكره الجريمة وأكره الموت ! ٠٠ انه لتواطؤ مع الطبيعة ، من البشاعة بمكان ، أن نفرح لموت شخص ما حتى لو كان من ألد أعدائنا ! بل انى ربما كنت قذفت بنفسى الى الماء ، فى ظروف مخالفة ، كى أنقذ هذه العجوز التى لم أحبها قط ! ٠٠ فاذا كنت قد قتلتها اليوم ، فما كان ذلك طمعا فى مالها ٠٠ لا تعتقد يا فيليب أن المرء يقدم على القتل لان شجاعة الاقبال على العمل تنقصه ٠٠ انظر الى يدى التى ما زالت ترتعش ٠٠ ان الاولى لى ان أمضى عشر سنوات فى الليمان ، على أن أقترف جريمة لا تستغرق من الوقت الا ثوان معدودات ٠٠ فقط ، كنت أود أن يدوم حبى ، وان يكون جميلا وكاملا ٠ وفى سبيل تلك الغاية ، لا أتورع عن اقتراف أفظع الجرائم وأبشعها !

◆ ثم يتجه الى احدى النوافذ ، ويرفع الستائر فتفيض شمس الصباح بنورها فى أركان الغرفة : « آه ٠٠ انه الصباح ٠٠ لقد هزم الليل المخيف ٠٠ الآن انتهى كل شىء ٠٠ انتهى كل شىء ! »

ويخرج « فيليب » ، فيدخل الخادم « أوربان » ليقدم كوبا من عصير البرتقال الى « فرانتز » ، فيطلب اليه هذا أن يستدعى سيدته « مونيم » لرغبته فى محادثتها ..

وبعد هنيهة ، تدخل مونيم مرتدية ملابس داكنة اللون ، وقد كسا الشحوب وجهها وانتثر شعرها على جبينها :

مونيم : ها أنذا ..

فرانتز : آه .. اننى سعيد .. ألم يحققوا معك ؟

مونيم : كلا ..

فرانتز : يا عزيزتى الصغيرة .. انك لمريضة . اجلسى هنا . يا للسعادة .. يا للسعادة !

مونيم : هل أطلقوا سراحك ؟

فرانتز : نعم .. لقد اتهم جوزيف نفسه ، وانى لأجهل الدافع له على ذلك ! يا للمسكين .. لقد ارهقوه بالاسئلة ، حتى كاد يفقد صوابه !

مونيم : وماذا سيكون مصيره ؟

فرانتز : لا أدرى ، فان الامر يستوى عندى . ولكنه يقينا لن يعدم ، لانه بلغ من الكبر عتيا . وسيتبين لهم فى نهاية الامر أنه مجنون ، فيكون مصيره ملجأ من الملاجىء . سنرحل يا مونيم .. لن نتعرض للتحقيق بعد اليوم .. سنغادر القصر .. بل سنغادر هذه البلاد ، ونعيش مع أناس لا نخشاهم .. اننى سعيد يا صغيرتى العزيزة !

◆ ويتقدم الى ناحيتها ، فيجلس تحت أقدامها ، ويمسك بركبتيها .. بينما تغلق هى عينيها ، ولا تنبس ببنت شفة :

فرانتز : لقد أدركنا مرادنا يا مونيم . وقد أخفينا حبنا أمس للمرة الاخيرة والآن ، أصبحنا نملك حق التمتع بحياتنا وستكونين لى يا عزيزتى الصغيرة دون خوف أو خداع .. **(وهو يداعب ساقيها)** ليس من العسير اقتراف جريمة قتل لاجلك يا عزيزتى . واذا كنت قد تمكنت من تفادى كل حيلهم ، وأحبطت كل محاولاتهم للايقاع بى ، فما ذلك الا لأنى أحبك .. اننى متيم بك .. اننى حبيبك ، ولذلك كنت أقوى منهم ، وسأكون دائما قويا .. أقوى من كل شىء .. حتى الفقر ! لقد تطهرت نفسى فى دماء هذه العجوز ، ومنذ اليوم أصبحت رجلا . ألا خبرينى بالله يا مونيم ، كيف وقعت فى غرام هذا المسكين الذى كنته ، والذى كان يخجل من الفقر ، ولم تكن لديه الجرأة الكافية كى يتخذ منك عشيقة له منذ زمن طويل ؟!

مونيم (وهى ترنو اليه بحزن يفيض قسوة) : انهض يا فرانتز .. يجب

أن تنهض · لقد تألمت طيلة هذه الليلة وفكرت كثيرا · يجب أن تصغى الى يا فرانتز · لقد تكلمت كثيرا ، وكنت أسمع صوتك ولا أعى مما تقول شيئا ! ولست أدرى عن أى شيء كنت تحدثنى · والآن ، أجد لزاما على أن أكشف لك خبايا نفسى · لقد تحطم شيء فى نفسى منذ اللحظة التى قتلتها فيها ! لا مفر الآن من أن نغادر البلاد ونعيش جنبا الى جنب ، ونبذل ما فى وسعنا لنكون سعداء · ولكنى قطعت على نفسى عهدا ، بعد أن أنعمت الفكر طويلا ، **بألا أكون زوجة لك !**

فرانتز : ماذا تقولين يا مونيم !

مونيم : ان علاقتنا سوف تستمر كما كانت من قبل· اننى ما زلت عشيقتك · سنعيش معا ، ونحاول أن ننسى تلك الجريمة الشنعاء ، وكل ما كان من حب سابق بيننا !

فرانتز : عن أى شيء تتحدثين ! هل أنت مجنونة ؟ اننى لا أريد أن أنسى ·· اننى أحبك ، ولهذا خاطرت برأسى !

مونيم : لا يا فرانتز ·· لم يعد هذا ممكنا بعد اليوم !

فرانتز : مونيم !

مونيم : لا تصرخ ·· انك بهذه الكيفية ستجلب لنا الشقاء !

فرانتز : دعك يا مونيم من وشاح الموتى الذى تتلفحين به · ماذا حدث ؟ وماذا قالوا لك ؟

مونيم : لم يقولوا لى شيئا · أرجوك أن تصمت ، ولا تذكر شيئا عما حدث · ان هذا مريع للغاية ، ويجب أن يكون هدفنا أن ندفن هذا الماضى البغيض !

فرانتز (وهو يمسك بكتفيها ويهزهما بعنف) : ولكن هذا ليس ممكنا · لابد انك تحلمين · استيقظى ·· أنا فرانتز ·· اننى عشيقك الذى أتى ليحملك بعيدا عن هذا المكان ، كى تعيشى سعيدة !

مونيم : دعنى ··

فرانتز : يا صديقتى الصغيرة !

مونيم : دعنى ·· **(وتنتصب واقفة بعنف)** ·· لا أريد أن تلمسنى بهذه الايدى ·· هذه الايدى القذرة !

فرانتز (ينظر الى يديه مبهوتا) : ان يدى ليستا بقذرتين ·· لقد ارتكبنا جريمة القتل فى سبيل حبنا !

مونيم : اتركنى ! · انك تثير الفزع فى نفسى ! ·· لقد قتلتها من أجل الحصول على مالى !

◆ ويهتز جسدها وهى تتكلم ، ثم ترتمى على مقعد وتنفجر باكية بحرقة ، بينما ينعقد لسان « فرانتز » ، فينظر الى يديه ببلاهة ثم ينظر الى « مونيم » وهى تنتحب ٠٠

فرانتز : مونيم ٠٠ مونيم ٠٠ ان هذا ليس بصحيح ! انك لا تعتقدين ذلك ؟! (**فترة صمت ، يتابع بعدها حديثه ٠٠ بينما مونيم مستمرة فى بكائها !**) ٠٠ أجيبينى ٠٠ لا يمكن أن تبقى هكذا دون أن تقولى شيئا ٠٠ دعى هذا الاعتقاد للآخرين ـ فسيان لدى ـ ولكن أنت ٠٠ ان هذا لغريب منك يا مونيم !

مونيم : تذكر البرقية ٠٠ ان بنتز كان يعرض عليك ألفين من الفرنكات شهريا ٠٠

فرانتز : ان هذا معناه الفقر يا مونيم ٠ انك تعلمين تماما اننى لم أرغب فى الحصول على مال عمتك الا من أجل حبك ، ولكى أجعل هذا الحب نقيا طاهرا ، بعيدا عن أوحال الفقر ومتاعبه !

مونيم : هذا غير صحيح ! لو كنت أحببتنى حقا ، لما خشيت أن تكون فقيرا ، وأن تخفى حبك عن الناس ٠ انك لم تقدم على هذا العمل الا طمعا فى مالى !

فرانتز (وهو يحتضن رأسها بيديه) : انظرى الى ٠٠

مونيم : لا تلمسنى ٠٠

فرانتز : لو احتاج الامر الى استخدام القوة ، لما ترددت فى استخدامها ، حتى أتبين ما تخفيه نظراتك ! ٠٠ (**وهو يمسك برأسها**) ٠٠ ألا تعتقدين حقا اننى لم أقدم على تلك الجريمة الا لاننى أحبك ! (**وتمر فترة من الصمت ، لا تتفوه فيها مونيم بكلمة ، فيرنو اليها فرانتز ، ولكنه لا يلبث أن يتراجع من هول نظراتها**) ان هذا لفظيع ٠٠ ولكننى لم أفعل هذا الا من أجلك أنت يا مونيم ٠٠ لكى أحميك من الفقر !

مونيم : هذا غير صحيح ! انه من أجل مالى !

فرانتز : أواه ! ان هذا الحديث لسخيف !

مونيم (باصرار) : من أجل مالى ٠٠ من أجل مالى !

فرانتز : لماذا ترددين على مسامعى تلك السخافات ؟ ان نفسى قد تزعزعت بالنسبة لمالك ، منذ ذلك الصباح ٠ أصبحت رجلا ، عاشقا ، فقيرا ٠٠ صبورا على المكاره ٠ فلنرحل بغير هذا المال ، طالما انه يفزعك الى هذا الحد ! ٠٠ اننى لجبان رعديد اذ بحثت لك عن مخرج لحمايتك من الفقر ٠ أنت وشأنك ٠ اننى أحبك هكذا ٠٠ تعالى !

مونيم : دعنى ٠٠ اننى لا أحبك !

فرانتز : لماذا تكذبين ؟ ٠٠ انك تحبيننى ٠٠ اننا متحابان !

مونيم : كلا ٠٠

فرانتز : أجل ٠٠ وانما أنت تقولين لا لأنك تخشين جثة الدوقة التى ترقد على مقربة منا ٠٠ ان فمك وجسدك يستجيبان لى !

مونيم : كلا ٠٠ كلا !

فرانتز : أجل ! انك تحبيننى ٠٠ وها أنذا أرددها على مسامعك !

مونيم : دعنى ٠٠ ان جسدى يفزع منك ٠ اننى لم أستسلم لك الا لاجعلك سعيدا !

فرانتز : أنت تكذبين ٠٠ أنت تكذبين !

مونيم : لقد أنسقت اليك فدفعتنى معك الى الاوحال والدم ٠ اننى قد كرهتك تلك الليلة ، وفقد جسدى رغبته فى الاقبال عليك ، كما فقدت نفسى رغبتها فى حب مخضب بالعرق والدم ! اننى أود أن أعيش سعيدة ، كأية امرأة أخرى ، وأن أنسى كل شىء عدا ذلك !

فرانتز (بعد فترة صمت) : ألم أعد ذا قيمة بالنسبة لك يا مونيم ؟!

مونيم : كلا يا فرانتز !

فرانتز : وخلال تلك المدة الطويلة ، تركتينى أعتقد أننى رجل ، وعززت هذا الاعتقاد فى نفسى ، بينما أنا فى حقيقة الامر والواقع « لا شىء » بالنسبة لك !

مونيم : ليس لنا أن يؤلم كل منا الآخر يا فرانتز ٠ أؤكد لك أنه من الممكن أن نعيش جنبا الى جنب ، دون أن يؤذى أحدنا شعور الآخر ٠ أما مالى فسنتقاسمه !

فرانتز : لماذا تتكلمين وتقولين انه مالك ؟ اننى أنا الذى أعطيته لك ، مقدما رأسى ثمنا له ٠ أتعتقدين أننى أقبل مساومتك القذرة ؟ أتظنين أننى ارتكبت هذه الجريمة لكى أساومك على النصف ؟ احتفظى به ٠ انه هدية منى اليك ٠٠ آه ٠٠ انك لم تعودى تحبيننى ! **(ويضحك ضحكة جنونية)** ٠

مونيم : ماذا بك يا فرانتز ؟

فرانتز : حسنا ! ٠٠ انك الآن جميلة وقوية وغنية ٠٠ يمكننى اذن أن أقول لك ان الاستحواذ عليك كان أملى الوحيد ٠ انك لم تعودى تحبيننى اليوم ! وأنا الذى قاومتهم طيلة ست ساعات كاملة ، لاعتقادى بأننى رجل وبأنك تحبيننى ٠ فليأتوا الآن ٠٠ فاننى لن أبدى أية مقاومة ! ٠٠ يا لى من غبى ! انظرى الى جيدا ٠٠ لقد كنت تتوهمين اننى قوى وشجاع وهادىء النفس ٠٠ انظرى الى يدى اللتين ترتجفان منذ البارحة ٠٠ انظرى الى عشيقك القبيح ،

الشرير ، الفقير ، الجبان ! (**تخفى مونيم وجهها بيديها**) ٠٠ انتحبى كما يحلو لك ! اننى من أجل مالك قتلتها ، ومن أجل مالك أحببتك ٠ كونى سعيدة ٠ انك جميلة ، وستجدين حتما - بالملايين التى سترثينها - زوجا يرضى ذوقك ٠ وفيما بعد ، عند ما تهفو نفسك الى الحب الذى من أجله نستحق أن نحيا هذه الحياة ٠٠ عندئذ يمكنك أن تتخذى لك عشيقا ، بين الساعة الخامسة والسابعة بعد الظهر !

مونيم : أواه ٠٠ انك لمشين يا فرانتز !

فرانتز : لابد أن يكون الامر كذلك ٠ أنكم جبلتم من طينة أخرى ، وانني لأتساءل عما اذا كان من حقى أن أبقى معكم ، مستجديا منكم الصداقة أو الحب ، كأنها أشياء حقيقية موجودة فعلا ٠٠ اننى أسألك العفو !

(◆ ويبكى « فرانتز » ، فتنظر اليه « مونيم » بدهشة ، ثم تقترب منه بلطف) ٠

مونيم : فرانتز ٠٠

فرانتز : آه ٠٠ لا ٠٠ لا أريد شفقتك ٠٠ اغربى عن وجهى !

مونيم : فرانتز ٠٠ انك كنت دائما شامخ الانف ، بينما كنت أنا مجنونة ٠٠ وها نحن نتألم معا الآن ٠ لقد قلت لى من قبل أن الله لا يهب نعمة الحب لجميع الناس ، فيجب اذن أن نقنع بما لدينا ، وأن نستمر فى الحياة ٠ ربما أمكننا أن نكون سعداء ، اذا ألقيت بكبريائك جانبا ٠٠ هذه الكبرياء التى تنشد حبا جنونيا ، أقدمت بسببه على القتل ٠ وها نحن نعانى ما نعانيه ، من جراء ذلك ٠ ولو خيرت أنا ، لقنعت بأن أحبك رغم فقرك ، وأن أظل عشيقتك ولو فى الخفاء !

فرانتز (**وقد بدا كسير النفس متواضعا**) : لقد كنت وحيدا ، أكافح بمفردى العالم

مونيم : ان كبرياءك ليس له حدود ٠٠ لقد أحببتك كفتاة صغيرة أحبت صديق طفولتها بعد أن عثرت عليه ٠ هذا كل ما هنالك ٠ أما الآن ، فاننى أمقتك لانك لجأت الى استغلال حبى الضعيف ٠٠ أمقتك لانك علقت على حبى أحلام العاجز المجنون !

(◆ وتمر فترة صمت طويلة لا يتحرك خلالها٠ويدلف الى الغرفة اثنان من ضباط البوليس المحققين ، ثم يتناولان معطفيهما استعدادا للرحيل) ٠

الضابط الاول لزميله : ان العجوز قد اعترف ، اننى أقر بذلك ، ولكنك لا تستطيع أن تنزع من فكرى العقيدة بأن الآخر هو الذى أقدم على هذه الجريمة !

الضابط الثانى : حسنا .. حسنا ! لا تتحمس هكذا .. ان الرئيس مقتنع بهذه النتيجة .. وأنا كذلك ..

(ويخرج الضابط الأخير ، بينما يحدق الضابط الاول فى فرانتز طويلا . وفجأة ، يتجه اليه ، ويقبض على ذراعه بقوة ، ويهزها بعنف !)

الضابط : بأى شىء قتلتها ؟

فرانتز (على الفور ودون أن ينظر خلفه) : بمطرقة ملفوفة فى قطع من القماش !

الضابط (وهو يقفز من الفرحة) : يا حضرة الرئيس .. أيها الزملاء .. يا حضرة الرئيس .. لقد كنت أعلم تماما انه الجانى .. لقد كنت أعلم انه الجانى !

(ويدخل رجال البـوليس من جميع الأبواب ، ويتجهون الى فرانتز للقبض عليه . وترفع مونيم رأسها ، دون أن تدرك فى بادىء الامر حقيقة ما يحدث ، ثم لا تلبث أن تطلق من أعماقها صرخة هائلة ، وتسقط على قدمى فرانتز صائحة :)

مونيم : فرانتز .. أحبك .. أحبك !

ستـــار


SEPT VISAGES
DE L'AMOUR
Par
ANDRÉ MAUROIS
أقنعة الحب السبعة .. لأندريه موروا
زنابق الوادي
نساء بلزاك اللواتي من لحم ودم
ونساؤه اللواتي من حبر و ورق !

بين حب الكهولة .. وحب الشباب !

◆ رأينا فى قصة « جوليا » كيف هرب « روسو » ، الخيالى ، من عصره ، ليصور الحب كما يريده أن يكون : الحب العفيف !.. ثم رأينا فى قصة « العلاقات الخطرة » كيف صور الجنرال « لاكلو » الحب الحرام الفاجر .. وعرفنا بعد ذلك الحب العنيف كما صوره «ستندال» فى قصة «الاحمر والاسود» .. الحب العنيف فى طهره وفجوره معا !.. وفى هـــذه المرة ، نشهد خلال حياة « بلزاك » وخلال روايتـــه المشهورة « زنبقة الوادى » ، حب الشاب الخجول المحروم ، لامرأة فى سن أمه !.. ثم حيرته حين يعلق قلبه بامرأة أخرى تصغرها ، فى وقت تقترب فيه العشيقة الاولى ـ العجوز ـ من حافة الابدية !

ملهمات الادباء

◆ **تحتل** قصص «بلزاك» منزلة رفيعة هامة فى تاريخ الحب فى فرنسا ، بحيث يصعب دراستها فى فصل واحد قصير ، خاصة وان الشخصيات النسائية التى خلقها ، من الكثرة والتباين بدرجة تدعو الى العجب .. **واذن فخير سبيل للاحاطة بها هى المقارنة بين بطلات قصصه وبين النساء اللواتى أوحين له بهن.. وهي مهمة عسيرة ، لأن التغييرات والتعديلات التي تطرأ على الواقع فى ذهن الفنان الخالق غريبة ومعقدة .. لكن المؤلف يعمد أحيانا الى فك رموز التفاعلات الخفية التى أصابت الواقع فأحالته فنا ..** مثال ذلك مانجده فى مفكرات «مارسيل بروست» من اشارات ترشدنا الى أن «لورا هيمان » هى المرأة التى أوحت له بشخصية «أوديت دى كريس» الروائية .. وان شخصيـــة « أدريان دى جرمانت » قد استمدت جمالها من « الكونتس جريفول » ، وحكمتها من « مدام ستراوس » ، وبديهتها الحاضرة من « الكونتس دى شيفينيه » ... الخ . كذلك نجـــد فى مسودات « الزنبقة الحمراء » ـ لأناتول فرانس ـ الخيط الذى

يقودنا الى التعرف فى شخص « مدام أرمان دى كايافيه » على المرأة التى انتحلت على الورق شخصية «تيريز مارتان بليم» !

أما عند «بلزاك» فنحن نتبين بين بطلات قصصه ملامح صديقتيه «جورج صاند» و «مارى داجول» ٠٠ كما نستطيع أن نطبق شخصية «مدام دى مورسوف» بطلة قصته الكبرى «زنبقة الوادى» على عشيقته الأولى «مدام دى برني» ٠٠ وشخصية «الدوقة دى لانجيه» على عشيقته التالية «الدوقة دى كاسترى » ٠٠ بحيث يمكن الجزم بأنه لو لم يعرف هذه وتلك في حياته ، لما كتب روايتيه الرائعتين ٠

وعلى هذه الوتيرة يبدو من الممتع أن نتابع المقارنة بين نساء «بلزاك» اللواتى من لحم ودم ، ونسائه اللواتى من حبر وورق !

«بلزاك» الرجل

◆ **عند ما** نقرأ صور الطفولة فى قصتى « زنبقة الوادى » ، و « لويس لامبير » ـ التى يؤكد «بلزاك» أنها انعكاس لطفولته هو ـ نجدها حافلة بالآلام ٠٠ برغم أن بلزاك لم يكن بالطفل الذى تحفل حياته بأسباب الشقاء ، اذا قيس بطفل مثل «ديكنز» كان يجلل طفولته العار والفقر معا !٠٠ فعندما ولد بلزاك عام ١٧٩٩ كان أبوه يحتل مركزا محترما وينعم برغد العيش ٠ ولكنه كان متزوجا من امرأة تصغره باثنتين وثلاثين سنة ، هى « **لورا سالومبييه » التى يمكن اعتبارها المسئولة عن تعاسة ابنها بلزاك فى طفولته ٠٠ فقد كانت ذات حسن رائع ، وثقافة ممتازة ، ومزاج مترف ، لكنها قاسية القلب تميل الى العبث ، حتى لقد أثارت حول سمعتها الشائعات والاقاويل بين جيرانها ، فنسبوا أبوة طفلها الثانى «هنرى» الى غير زوجها !٠٠ وقد احتفظت فعلا لهذا الطفل الاصغر ـ ابن الهوى ! ـ بالقدر الاكبر من حنانها ورقتها ، فى الوقت الذى كانت فيه تحرص دائما على ابعاد ابنها الاكبر «اونوريه» عن البيت !٠٠** ورغم ذلك

فان هذا لم يحقد عليها أو يحمل ضغنا ضدها بسبب هذا كله ، بل ظل يكن لها حبا بنويا كاملا ، يخالطه شىء من الخوف لازمه حتى كبر ، فصار وهو رجل ناضج لا يقترب منهـا بغير أن يرتجف ٠٠ وقد أشار أكثر من مرة فى قصصه الى ذلك الشعور بالحاجة الى الحماية النسائية ، الذى يحسه أولئك الذين حرموا حب الام الصادق ٠٠

من الضعف والكسل ٠٠ الى الصحة والمرح

◆ **ثم** ألحق «أونوريه» من سن الثامنة الى الرابعـة عشرة بمدرسة داخلية فى (فندوم) ، فكان خلال تلك الفترة أكسل التلاميذ وأقلهم نشـاطا وأكثرهم شرودا وتأملا ٠٠ ومن ثم أكثرهم نصيبا من العقاب ! وقد أكب على المطالعة الى حد أنه تبدل من فتي بدين مرح الى آخر نحيل شاحب ، حتى اضطر مدير المدرسة لارسال خطاب الى أسرته ، عام ١٨١٣ ، يرجوها فيه استعادة «أونوريه» الى كنفها للعناية بصحته ٠٠ وسرعان ما استرد «بلزاك» عافيته ، ثم أكمل دراسته فى (تور) ، ثم فى باريس ، حيث كان أبوه قد حصل على منصب فيها ٠ وحين بلغ الفتى سن السابعة عشرة التحق بمكتب موثق عقـود ، للعمل فيه ٠٠ وترينا صورته التى رسمت له فى تلك الآونة أنه كان حسن الخلقة ، ذا عينين براقتين ، رقيقتين ، وتعبير وجه صريح ينم عن صحة موفورة ٠٠ وقد كان فعلا مفرط المرح صاخب الحيوية ، لكنه لم يعتبر نفسه شخصا سعيدا ٠٠ بل كان مرحه وحيويته يخفيان عواطفه الملتهبة المكبوتة ٠٠ ففيم كان يطمع ؟ ٠٠ كان يطمع فى شيئين : الشهرة ، والحب !٠٠ وهما أمنيتان كانتا بعيدتى المنال بالنسبة الى شاب مغمور يعمل فى مكتب موثق عقود ، ولا تعبأ بالنظر اليه نساء باريس الفاتنات !

اقرأ ما يقوله فى خطاب الى أختـه « لورا » التى كانت ـ مثل أخوات كثير من العباقرة ـ كاتمة سره وحليفته : « **هـذه**

الطاحونة الدائرة التى يسمونها الحياة .. آه لو بعث أحد شيئا من الدفء فى هذا الوجود البارد .. اننى لم أنتج بعد أزهار الحياة ، بينما أنا فى الفصل الوحيد الذى فيه تزدهر .. فماذا تجدينى الثروة ومتعها فى سن الستين ، حين أكون قد استنفدت حياتى ولم أعد أستطيع أكثر من أن أشـــهد غيرى يحيون ؟! .. حين أكون قد أكلت طعامى ولم يبق الا أن أجلس ساكنا لأرى الآخرين يأتون ليأكلوا . أواه ، اننى جائع وليس ثمة ما يشبع شهيتى ..! »

يرفض الزواج والمال .. فى سبيل الأدب !

◆ **وحين** بلغ سن العشرين عرض عليه أبوه أن يزوجه ابنة أحد كبار الموثقين ، كى يرث عنه مكتبه فيما بعد . لكن الفتى أجاب بأنه منذ صباه قد عشق الادب والكتابة ، ولا يريد أن يصير موثقا ! .. فسخطت عليه الاسرة ، وأحنقها رأيه ، وصارت أمه القاسية تهزأ به وتسخر .. ولم تقف فى صفه غير أخته «لورا» .. ولما كان ذا ارادة حديدية فقد ربح المعركة ، فسمح له أبوه ـ رغم احتجاجات أمه ـ بأن يجرب مواهبه فى الادب لمدة عامين ، يعطيه خلالهما ألفا وخمسمائة فرنك كل سنة . فاذا لم يستطع بعد فترة التجربة أن يثبت نبوغه ويحصل على دخل كاف ، تعين عليه أن يعود الى مهنة الموثق !

وقبل «بلزاك» شروط أبيه ، فاعتكف فى سطح بيت عتيق بشارع «ليديجيير» حيث عكف على الكتابة بغير انقطاع ، كالمحكوم عليه بالاشغال الشاقة ، يدفعه حافز قوى الى أن يتحدى باريس بأدبه ! .. لكنه بعد محاولة فاشلة فى ميدان كتابة المأساة التمثيلية انتقل الى ميدان القصص الغريبة التى تثير الرعب ، مثل القصص التى كان «فيكتور هيجو» يكتبها فى تلك الآونة ذاتها .. **ولكن رغم موهبة «بلزاك» الشاب وعبقريته ، كانت تنقصه المادة والخبرة والموضوعات . كان عليه أن يجرب الحياة والحب .. وهنا تظهر المرأة الاولى فى حياته !**

مدام دى برنى

◆ فى بلدة (فيلباريسى) حيث انزوى والد « بلزاك » ، يقضى فى هدوئها أعوامه الاخيرة ، كانت تعيش امرأة فى الخامسة والاربعين تدعى « مدام دى برنى » ، واسمها الخاص « لورا » ـ نفس اسم أم « بلزاك » وأخته !

كان أبوها موسيقيا ألمانيا متصلا بالملكة « مارى انطوانيت » ، فلما عمدها اعتبرتها الملكة ابنتها فى المعمودية ٠٠ وحين كبرت تزوجت من نبيل شرس ذى نزوات ، أنجبت منه تسعة أبناء !٠٠ ولم تكن **« لورا دى برنى » جميلة ، وكان أقبح ما فيها أنفها الكبير ٠٠ لكنها كانت ذات نعومة خلابة ، أضاف اليها جو البلاط الفرنسى حضور البديهة والمرح وشيئا من السخرية ٠٠ أما « بلزاك » فكان حين التقى بها مراهقا يحلم بالحب ، ويقرأ كتب روسو « جوليا » و « الاعترافات » ، فيقضى أيامه باحثا عن خليلة له من طراز خليلة روسو « مدام دى فارين » !**

لكن خجله كان يعوقه عن الظفر بها فى البداية ، أو كما يصف نفسه حينذاك : « هكذا أنا ، وهكذا سأظل دائما : خجولا الى الدرجة القصوى ، وعاشقا مجنونا بحبه ، وعفيفا الى الدرجة التى لا أجرؤ معها على أن أقول لامرأة : « انى أحبك » ! ٠٠ **واعترف انى أبعد ما أكون عن الصلاحية للحب ، فليس لى مظهر العاشق ولا مسلكه ٠٠ لا أملك الكياسة ، ولا الجرأة ، ولا روح العدوان ٠٠ أو بعبارة أخرى انى مثل بعض الفتيات اللواتى تبدو الواحدة منهن خجولة غبية رقيقة خرقاء ٠٠ فى الوقت الذى تخفى فيه تحت هذا القناع نارا تحرق القلب ، والبيت ، وكل شىء !** ٠٠ لكنى مهما أطنبت فلن أبلغ فى وصف خلقى ما بلغه كاتب عظيم هو « روسو » ٠ فاقرأ وصفه لنفسه فى اعترافاته ، تفهم كل شىء ! »

لكن « بلزاك » استطاع أن يتغلب على خجله بأن يخاطب المرأة بالمراسلة ، مدفوعا اليها بحرمانه الطويل من الحب الاموى ، وشوقه الى امرأة ناضجة تلقنه ما يجهل من أمور الدنيا ٠٠ فكتب الى المرأة التى فى الاربعين ، ربة الاسرة الكبيرة المتشعبة ، رسائل من نار ، قال فى أولاها : « **لست أنتظر منك حبا ، ولا اعجابا ، ولا سخرية ، ولا أنفة ، ولا احتقارا ، لكنى كنت دائما أومن بأن فى أعماق كل امرأة شعورا يقرب من الرقة والصداقة ، هو الحنان ، هو الشفقة الكريمة التى تمد يدها للمجانين كما تمدها للتعساء ٠٠ فوداعا سيدتى وداعا ، واسمحى لى ـ بدلا من العبارات التافهة المألوفة التى يختم الناس بها الخطابات عادة ـ ان أودع هنا روحى كلها ،**

روحى النقية غير الموصومة أو الملوثة ، التى أجرؤ أن أقدمها لك كهدية من أطهر الهدايا التى يستطيع انسان أن يهديها أو يتلقاها ٠٠ فوداعا ! »

ولعل « مدام دى برنى » قد تلقت هذه الرسالة بالدهشة ، لكنها أرسلت الى صاحبها ردا عليها ، الامر الذى لم يكن ينطوى على شىء من الحذر ٠٠

الظفر بالجسد !

◆ **ومن** فوره صار بلزاك الشاب أكثر جرأة ، فكتب اليها يقول : « حين رأيتك فى المرة الاولى ، أثار مرآك حواسى وأنعش خيالى الى حد صورك لى امرأة كاملة الصفات ٠٠ وهكذا يمكنك أن تعتبرى سنواتك الخمس والاربعين كان لا وجود لهـا فى نظرى ، أو فلأقل اننى ان تنبهت اليها لحظة ، فانما لأنظر اليها كبرهان على قوة عواطفى ، بينما أنت تحسبينها كفيلة بمحو سحرك ٠ ان سنك التى قد يمكن أن تجعلك أضحوكة فى عينى لو لم أكن أحبك ، لهى على العكس رباط يربطنى بك ، بحكم شذوذه ومناقضته للآراء المألوفة ٠٠ »

ثم تلت ذلك بين الاثنين جلسات ، ومحادثات ، وساعات أنفقاها فى القراءة معا ٠٠ ومقابلات ليلية فى الحديقة فى غيبة الزوج !٠٠ وفى خلال أسابيع معدودة بلغت هذه المغامرة غايتها الطبيعية :

« أواه يا «لورا » ٠٠ اننى اكتب اليك فى منتصف ليلة تملأ قلبى فيها صورتك وتطاردنى فى سكونها ذكرى قبلاتك المجنونة ٠ ولكن أى أفكار يمكن أن تواتينى فى ظرف كهذا ؟ ٠٠ لقد بددتها أنت كلها من رأسى ٠٠ **نعم ، ان روحى بأكملها قد صارت مرتبطة بروحك ٠٠ أواه ، اننى محاط بسحر عجيب خلاب ، لا أرى غير المقعد الخشبى الذى كنا عليه ، ولا أحس غير ضغط جسدك الناعم على جسدى ٠٠ والازهار التى أمامى رغم ذبولها تحتفظ بأريج مسكر** ، انك تفضحين مخاوفك وتعبرين عنها فى لهجة تمزق قلبى ٠ ولكننى واثق الآن مما أقسمت لك عليه ، فان قبلاتك لم تغير من الامر شيئا ٠٠ ولكن لعلنى تغيرت ، فانى أحبك الى درجة الجنون ! »

الى هنا وكل شىء يبدو طبيعيا للغاية ، لكن البقية أكثر طرافة ٠٠ فان « مدام دى برنى » التى عاشت فى البلاط الملكى والتى سمعت من أمها ـ التى كانت وصيفة الملكة ـ ألف قصة وقصة عن النظام القديم ، والتى عاشت خلال الثورة فى ظروف روائية خيالية واحتفظت بالكثيرين من الاصدقاء الارستقراطيين فى مجتمع ما بعد الثورة ٠٠ تستطيع أن تعلم « بلزاك » الكثير عن الحياة والمجتمع !

وقد كان صاحبنا ذا فضول قوى عجيب ، يهتم بأن ينمى معارفه فى كل



باب : فى الاعمال ، والسياسة ، وأزياء النساء ، وأثاث البيوت ، ومبانى المنازل، والتاريخ المقارن وخفاياه ٠٠ **وقد كانت « مدام دى برنى » غنية بالذكريات فى جميع هذه الموضوعات ٠٠ فكم من قصة أسرت له بها أذن بين القبلة والقبلة ، على مقعد الحديقة الخشبى ؟! لكنها لم تزوده بالموضوعات فحسب ، وانمازودته أيضا بالجرأة على معالجتها ، وقد كان فى تلك الآونة فى حاجة - أكثر من أى شىء آخر - الى فيض من الرقة والاعجاب، والى امرأة تؤمن بعبقريته فى غير تحفظ ٠٠ وكانت لورا دى برنى هذه المرأة ، فأشعرت بلزاك بقوته فى هذا الصدد ٠٠ حتى لقد كتب بعد وفاتها يقول :** « فى بداية حياتى كانت هى لى أما حقيقية ٠٠ يا الهى ، لم تعد توجد روح واحدة تفهمنى ٠٠ فقد كانت هناك روح واحدة فقط ! »

ولم يكن أسلوب مدام دى برنى ممتازا ، بل كان تافها مألوفا شبيها بهديل النساء العاشقات ، الذى هو بمثابة « تمرينات صوتية » أكثر منه عبارات !٠٠ **لكن التأثير الادبى على بلزاك ، للمرأة الاولى التى عرفته على حقيقته ، كان رغم ذلك رائعا !٠٠ فقد كانت هى التى أعطته - بقصصها - تلك الفكرة الثمينة المبتكرة ، فكرة تأليف روايات تصف عصره ، على نسق روايات « والترسكوت »** ٠٠ وبناء على نصيحتها أقام بلزاك فى « فوجير » ، الضاحية التى ألهمته مادة كتاب من أروع كتبه ٠ ولعل الادب ما كان ليحظى ببلزاك لولا هذه المرأة ، فان كثيرين من العباقرة يموتون دون أن يعبروا عن أنفسهم ٠٠ لكنها لم تنفرد وحدها بهذا الشرف ، فقد خلفتها كثيرات أكملن رسالتها ٠٠ !

مدام دى كاسترى

◆ **كانت** ملهمة بلزاك الثانية هى « الدوقة دابرانتى » التى كان اسمها الشخصى أيضا « لورا » ، والتى لعله أحس بجاذبية نحوها مدفوعا بسحر هذا الاسم فى وعيه ٠٠ **ولم تكن هذه تصغر مدام دى برنى ، كما كانت**

تفوقها قبحا ! كانت صورتها الجانبية كالفرس ، وصوتها كالحيزبون العجوز ٠٠ **لكنها كانت بالنسبة لبلزاك ذات قيمة كبرى ، فقد كانت تعرف نابليون ، وكانت خليلة « مترنيخ » ٠٠ وقد حكمت بالاشتراك مع زوجها حكومتي اسبانيا والبرتغال !**

أما الملهمة الثالثة لبلزاك فكانت مدام « زولما كارو » زميلة أخت بلزاك فى المدرسة الداخلية ٠٠ **وقد كانت ـ من بين ملهمات « بلزاك » ـ أكثرهن حصافة فى الرأى ، ومناعة فى المنال ٠٠ فلم يجرؤ أن يتحدث اليها فى الحب** ٠٠ وقد كتبت اليه تقول : « لست أريد ـ ولم أرد يوما ـ الصداقة الممتعة التى تقدمها للنساء اللواتى يفضلننى ألف مرة ٠ وانما أنا أطمح الى عاطفة اسمى ، هى أن أحظى بتقديرك الكافى بحيث تجعل منى امرأة « احتياطية » تستجيب فورا لندائك ، حين يزعج بهجتك طارىء غير متوقع ، أو تجرح قلبك خيبة أمل مفاجئة ، فتناديها مستغيثا ٠٠ »

تولع باثارة الغرائز ٠٠ دون اشباعها !

◆ **وقد** كانت عند وعدها ٠٠ وان جميع مراسلاتها مع بلزاك لتوحى بنبل أخلاقها وذكائها المتوقد ٠٠ **ولكن يبدو أنها أمدته بمادة أدبية أقل من المادة التى أمدته بها كل من « لورا دى برنى » أو « لورا دا برانتى » ٠٠ أو عشيقته الرابعة « المركيزة دى كاسترى »** ، التى كتبت الى « بلزاك » عام ١٨٣١ ، منتحلة اسما مستعارا لامرأة انجليزية ـ كما كتبت الى « سانت بيف » حين أصدر أشهر كتبه ، وكما كتبت الى روائيين كثيرين فيما بعد ـ وقد أجاب « بلزاك » على خطابها ، **ثم انتهى الامر بها الى أن باحت لبلزاك باسمها الحقيقى ، واستقبلته فى مخدعها الذى قضت فيه الشطر الاكبر من حياتها طريحة الفراش ، نتيجة لاصابتها فى حادث صيد ٠٠ والمرض عند النساء يضفى عليهن مزيدا من السحر ، وهكذا وقع بلزاك الساذج الملتهب فى هواها الى أخمص قدمه ٠ لكنها كانت مغامرة غير موفقة ، فقد كانت المرأة عابثة مولعة باثارة غرائز الرجال ، فى الوقت الذى تعتزم فيه ألا تشبعها !٠٠** ومثل جميع النسوة المثريات ، كلفت « مدام دى كاسترى » بلزاك كثيرا من المال ، فانه لكى يرضيها صار ينفق ببذخ ، ويحتفظ بخادمين ، ويشترى حصانين ، ويحجز لنفسه مقصورة دائمة فى الاوبرا !٠٠ فكانت النتيجة أنه تورط فى الديون ، وتورط فى الحب ، فلم يحصل منها فى مقابله على شىء ٠٠ بل صارت تسخر منه ، فتجبره على السفر والترحال ، وتستدعيه الى « اكس ليبان » حيث كانت تستجم ٠٠ لكنها لم تسلمه من نفسها فى سافوى أكثر مما اسلمته فى باريس !

ويمكن تصور مبلغ القلق الذى أحسته « مدام دى برنى » بازاء هذه المؤامرات العابثة التى أصابت صديقها ، فكتبت اليه تقول : « **ان خوفا مميتا يزحف أحيانا على قلبى كلما سمعت بأحوالك ٠٠ فاصغ الى صوت العقل يا صديقى العزيز المحبوب !** »

وقد استمع لنصيحتها ، فان كراهيته للمركيزة دى كاسترى كانت تنمو وتتزايد فى قلبه يوما بعد يوم ٠٠ حتى ثاب الى رشده آخر الامر ٠ وحين أعد للطبع قصته « لويس لامبير » سأل « مدام دى برنى » - صديقته المخلصة ، والمنقذة - أن تكتب اليه ملاحظاتها ونقدها للقصة ٠٠ فكتبت اليه تقول ، معلقة على بعض عبارات القصة التى تنم عن شىء من الغرور والتفاخر : « **يا عزيزى ، ذع الجماهير تراك من كل ناحية ، بفضل العلو الذى بلغته ٠٠ ولكن لا يليق بك أن تدعوهم صائحا كى يعجبوا بك !** » ٠٠ وقد قدر لها هو نقدها الصريح الجرىء ، فجعل اهداء الكتاب حين نشره : « الآن وعلى الدوام أهديه للمحبوبة ٠٠ »

لكن « مدام دى برنى » بلغت أخيرا السادسة والخمسين من عمرها ، سنة ١٨٣٢ ، فكان لا بد أن تفلت من « بلزاك » بعض حركات توحى بسأمه اياها ، رغم تفانيه فى اظهار رقته نحوها ٠٠ وهو يقول فى هذا : « **منذ صارت لى أفكار ومشاعر ، كرست نفسى للحب وحده ٠٠ فكانت أول امرأة صادفتها بطلة ذات قلب ملائكى وروح حصيفة فطنة ٠٠ لكنها - ويا ويلتى من هذا الاستدراك القاتل الذى أضافته الطبيعة الشيطانية ! - كانت تكبرنى باثنين وعشرين عاما ، بحيث اذا تغاضيت عن مغزى ذلك من ناحية المبدأ ، وضعت الطبيعة فى وجهى عوائق مادية لا يمكن تخطيها ٠٠ وهكذا فقدت النصف من كل شىء !** »

يوصى عشيقته الشابة بعشيقته العجوز !

◆ ٠٠ **والخليلة** التى جاوزت الخمسين لا يمكن الا أن تكون متسامحة ، فهى تفتح ذراعيها حين يعود اليها حبيبها التعس باكيا يشكو اليها المذلة التى لحقته من امرأة أخرى !٠٠ وهكذا فعلت « مدام دى برنى » حين اعترف لها « بلزاك » بأهوال غرامه المفقود للمركيزة « دى كاسترى » ! واثناء مغامراته التالية مع « مدام هانسكا » - الحسناء البولندية الجميلة التى أطلق عليها لقب « الاجنبية » ، والتى قدر لها أن تصير فيما بعد « مدام بلزاك » ! - استمع اليه يقول للاخيرة فى أحد خطاباته : « **غدا ، اذا أردت ، أحطم قلمى ٠٠ غدا لا تعود امرأة تسمع صوتى ٠٠ لكننى أسألك الرحمة لمدام دى برنى ، التى هى بمثابة أمى ٠٠ فلسوف تبلغ الثامنة والخمسين قريبا ٠٠ فلا تغارى منها ، أنت التى ترتعين فى شبابك !** »

ولانه احب دائما نساء أكبر منه سنا ، أطال بلزاك فى قصصه سن الحب ، فخلق لأول مرة فى الأدب القصصى البطلة التى تحب بعد أن تجاوز الثلاثين ! .. لكنه رغم هذا لم يجرؤ على أن يصور فى أدبه قصته الشخصية الواقعية الى نهايتها ، التى بلغتها بموت « مدام دى برنى » ، بعد أن أصيبت عام ١٨٣٤ بمرضها الاخير .. وهو يصف هذا المرض فيما بعد بقوله : « **انها تسمو بصداقتها الى حد اخفاء آلامهـــا عنى .. فهى تريد أن تشفى من أجلى .. يا الهى ، لكم تغيرت فى الشهرين الاخيرين .. لقد أصابنى الرعب حين رأيتها !** »

وحين ماتت كتب : « استأنفت عملى هذا الصباح ، اطاعة لتوصـــية لورا وكلماتها الاخيرة التى كتبتها لى ، والتى قالت فيها : « الآن أستطيع أن أموت مطمئنة ، فانى واثقة انك ستضع فوق جبينك التاج الذى طالما حلمت بأن أراه فوقه . ان قصتك « زنبقة الوادى » عمل أدبى عظيم ، دون ملق أو رياء .. الخ »

زنبقة الوادى

◆ **وقد** كان الدافع لبلزاك على كتابة « زنبقة الوادى » هو مرض « مدام دى برنى » الاخير .. **ذلك السيف المصلت الذى أوحى اليه بالرغبة فى أن يشيد لتخليد صديقته صرحا أدبيا يكون جديرا بها ، وتراه قبل موتها !**

وبطل القصة « فيلكس دى فاندنيس » ينتمى الى أحدى أسر النبلاء فى (تورين) ، قضى طفولة قاسية ـ مثل بلزاك ـ ولا يعرف شيئا عن النساء : « اذا أردت أن تكون صورة عن صباى فتخيل نفسك محمولا على أجنحة الماضى الى تلك السن العذبة ، حين كانت شفتاك عذراوين لا تعرفان الكذب .. وعيناك صريحتين تنظران الى الدنيا بلا خوف ، وان أثقل أجفانهما الخجل الذى يصارع الشهوات .. وعقلك ساذجا لا يعرف بعد نفاق المجتمع .. وأخيرا ، حين كان جبن قلبك يساوى فى عنفه وقوته كرم احساسك البكر .. »

وذات يوم .. فى مقاطعة « تورين » ، فى سن العشرين ، يحضر الفتى حفلته الساهرة الاولى ، **فيجد** نفسه جالسا الى جوار **امرأة مجهولة ، يفتنه جمالها الى حد انه ـ دون ان يشعر بما هو فاعل ـ يلثم كتفها العارية !** .. فتطلق المرأة صيحة حادة وتستدير نحوه مستاءة ، قائلة فى لهجة تأنيب « مسيو ..! » ثم تأخذ سمتها الى الخارج فى خطوات كخطوات الملكات !

من هى ؟ .. لم يجرؤ فيلكس على السؤال ، وان راح يبحث عنها فى كل


٠٠ يلثم كتفها العارية !

ركن من (تورين) ٠٠ وذات يوم يهتدى الى واد ساحر رائع يجرى فى بطنه نهر كالثعبان ٠٠ فيقول لنفسه : اذا كانت هذه المرأة تعيش فى مكان ما على الارض ٠٠ فهذا هو المكان !

ولم يكن مخطئا ٠٠ فهناك كانت تعيش « مدام دى مورسوف » !٠٠ ويقدمه اليها أحد جيرانها ٠٠ فاذا هى ذات زوج مسن كريه غيور ، وطفلين مريضين ٠٠ لكنها برغم ذلك لم تفكر يوما فى أنها تستطيع أن تفعل شيئا فى حياتها غير أن تكرس نفسها لاسرتها٠٠ لكنها تفعل ذلك وهى تتألم ٠ ويقدر فيلكس ـ الذى جرب العذاب الروحى ـ مدى آلامها ٠٠ وحين يزور البيت **لا ترتاب المرأة فى مقاصده ، بحكم طهر نفسيتها** ٠٠ أما زوجها الكونت دى مورسوف فقد استماله الفتى اليه بمجاراته فى لعب « الطاولة » وتلقى دروس الزراعة وفلاحة البساتين على يديه !

كل شىء ٠٠ الا الحب !

◆ **ولكن** ، فى اللحظة التى يطرق فيها فيلكس حديث الحب ، توقفه « مدام دى مورسوف » عند حده قائلة : « هـذا هو الشىء الوحيد الذى يجب ألا تفعله ٠٠ فاذا لم تقدر الأمر فسوف اضطر الى أن أطلب منك عدم الحضور مرة أخرى ! »

ويقبل الشرط ، قانعا بأن يلمس ثوبها بين حين وآخر ، ويقبل يدها : « وحين تفشل الكلمات ، يحدث الصمت أثره فى نفسينا ، اللتين ذابت احداهما فى الاخرى ، بغير قبلة فى الفم ! فنظل نحلق فى سماء حلم واحد ، ثم نسقط فى بئر ليس لها قرار ٠ وحين نعود فنطفو فوق السطح ، فارغى اليدين ، يسأل أحدنا الآخر بنظراته : ترى هل يقدر لنا أن نحظى بيوم نستطيع أن نسميه « يومنا » ؟

ثم يدخل «فيلكس» غمار الحياة السياسية ، تقوده حكمة «مدام دى مورسوف» ـ كما فعلت ببلزاك «مدام دى برنى» ـ ويحصل على منصب فى حكومة «لويس الثامن عشر» بباريس ! وهناك يلتقى بامرأة انجليزية حسناء ، «ليدى ارابل ردلى»،

التى تحاول أن تستميله اليها ، لمجرد شعورها بأنه ملك لغيرها !.. وتزيد المقاومة من حدة عواطف الطرفين : «كانت تعرض على وهى تضحك أكثر العروض تواضعا، وهى تعدنى بالتكتم الشديد .. أو تطلب مجرد السماح لها بأن تحبنى .. **وذات يوم قالت لى ، مستنجدة برغبات شبابى المكبوتة : « سوف أظل دائما صديقتك .. وخليلتك حينما تريد ! »** .. وأخيرا رسمت خطة محكمة للظفر بى ، فاستمالت خادمى كى يسهل دخولها على فى البيت ، فى الظرف الذى تراه مناسبا لقهر مقاومتى .. وانتهزت فرصة ليلة رأيتها فيها فى احدى الحفلات فى مظهر خلاب وجمال باهر .. **فلم أكد أعود الى البيت حتى وجدتها تنتظرنى ، فى أجمل ثياب الاغراء ! »**

... ومنذ تلك اللحظة يجد « فيلكس » نفسه تمزقها الحيرة بين « مدام دى مورسوف » و « ليدى ردلى » ـ كما وجد « بلزاك » نفسه حائرا بين « مدام دى برنى » وعشيقة أخرى تصغرها سنا ـ فيحز تذبذبه فى نفس « مدام دى مورسوف » ويقتلها الاسى .. **وحين تقترب من حافة الابدية ، تجد من نفسها القوة والجرأة على أن تصارحه بحبها : « وداعا يا طفلى الغالى .. من روح سكبت أنت فيها من الافراح والمباهج ما أنوء بحمله ، وما يغفر لك الكارثة التى انتهى امرى اليها .. انا موقنة من أنك تحبنى ، لهذا أقترب من راحتى الابدية وأنا ارتجف اسفا وندما .. »**

زنابق ملطخة بالوحل !

◆ **تلك** هى القصة التى سخر منها البعض ، بزعم أن لغة الحب فيها نبيلة أكثر من الطبيعى !.. لكن سخريتهم فى الواقع ظالمة ، فبنفس اللغة كانت تعامل « مدام دى برنى » ـ الحقيقية ـ عاشقها « بلزاك » ، رغم تدلهها فى حبه .. أما « ليدى ردلى » ، فبالرغم من انه لم يكن لها وجود فى حياة « بلزاك » ، فانها قد أضفت على القصة أنفاسا من الحياة ، وأضافت اليها فصولها الرائعة .. **التى تصور شعور الرجل وهو يشهد موت المرأة الاولى التى أحبها فى حياته ، دون أن يخلو قلبه من احساس بالاثم ، بأنه المسئول الى حد ما عن موتها الذى سببته الغيرة والكمد ..!**

هذه هى « زنبقة الوادى » والمرأة الموحية بها .. أما الزنابق الاخرى فى وادى حياة « بلزاك » فقد كانت ملطخة بالوحل ، وخاصة «مدام دى كاسترى» التى أوحت له طبيعتها العابثة بقصته الاخرى الرائعة « الدوقة دى لانجيه » .. وليس هذا مجال الحديث عنها

وفى العدد القادم يطالعنا « أندريه موروا»
بالقناع السادس من أقنعة الحب السبعة !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الأعداد الماضية من كتابى ، الكتب الآتيه على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادةالزوجية »و « مركب النقص »و « حواء الجديدة » ، « كيف تقهر الخجل » و « كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة »

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة »التى شرحها المفكر العالمى« اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، وآخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرأت معى فى هذا الباب فصول كتاب « غزو السعادة » لبرتراند رسل .. فكتاب فرويد المشهور « التحليل النفسى » ، يليه « كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة » .

ثم « الجنس الآخر » ، و « عش حياة ايجابية » ، و « أبواب الحب المغلقة » ، و « فن الحب » ، للشاعر الرومانى أوفيد .. ثم « الانتصار على الخوف » ، للاخصائى المعروف « جيمس بندر »..و « عش بحكمة تعش سليما » للاخصائى الألمانى « برنارد ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الأعصاب المرهقة »لويلفريد نورثفيلد .. واخيرا « الرغبة فى الحياة » .

واليوم اقدم لك فيما يلى هذا الكتاب الحديث الطريف فى « تفسير الاحلام » !



هل تتحقق أحلامك وكيف تفسرها؟

أحدث كتاب للعالم النفسانى "هربرت هيسبرو"



العالم الذى ترفع ستاره حين تغمض عينيك !

◆ ظلت الاحلام تشغل بال الانسان من أقدم العصور ، اذ أن هذا العالم العجيب الذى يفتح له اذا ما أغمض عينيه واستسلم للنعاس ، يثير فضوله وتساؤله : أهو مجرد رؤى من وحى الخيال ٠٠ أم هو تصوير لمعانى رسالة من مصدر خفى ـ فوق ادراك البشر ، وخارج نطاق المادية ـ لكشف بعض الحجب عما يكمن فى أعماق الغيب ؟ ٠٠

لذلك عنى الانسان ـ حتى فى المجتمعات البدائية ـ بالبحث عن معانى الاحلام وتأويلها ٠٠ ولم يأنف العلم ـ فى الاوج الذى بلغه ! ـ من أن يساهم فى هذا المضمار ٠٠ والكتاب الذى أقدمه لك هنا ، مثال لهذه المساهمة ٠٠ فهو دراسة تبين أن لبعض الاحلام معانى فعلا ٠٠ معانى قد تفسر حالة نفسية ، أو قد تكون الهاما بأمر لا يزال فى طى الغيب ٠٠ ثم هو يضم طائفة من الرؤى ، يفسرها بتأويلات مبنية على أسانيد من العلم والتجارب الواقعية معا ٠٠

◆ **تباينت** الآراء فى الأحلام تباينا شاسعا ، فهى لدى المتطرفين فى الايمان بها نوع من الوحى والالهام ، ولدى المتطرفين فى الاستخفاف بشأنها ضرب من آثار التخمة وامتلاء البطن بالطعام !٠٠ وما أكثر الاحلام التى رؤيت فرويت أو نسيت ، وقوبلت بالضحك أو بالبكاء ، وأخذت على أنها ايحاء صادق أو نبذت على أنها عبث أطفال ٠٠

على أن للاحلام تأثيرا على الانسان منذ بدء الخليقة ٠٠ فمنها ما يبعث فيه التفاؤل ، ومنها ما يحمله على التشاؤم ٠٠ وكم حفزته أحلام على الرقى ، أو أوحت اليه أحلام أخرى بأروع آيات الانتاج الادبى والفنى ٠٠ وما أكثر ما تمتلىء صفحات الادب بالاحلام ، من عهد « هوميروس » الى أيام « فرويد » ، سواء شعرا أو نثرا ٠٠ وكلمة « حلم » ومشتقاتها تستعمل فى كثير من المعانى والمجاز ، بيد أن المعنى الذى يعنينا فى موضوعنا هذا هو الذى يعتبر « **الحلم** » **مجموعة أو سلسلة من الافكار** ،

والآراء ، والصور ، والمشاعر ، والاصوات ، والانفعالات ، التى تجول بخواطرنا أثناء النوم ..

وتدل الدراسات وتجارب الباحثين على أن كل امرىء يحلم ، فالاحلام ليست قاصرة على أشخاص معينين ، أو ظروف معينة .. وانما هى تعرض لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ، وفى جميع الظروف ، من أقدم العصور حتى الآن !

وتراودنا الاحلام عادة فى الفترة التى نسميها « النوم » ، ومن المحتمل أن تنسى مناظر الرؤيا ـ الحلم ـ أو تحرف ، اذ لا يمكن الاعتماد على ذاكرة الحالم . كما تختلف الآراء فى الامد الذى يستغرقه الحلم .. **ولكن من المعتقد أن كثيرا من الاحداث يمكن أن تمر بخاطر النائم فى ثوان قلائل جدا ، لا تقاس قط بما تستغرقه الاحداث فى الحياة الحقيقية ! ..** أما بصدد « موضوعات » الاحلام ، فكما أن عقل الانسان يفكر فى كل شىء فى اليقظة ، فكذلك حاله أثناء النوم والحلم ، ومن ثم فالاحلام لا تخضع لحدود ما نألف فى حياتنا المادية .. **ومن هنا قد تكون الاحلام عادية ، كحياتنا اليومية ، أو تكون غرائب وخيالات مستحيلة .. فان الاحلام لا تعترف بالمستحيل !**

ومن ناحية أخرى ، قد تكون الاحلام حزينة ، وقد تكون سعيدة .. جميلة أو قبيحة .. تافهة أو ذات قيمة .. رفيعة أو وضيعة .. فهى تدور حول كل شىء .. من الالف الى الياء !

النظرية النفسية للاحلام

◆ **والسؤال** التقليدى هو : هل تتحقق الاحلام ؟.. وهل هناك أوقات مفضلة لها ، تحقق فيها أمانى الحالم ؟.. **ان العلم يجيب عن هذا بالنفى ، رغم ما زعمه الشاعر « هوراس » من أن الاحلام التى تخطر « بعد منتصف الليل » تتحقق .. ورغم ما زعمه الشاعر « أوفيد » من أن الاحلام الصادقة هى التى تواتينا قرب « الصباح » !**

ويقترن ذكر الدراسة والتفسير « العلميين » للاحلام ، باسم الطبيب النمسوى « سيجموند فرويد » ، الذى عرف بأنه « أب » علم التحليل النفسى ٠٠ فلقد اهتم « فرويد » بالتناقض والصراع اللذين يدوران بين الجزء الواعى والجزء اللاواعى - أو غير الواعى - من عقل الانسان ، فانتهى الى أن الجزء الواعى - أو العقل الواعى - يعمل ، أو يحاول أن يعمل بحيث يتمشى مع ما اصطلح عليه الناس من مقاييس الأدب والذوق واللياقة فى المجتمع المتحضر ٠٠ **أما العقل اللاواعى - أو الباطن - فيكافح ليجد منفذا لميول طبيعية - ولكنها غير متمدينة - يضطرنا ضغط الاعتبارات الاجتماعية ، وعوامل النشأة والتربية ، الى كبتها ، أو الى التحكم فيها واخفائها ! وهذه الميول أو الرغبات تجنح - اذ ننكر عليها الارضاء والاشباع - الى العقل الباطن ،فنخالها قد نسيت نهائيا ،بينما تكون فى واقع الامر كامنة تنتظر الفرصة الملائمة للظهور ٠٠ ويخلص « فرويد » من دراستها الى أنها تعبر عن نفسها آخر الامر بالظهور فى الاحلام !**

مراعاة ظروف الحالم فى تفسير الحلم

◆ **ومن** أهم ما ينبغى أن يلاحظ فى التفسيرات العلمية التى وردت فى هذا الكتاب ، ان عددا من الاحلام قد يشترك في تفسير واحد ٠٠ وان بعض التفسيرات قد تكون مكملة لتفسيرات أخرى٠ بل انالتفسيرات قد تبدو أحيانا متناقضة كما أن بعض الاحلام قد يكون لونا من الهوس والخيال !

ويلاحظ أيضا انه وان جاز للحالم أن يرتاح الى الاحلام البهيجة ، الا أنه لا يجب أن يحزن للاحلام السيئة ، لأن القاعدة أن الاحلام كثيرا ما تفسر بعكسها ٠ **كما أن الحالم يجب أن يراعى ظروفه وتأويلاته الخاصة وهو يطبق التفسيرات التالية على أحلامه ٠ فهناك من التفصيلات والدقائق - التى لا يعلمها الا صاحب الحلم وحده - ما لا ينبغى اغفاله عند تأويل رؤى النوم٠**

وفيما يلى شبه « قاموس » لأكثر الاحلام شيوعا عند الناس، وتفسير كل منها ، مأخوذا من أسانيد العلم وتجارب الواقع فى آن واحد :

« ا »

آلة : رؤية الآلات فى المنام تبشر بتفوق فى ميدان الصناعة . وسيرها يوحى بحل مشكلة عويصة تقيم لها وزنا كبيرا . أما توقفها أثناء المنام فانذار بأن طريقتك فى حل المشكلة غير صائبة ، فاسلك غيرها .

ابتسام : اذا رأيت أحدا يبتسم لك فى الحلم ، فابشر بحظ سعيد .

أبكم : اذا حلمت أنك أبكم ، فمعنى هذا أن أصدقاءك لا يقدرون حديثك !

أبيض : لون يبشر بحظ حسن .. فى الصحة ، والعمل ، والحب .. الخ .

أثاث : شراء الاثاث بشير بالزواج .. أما للمتزوجين فمعناه تغيير طيب فى حياة الزوجين . وشراء الاثاث المستعمل — أو المباع بالمزاد — معناه اضطرار للقيام بمهمة ثقيلة على النفس .

اجتماع : الحلم بحضور اجتماع هيئة تحظى بعضويتها ، معناه أنك ستقوم بالتوفيق بين شخصين ظن كل منهما أن لن يلتقى بصاحبه يوما . واذا رأيت أنك تتأهب للقاء بعض الاصدقاء بعد زمن ، فمعناه أنك ستتلقى أنباء غريبة ، مثيرة . ولقاء الاصدقاء الذين افترقت عنهم منذ وقت طويل بشير بأنك ستلقاهم فعلا . ومقابلة صديق ميت معناها صداقة جديدة !

أحمر : لون يرمز للعمر الطويل ، والصحة الطيبة ، والاطمئنان المالى والعاطفى ..

اختراع : اذا رأيت أنك تعمل فى اختراع فهذا انذار بوجوب أن تتكتم مشروعاتك التى لم تكتمل ..

أخضر : لون يبشر بالحظ . واذا رؤى فى نبات دل على كسب من معاملات مالية أو استثمار . كذلك هو يبشر بذرية طيبة .

أذرة : كيزان الاذرة بشير بالصحة والهناء والذرية الطيبة . وأكلها يوحى بدوام النعمة . وحقول الاذرة رمز لنجاح غير عادى فى العمل .

أرز : أكل الارز تنبيه بوجوب استشارة طبيب بشأن صحتك .

أرض : رؤية مساحات شاسعة من الارض معناها أنك ستؤتمن على مبالغ كبيرة . وحراثة الارض رمز لحياة طيبة . ورؤية البر بعد رحلة فى البحر — فى المنام — بشير بحل المشكلات . واذا حلمت بأنك تملك ضياعا ، دل هذا على سنة مالية طيبة لك .

أزرق : لون ينم عن الحب والوئام العائلى • والعيون الزرقاء رمز الوفاء • والسماء الزرقاء بشير السعادة والاطمئنان •• والاشياء الزرقاء أصدقاء أوفياء فى الشدة ••

أسرة : رؤية الاسرة فى المنام توحى بالصحة والهناء والانسجام العائلى • واذا حلمت بأبيك كان هذا فألا بتحسن أحوالك العملية ، واذا حلمت بأمك فهذه بشرى بتفوق فى النواحى الفنية والاجتماعية • ورؤيتهما معا تأكيد للنجاح •

أسود : لون ينذر بالشؤم أو النحس ••

أسير : اذا حلمت بأنك أسير فهذه بشرى بمغامرة غرامية وتوفيق فى عالم النساء • أما اذا أسرت أحدا فهذا رمز على فوزك بما تشتهى •

أشعة اكس : رؤية صورة الاشعة نذير بصعوبة تصادفها فى مسألة ، ولكنها تنتهى الى حل •

أصفر : لون يرمز الى أن نجاحك يثير الحسد ، ولكن دون أن تضار •

اعلان : قراءة اعلانات الصحف فى المنام معناها العمل على تحسين حالك •• والرد على اعلان ، بشرى بترقية •• ونشر اعلان منك يوحى بتوسع أعمالك •• والعمل فى الاعلان معناه تغير فى العمل يخفف من نفوذ مناوئيك •• وقراءة اعلانات الطريق ترمز لانتقال الى مكان بعيد ••

اغماءة : الاغماء فى المنام فشل لمشروعاتك • واذا حلمت بامرأة يغمى عليها فهذا رمز لعلاقة غرامية • واذا أغمى على أحد فى المنام لأنه رآك ، فمعنى ذلك انك ستتلقى أنباء مثيرة فى صالحك

ألبوم : استعراض « البوم » ـ مجلد حفظ الصور ـ معناه علاقة غرامية تبدأ بحادث سيىء وتنتهى بزواج•واذا كانت الصور لأماكن ، دل هذا على عدة أسفار تنتهى باستقرار •

الومنيم : الأدوات الالومنيم فى المطبخ بشرى بسعادة عائلية

ألم : الألم فى الرأس يدل على كتمان شئونك العملية والشخصية ، وفى الاسنان معناه رسالة سارة ، وفى الاذن بشرى نجاح مشروع لم تكن تهتم به

« ب »

باب : الباب المفتوح تنبيه الى الاستعداد لاقتناص الفرص • والباب المقفل معناه اخفاق فى تحين فرصتك ، والباب الدوار ـ أى يدور حول نفسه ـ معناه انك تسير بدون هدف محدد •

بحر : اذا حلمت بالبحار والمحيطات فهذا رمز للاسفار • وان حلمت بأنك



على ظهر سفينة تغرق ، فمعنى ذلك أن أحـدا سينبهك الى مكائد مخـادعين يزعمون لك الود ! والابحار فى بحـر هادىء بشير الرخاء ، أما البحر الهائج فنذير النحس • واذا حلمت بأنك بحار فمعنى ذلك أنك سوف تتنقل فى اقامتك وأعمالك قبل أن تحظى بالاستقرار • ورؤية ملاحين فى استعراض أو تدريب تبشر بحياة اجتماعية حافلة بالنشاط •

بحيرة : البحيرة فى المنام ترمز الى الحب والشباب والوئام • والاستحمام فى البحيرة معناه زوال العقبـات من طريقك •• واذا حلمت بالسباحـة فى بركة آسنة فهذا نذير بمتاعب تنشأ عن سوء علاجك لمسائلك الشخصية ••

برميل : البرميل اذا كان ممتلئا دل على رخاء مرتقب ، واذا كان فارغا كان انذارا بأن تحذر نصائح الاغراب أو أصدقاء المصادفة ! •• والاختباء وراء برميل معناه انك ستسلك مسلكا معيبا فى اجتماع هام •

بريد : بشـير بعلو صيتك وتألق نجمك ، ونجاحك الاجتماعى •

بساط : اذا حلمت بأنك تكنس بساطا أو سجادة ، فمعناه انك ستحظى بزواج وحياة سعيدين • ونفض البساط فى الفضاء بشير بالنجاح على شريطة أن تبذل مجهودا •

بكاء : البكاء فى المنام يجعل للحلم معنى عكسيا •• وهو رمز الفرج

بن : البن والقهوة رمز الحظ الحسن والهناء •

بناء : اذا حلمت ببناء جديد فمعنى هذا أنك ستغير عملك • ورؤية عمال منهمكين فى البناء ـ من بنائين ونجارين الخ ـ معناه انتظام حياتك •

بنت : التحدث الى بنت فى المنام ، رمز لسعادة قريبة

بئر : اذا رأيت نفسك فى قاع بئر فمعناه مشـكلات لن تستطيع حلها ، وانزال دلو فى بئر معناه انك ستدعى للدفاع عن تصرفات فى العمل • واخراج ماء من البئر بشير بنجاح فوق ما تتوقع •

بيت : الحلم ببيت دليل سعادتك فى بيئتك الحالية ، ورمز للزواج والذرية ،

والحلم بأنك تشيد بيتا معناه كسب فى العمل ، أو زواج ٠
بيضة : رمز للنجاح والكسب ٠ وأكل البيض معناه صحة تغنيك عن الطبيب

« ت »

تاج : لبس التاج بشير بمنصب رفيع ٠ ورفض التاج معناه أن عدم ثقتك فى نفسك قد يهبط بمكانتك ٠ وان رأيت أحدا ينزع عنك تاجا فهذا رمز للمنافسة ٠ واذا رأيت ملكا يتوج فمعناه انك ستسافر بعيدا ، أما ان كنت أنت المتوج فهذه بشرى بميراث كبير ٠

تأمين : اذا حلمت بعقد تأمين كان ذلك بشرى بتحسن مالى ٠ والحلم بفقدان بوليصة التأمين انذار بأن خطاك غير سديدة فى حماية ممتلكاتك ٠ واذا رأيت انك وكيل تأمين ، فمعنى ذلك انك ستتنقل كثيرا قبل أن تستقر ٠

تبغ : اذا رأيت أحدا يدخن فهذه بشرى بانفراج أزمة عاطفية واذا كنت أنت المدخن فاطمئن الى الوئام العائلى والنجاح العملى ٠ واشعال السيجارة أو السيجار معناه توسع فى العمل ٠ أما اطفاؤها ، فمعناه ختام فصل فى حياتك ، لتبدأ فصلا أحسن ٠

تذكرة : شراء تذكرة للسفر أو للسينما رمز لازدياد فرص النجاح ، على شريطة أن تتخلص من بعض عيوبك

تسلق : اذا وصلت للقمة فرمز للحظ الحسن ٠ واذا ظللت تحاول رغم الاخفاق فمعناه انك ستصل الى النجاح ٠ أما اذا وليت ظهرك وعدلت ، فتفسير ذلك انك ستقدم على مشروع لن ينجح ٠

تطريز : التطريز فى المنام ــ سواء بيديك أو يدى غيرك ــ رمز لأنباء حسنة تصل متفرقة ، خلال فترة طويلة

تقويم : اذا رأيت أنك تتأمل تقويما ــ نتيجة ــ فمعناه ترقية قريبة

تليفون : الحديث فى التليفون رمز الى أن شخصا يريد الاتصال بك لمسألة هامة ٠ أما التلغراف فرمز الى أنك ستتلقى أنباء من صديق لم تسمع عنه من زمن

تنس : لعب التنس فى المنام رمز الشهرة والتقرب من الجنسين ٠ والكسب فى اللعب نجاح فى العمل ٠ والخسارة نجاح فى الحب ٠

« ث »

ثأر : اذا حلمت بانك تثأر من أحد فهذا نذير بسوء الحظ فى معاملاتك ، وفى علاقاتك الشخصية ٠ أما اذا رأيت انك ضحية انتقام فابشر بتحسن فى أعمالك ٠ والعزوف عن الانتقام مع القدرة عليه دليل مغالبة صعاب تعترضك

ثروة : الحلم بالثروة لايبشر بالغنى ، بل العكس أصح ٠

ثعبان : للأعزب ، رمز الزواج القريب ٠٠ وللمتزوج ، رمز السعادة والرخاء

ثقاب : الثقاب المبعثر ، أو المجموع فى علبة ، معناه أنباء كثيرة طيبة تأتيك دفعة واحدة ٠ « ومشط الكبريت » يوحى بتغير فى خط سيرك ، لصالحك ٠٠ أما اشعال الثقاب فمعناه تحقيق أمنية عزيزة ٠ والقاء الثقاب بعيدا ، ابعاد لسوء الحظ ٠ وترك عود الثقاب يحترق معناه انك موضع رضى وتقدير أصحاب النفوذ ٠ والعود المطفأ رمز لضياع فرصة ، وقرب مصادفتك فرصة أخرى ٠٠

ثلج : رؤية كتل كبيرة من الثلج تبشر بحل مفاجىء لموقف غير سار ٠ واستعمال الثلج رمز لتغير قريب لمصلحتك ٠ والثلج فوق الرأس بشرى بترقية ٠ ورؤية الثلج فى الطريق معناها الاقدام ــ بعد تردد ــ على عمل جديد موفق ٠ ورؤية المتزحلقين على الثلج رمز الى أن رؤساءك سيناقشونك طريقة علاجك لاحدى المسائل ٠ واذا كنت تتزحلق على طبقة رقيقة من الثلج فمعنى هذا أن عملك سيتعرض للنقد ٠ والثلج فى كوب رمز للفوز فى مباراة ٠ والثلج الذائب جهد ضائع فى مشروع لايستحق ٠ وأكل المثلجات « آيس كريم » نجاح فى الحب ، وشراؤها ينم عن حسن تقدير لمسائلك المالية ، وبيعها رمز لترقية فى خلال عام ٠

« ج »

جدار : اذا رأيت جدارا بينك وبين صديق أو حبيب فمعناه أن أمورا ستفصل بينكما ويجب التغلب عليها ٠٠ واذا رأيت انك تسير على جدار فمعناه انك ستتصل بمشروع جديد ، فان لم تسقط فالمشروع ناجح

جرس : صوت الجرس من بعيد رمز تحسن مقبل فى ظروفك ٠٠ ومن قريب نذير بأنك ستخسر نقودا فى مشروع تغتر به ، ما لم تستمع للنصح ٠٠

جمل : رؤية جمل فى صحراء معناه أنك لن تصاب بمتاعب أو أحزان ٠٠ والجمل الحبيس رحلة وكسب

جميلة : اذا حلمت الفتاة أنها فتنة مجتمع دل ذلك على كثرة الخاطبين ، وعلى أن لا داعى للتسرع فى الاختيار ٠ والرجل اذا أحب جميلة فى المنام فسيوفق الى زيجة سعيدة ٠

جندى : اذا حلمت بأنك جندى ، فأنت مقدم على عدة تغييرات ٠ وجندى البوليس فى المنام بشير حظ ٠

جورب : اذا رأيت انك تشترى جوارب فابشر بتحسن مالى ٠ واذا تلقيت الجوارب هدية ، فهى أخبار من عزيز غائب ٠ والسيدة التى يصاب جوربها بتلف فى المنام ، ستخوض مغامرات غرامية ٠ ورتق الجوارب رمز الى كبائر تترتب

على أمور تافهة • أما غسلها فمعناه الخلاص من أمر يبعث الحزن

جهل : جهلك فى المنام رمز تواضعك ، وجهل غيرك دليـــل على ميلك للانتقاد ، وعجزك عن قراءة خطك فى المنام رمز مشكلة لابد لك من استشارة أهل المعرفة فيها • أما العجز عن قراءة خط الغير فيرمز لأنباء تدهشك •

« ح »

حادث : حوادث السيارات والطائرات والسفن والقطارات نذر للحالم بتجنب السفر فترة من الزمن • والحلم بالاصابة بسلاح ما انذار بالتزام الحذر •

حب : الحلم بالحب معناه أن حولك أصدقاء يرجون لك الخير • والفشل فى الحب ـ فى المنام ـ أمل فى اليقظة • والسعى لخطوبة المحبوب رمز للنجاح فى الحب والسعادة • والحلم بالخطوبة بشرى بخطوبة فعلية خلال عام •

حذاء : شراء الاحذية بشير بطول العمر والصحة ، وارتداء حذاءين قديمين رمز مكافأة عن عمل مشرف ، أما ارتداء حذاءين جديدين ، فانتصار على منافسين •• ورؤية صانعى الاحذية فى المنام ، معناه نجاح باهر فى أعمالك وحياتك • والحفاء فى المنام رمز لتغيير الاصدقاء

حساب : اذا حلمت الفتاة بأن خطيبها محاسب أو كاتب حسابات ، فمعنى ذلك أنه سيكون قديرا على أن ينيلها كل ماتبغى • ورؤية المحاسبين فى عملهم معناه انك سترقى الى منصب رئاسة • والآلة الحاسبة رمز النجاح المالى

حصان : ركوب الحصان معناه انك ستصل الى مكانة اجتماعية موفقة • والحلم بأنك تدق حدوة لحصان رمز لحياة سعيدة طويلة ، أما اطعام الحصان فمعناه حكم سيصدر لصالحك فى عملك خلال عام • وضياع حصانك رمز لنقلك من مكان الى آخر فى عملك •

حيوان : رؤية عدد من الحيوانات المختلفة نذير بأن حياتك مليئة بالتعب والكد ، ولكنها ستكون موفقة مثمرة فى النهاية • ورؤية الوحوش فى حديقة الحيوان معناه انك ستكسب مهارة لاتبارى فى عملك • وابذاء الحيوان فى المنام نذير الفشل • أما تغذيته فبشرى برسالة هامة •

« خ »

خبز : اشراك الغير فى خبزك معناه انك ستعيش العمر فى سعة • وأكل الخبز الطازج بشرى بالحظ ، أما اذا كان قديما فتحذير من عدو محتمل • واذا حلمت بأنك فى مخبز فسوف ترزق بأولاد كثيرين • أما اذا رأيت انك تخبز ، فمعنى هذا ارتفاع فى مرتبك !

خطأ : الحلم بالأخطاء معناه انك دقيق فى عملك ·· وارتكاب الخطيئة معناه انك مقبل على أخطاء ، أما مقاومتها فرمز لحياة موفقة ، طيبة

خل : رؤية الخل نذير بأنك ستلقى تأنيبا أو اساءة

خنجر : رؤية الخنجر فى يد سواك معناه انقلاب سيىء فى أحوالك المالية · ورؤيته على الارض معناه أن البعض يسعى للاضرار بك · أما اذا كان فى يدك فمعناه أن مواهبك ستساعدك على كسب الظروف والفرص · والخنجر فى الغمد رمز أنباء طيبة تحملها لعزيز ·

« د »

دائرة : اذا حلمت أنك فى وسطها فهذا رمز لعدم ارتياحك فى عملك وجو حياتك ، ولابد من تغيير ·· ورسم الدوائر بشرى بالظفر بتقدير لانك ستجازف بسلامتك لانقاذ شخص من خطر ·

دب : اذا رأيت دبا يجرى وراءك ، فستلقى من عدو بعض المتاعب · فان قتلت الدب أو هربت منه فستتغلب على المتاعب ·

دبوس : الدبابيس فى المنام صغائر تسوؤك حينا · والدبابيس « المشبك » رمز الاستمتاع بحضور عدة حفلات بهيجة عما قريب ·

دجاجة : تغذية الدجاج فى المنام بشرى بتوسع فى الاعمال أكثر مما توقعت ، وبيع الدجاج رمز للسفر ، ونزع ريشها معناه انك ستحظى بفرصة غير مرتقبة· أما ذبحها فدليل الاضطرار الى تعديل أسلوب معيشتك · وتربية الفراريج (الكتاكيت) رمز الى انك لن تعدم قط دخلا ثابتا وافيا · وتقطيع الدجاج على المائدة رمز الى انك ستقوم بالتوفيق بين متخاصمين ·

دراجة : رؤية الدراجة رمز لمشكلة لن تحل الا بعد عدة أخطاء · وصعود تل بدراجة معناه التغلب على مشكلات العمل والبيت · والهبوط بها أنباء تعكر الصفو

دراسة : اذا حلمت بأنك تتلقى دروسا ، فهذا رمز الى أنك ستوفق فى كل عمل تؤديه ، وبقدر اصغائك يكون نجاحك · والحلم بأنك طالب جامعى رمز لنجاح مبكر فى حياتك العملية ، بعد شىء من الكفاح · وزمالة جامعى من الجنس الآخر رمز للزواج خلال عام ، أما اذا كان الزميل من نفس جنسك فصداقة وثيقة مع زميل فى العمل · ورؤية المدارس أو الجامعات فى المنام رمز لتجارب غير متوقعة تصقل شخصيتك · واذا رأيت أنك مدرس فابشر بترقية

دنتللا : رؤية « دنتللا » على ثوب ، بشرى بزواج قريب · والحلم بدنتللا ممزقة ، تحذير من شائعات السوء ·

ديون : سداد الديون ـ أو « فواتير » ـ رمز للحظ ، والمطالبة بديون معناه ازدهار لأعمالك ٠

« ذ »

ذهب : رؤية الذهب بشرى بالحظ والثراء والرفاهية ٠ والحلم بالعثور على سبيكة ذهب أو فضة رمز لزيادة محسوسة فى مكاسبك

ذئب : رمز لعدو ماكر يحاول ايذاءك !

« ر »

ربان : اذا رأيت انك ربان سفينة للنزهة ، فمعنى هذا نشاط اجتماعى ٠٠ أما اذا كانت السفينة كبيرة فستحصل على منصب رئيسى

رحلة : رمز الاسفار للعمل والترويح ٠ والحلم بالسفر من الاحلام التى تتحقق فى اليقظة ٠ والرحلة القصيرة تعنى تغيير المسكن أو العمل ٠ فاذا صادفت الرحلة متاعب كان هذا انذارا بتجنب التغيير ٠

رقص : رؤية الراقصين رمز حياة اجتماعية وفنية حافلة ٠ ومراقصة الحبيب بشرى بالزواج ٠ واحتراف الرقص فى المنام يعنى انك لن تخوض تجارب غرامية كثيرة ، وانك ستفشل أكثر من مرة قبل أن تجد الحبيب الذى يسعدك !

رسالة : اذا كانت خاصة بأعمال ، فمعناها ربح كبير من استثمار بسيط ٠ والخطابات الودية رمز للانضمام الى هيئات اجتماعية ٠ والرسائل الغرامية بين الحبيبين أو الزوجين توحى بالتوفيق ٠

رئيس : رؤية رئيس فى الاجتماع معناه ازدياد مرتبك ٠ فاذا كنت أنت الرئيس فتفسيره انك ستدعى لفض خلاف بين زملاء فى العمل ٠ واذا حلمت بلقاء رئيس جمهورية أو رئيس هيئة فسوف تنال تكريما ٠

« ز »

زبد : رؤية الزبد رمز لمغامرة مرحة ، وأكلها صحة جيدة وسعادة ، ورؤية الغير يأكلونها معناه انك محوط بأصدقاء مخلصين ، وشراء الزبد بشرى بميراث ، وبيعها دليل على أن عملك لن يفشل ، وصنعها رمز للشهرة ٠

زجاجة : الزجاجة الممتلئة ، بشرى بالنجاح فى العمل والحب ٠٠ والفارغة انذار بفشل يعقبه نجاح بعد صعاب ٠٠ والمكسورة رمز لتجربة اليمة ٠

زواج : حضور زواج غيرك والقيام بدور فيه معناه انك ستظل محوطا بأصدقاء مخلصين ، والحلم بأنك تتزوج بشرى بحظ يلازمك سنوات

زيت : شراء الزيت رمز أنباء سارة قريبة .. وبيعه يعنى أنك ستصيب نفعا بتغيير ظروف عملك . وتزييت آلة رمز لزوال الصعاب . وحقول البترول ترمز الى تقلبات فى حياتك ، لمصلحتك

« س »

ساعة : ساعة الحائط فى المنام رمز تحسن مالى ، وسماع دقات البندول معناه انك يجب أن تعتمد على نفسك فى تقرير أمر يتعلق بمستقبلك . أما دقات الساعة فبشرى بميراث قريب . والساعة المملوءة سفر طويل للعمل ، أما المتأخرة فمعناها انك أسأت الى شخص يرجى منه نفع كبير لو صالحته . وميناء الساعة رمز الى أن دقتك فى تدبير اعمالك ستعود عليك بجزاء طيب . أما كسر الميناء فتحذير من تعجل الاثراء بمشروعات غير مجدية . ودقات بندول ساعة اليد رمز لانباء طيبة . وشراء أو بيع ساعة رمز لعلاقات عائلية متحسنة .

سجن : الحلم بأنك فى سجن يفسر بعكسه ، وبأنك ستوفق فى عملك الى درجة تدعو لتكريمك . ورؤية أحبائك فى السجن معناها أن هناك من يحاول ايذاءهم . ومشاهدة السجناء يشتغلون ، لاتبشر بخير .

سرير : رؤية عدد من الأسرة تبشر الرجل بالتفوق فى العمل ، وتبشر المرأة بالزواج من رجل أعمال ناجح . وشراء السرير رمز للسعادة المنزلية . وتسوية السرير دليل التوفيق فى الحياة الزوجية . والنوم فى سرير جديد يعنى تغيرات فجائية فى حياتك فى فترة قصيرة .. والسقوط من السرير انذار بأنكستسمع كلاما يسوؤك من رئيسك .. وانهيار السرير يوحى بشقاق عائلى . وسرير الطفل يرمز للنجاح المادى ، فاذا كان فيه توأمان دل ذلك على سعادة زوجية ، وان كان خاليا رمز الى أنك سترزق بطفل يكون موفور الصحة ،

سكة حديدية : ركوب القطار معناه عدم السفر ، ورؤية القطار أو سماع صفيره – دون ركوب – رمز للانتقال الى مسكن جديد ، أو للقيام برحلة بعيدة

سيارة : اذا حلمت بأنك تقود سيارة فأنت مقدم على رخاء . أما اذا استأجرت « تاكسى » فستقوم برحلة طويلة فيها بعض المتاعب . واذا كنت تقود« التاكسى» فمعناه أنك ستتولى منصبا هاما ، تصادف عن طريقه زوجة – أو زوجا – تجمع بين الجمال والمال !

« ش »

شاى : شرب الشاى بشرى بالحظ فى العمل والبيت . وصب الشاى للضيوف رمز لقرب وصول أنباء طيبة .. وانسكاب الشاى خارج القدح فشل

لحظظ تعلق عليها آمالا

شبح : الحلم بالاشباح فأل حسن : فرؤيتها بشرى بأنباء طيبة ، وسماعها تتكلم معناه تحسن مالى ·· وابتسام الشبح رمز طول العمر

شنق : الحلم بالاعدام على أنواعه يفسر بعكسه ·· أى بطول العمر والسعادة والرفعة ·

شهر : «يناير» يرمز الى أن الشـــهور التالية ستجلب لك نجاحا ماليا ·· و«فبراير» بشرى بتبدد القلق والمتاعب ·· و«ابريل» يوحى بالسعادة والشهرة ·· و«يونيه» رمز الزواج قبل انتهاء العام ، وهو للمتزوج رمز الرقى ·· و«يوليو»معناه تحقيق ماتتمناه ·· أما «أغسطس» فيرمز الى شىء من سوء الحظ ·· واذا رأيت أنك تقوم بعمل فى أكتوبر ، فهذا انذار بارجاء العمل الى مابعد هذا الشهر ·

« ص »

صابون : رؤية الصابون بشرى بحل متاعبك اذا أنت بذلت مزيدا من الجهد ··

صحراء : اذا رأيت أنك والحبيب وحيدان فى صحراء فهذا رمز سعادة لكما فى حياتكما معا

صدى : سماع صدى الصوت فى المنام معناه حب منتظر ·

صلاة : الحلم بأنك تصلى بشير بثروة وسعادة عظيمة

صورة : الصور على الجدران رمز صديق طيب ·· أما اذا كانت معروضة فى متجر أو متحف فمعناها النجاح فى العمل ·· واذا رأيت صورة عزيز فى «ميدالية» فهذا رمز بأنه سيخلص لك فى ظروف عصيبة · والتقاط صورة لشخص معناه ان هذا الشخص سيساعدك فى عملك ·· والتصوير رمز لتغيير العمل

صيد : صيد الوحوش فى المنام رمز لمناقشات حادة مع شركائك أو زملائك أما صيد الحيوانات الأليفة فتورط فى خطأ اجتماعى ·· واذا اشتركت فى مطاردة شخص فاحذر لأن سمعتك مهددة ·· وصيد السمك رمز النجاح فى العمل

« ض »

ضباب : الضباب انذار بأن أعمالك تسير فى ظروف لا تدعو للاطمئنان ، فيجب التزام الحذر !

ضحك : الضحك بشير بحظ حسن يلازمك . أما اذا رأيت انك تثير ضحك غيرك ، فهذا معناه انك تستثمر مالا فى ناحية ستدر عليك ربحا

ضمير : تأنيب الضمير فى الاحلام رمز الى أنك لم ترتكب أخطاء خطيرة ، وأنك أهل لثقة وتقدير زملائك

« ط »

طب : اذا زرت طبيبا فى المنام فابشر بزيادة فى دخلك .. واذا رأيت انك طبيب فاطمئن الى أن حولك أصدقاء أوفياء ، ودعوة طبيب بالتليفون رمز لنجاح اجتماعى كبير . والذهاب الى طبيب أسنان ، معناه أنك ستحظى بالراحة فى شيخوختك . وشراء أو تناول الدواء معناه أنك ستضطر للجوء الى طبيب .

طريق : امتداد الطرق أمامك رمز لحياة سعيدة ، مريحة ، محفوفة بالحب .. واذا حلمت أنك تسير فى طريق خلوى تحت أشعة الشمس فسوف تحظى بأصدقاء كثيرين

طفل : الوليد رمز الاشتراك فى عمل مربح لاعلاقة له بعملك فى الماضى أو المستقبل .. والطفل الذى يلعب رمز أنباء طيبة من شخص كنت تخشاه .. والطفل النائم بشير بتوفيق فى الغرام أو فى الاعمال المالية ، أما الطفل المريض أو الباكى فسوء الحظ أو شقاق فى العمل .. واذا ضربت طفلا فى المنام فهذا رمز الفشل .

« ظ »

ظهر المركب : رؤية ظهر السفينة فى المنام بشرى بالحظ الحسن فى الاسفار ، والصحة ، والدخل ، والحياة الزوجية

« ع »

عاج : الحلم بأشياء عاجية رمز لأسفار فى كثير من البلدان ، والسعى وراء العاج بشير بميراث

عاصفة : اذا دهمتك عاصفة فهذا انذار بسوء حظ مؤقت

عش الطيور : رمز السعادة والانسجام المنزلى . واذا حلمت بأنك تحمى عشا من أذى ، فمعناه أن أناسا من غير معارفك يقدرون مواهبك ويعملون لمصلحتك

عنكبوت : العنكبوت انذار بأن لا تقدم على استثمارات أو سفر خلال الشهر الذى أنت فيه

« غ »

غابة : الحلم بالسير وحيدا فى غابة رمز الى أنك ستحظى دائما بصحة طيبة ودخل حسن ٠٠ أما اذا كان معك رفيق فبشرى بزواج قريب

غاز : اذا حلمت بسحب من الغاز تداهمك فستضطر لتعديل حياتك فى سبيل الاقتصاد

غرق : الغرق انذار بأعمال يجب أن تتجنبها ، وفى مقدمتها التبذير ، والحلم بأنك تنقذ أحدا معناه انك يجب أن لاتقدم على أى تغيير فى حياتك لمدة عام ٠ واذا حلمت بأن أحدا ينقذك من غرق ، فهذا انذار بأن اهمالك سيخلق لك غريما يهددك فى عملك ٠٠ أما السفينة التى تغرق فبشير بحياة ناعمة ، كريمة

غيرة : اذا حلمت بأنك تغار على زوج أو حبيب فهذا تأكيد بأنك محبوب ٠ أما اذا رأيت الغير يغار منك فابشر بنجاح كبير فى حياتك الاجتماعية ٠

« ف »

فأس : الفأس المشحوذة رمز النجاح المادى والسعادة ٠٠

فاكهة : أكل الفاكهة فى المنام يوحى بالنجاح فى العمل والصحة ٠٠والفاكهة المدلاة من الشجر رمز السعادة فى الحب والزواج ٠٠ واقتطاف الفاكهة يدل على انك لن تعانى العوز قط

فشل : الفشل فى المنام دليل العكس فى اليقظة ٠٠

فلفل أسود : رمز لمغامرات غرامية ونجاح فى الحب

فندق : اذا حلمت بأنك تنزل فى فندق فهذا رمز الى تورط فى مشروعات غير ناجحة فى القريب

فونوغراف : النشاط فى كثير من الاعمال ، مع النجاح ، يرمز اليهما فى المنام بادارة الفونوغراف أو الاستماع اليه ٠

« ق »

قاموس : فتح القاموس معناه أن حزمك وعزمك سيعودان عليك بفوائد مالية٠ والقاموس المغلق تحذير من التأثر بتملق الغير لك ٠

قبلة : تقبيل الحبيب بشرى بالسعادة فى الزواج منه ٠ وتقبيل الزوجة معناه خلو حياتكما من الشقاق ٠ وتلقى القبل من طفل رمز لاقبال الحظ ٠٠ ورؤية شفتى شخص من الجنس الآخر معناه قرب اختيار موفق لزوج أو زوجة ٠٠ والمرأة اذا رأت شفتيها فى المنام دل هذا على أنها ستصيب صيتا فى عمل

فنى .. أما اذا رأى الرجل شفتيه فهذا تحذير له من أصدقائه ..

قديس : الحلم بالقديسين رمز للحياة الهادئة الوادعة

قطن : رؤية حقول القطن بشير بنجاح فى الاعمال بقدر اتساع الحقول . واقتطاف القطن دليل على أن غدك خير من أمسك .. والقماش القطنى رمز الاستقرار المالى

قلم رصاص : القلم بشير بأنك ستتلقى مبلغا ضخما فى مقابل خير أديته فى الماضى

قمح : القمح رمز السعادة فى الاعمال المالية والحب والزواج

« ك »

كتاب : الحلم بقراءة الكتب ينم عن ميل للثقافة سيجدى عليك فوائد مالية .. والكتب الكثيرة على الارفف دليل النجاح والتغلب على مشكلاتك ..

كولونيا : رؤية ماء الكولونيا أو شمه فى المنام رمز للراحة ، والهناء ، والوفاء ، والسعادة فى أسرتك

كمنجة : سماع الكمنجة فى الحلم رمز الى أنك ستشترك فى حدث بهيج .

« ل »

لبن : شرب اللبن فى المنام رمز للصحة الجيدة على الدوام .. وبيع اللبن معناه أنك ستكون فى رخاء دائم ..

لحم : اذا رأيت فى المنام انك تشترى أو تأكل لحما نيئا ، فهذا معناه انك ستحظى بقوة وعافية .. واللحم الفاسد رمز الى انك بدأت تفقد حسن النية حيث ينبغى توفره .

لؤلؤ : تسلم هدايا من اللؤلؤ فى أحلام النساء ، يرمز الى الهناء .. وضياع اللؤلؤ نذير بأن بعض ظروف العمل ستتحول بالنسبة للحالم بحيث تضايقه .. أما العثور على لؤلؤ فيوحى بفرص جديدة تسنح

ليل : اذا رأيت فى المنام انك تسيرُ فى جوف الليل ، فهذا انذار بعراقيل ستؤخر بلوغك أغراضك ..

« م »

مصرف : اذا حلمت بأنك فى مصرف (بنك) فستتعرض لضيق

معسكر : الاقامة فى معسكر بشرى بترقية لمنصب رئيسى .. وزيارة معسكر معناها انك ستنتقل بين عدد من المناصب والبلدان فى فترة قصيرة .. أما مغادرة



المعسكر فبشرى بأنباء طيبة مقبلة

ملاك : اذا رأيت ملاكا يحوم فوق دارك فهذا رمز نعم وخيرات ستواتيك •• وحديث الملاك اليك بشرى بصداقة بعض ذوى المناصب والجاه •• وصور الملاك بشرى بالسعادة الزوجية •

ممثل : اذا حلمت بأنك تشاهد ممثلا ـأو ممثلة ـ كبيرا ، فهذا معناه أنك ستحاط بكثير من الترف •• أما اذا حلمت بأنك ممثل ، فهذا معناه أنك ستنجح أينما وليت وجهك •• واذا حلمت بأنك نسيت دورك أثناء التمثيل فهذا انذار بأنك ستتعرض لما يسوؤك

« ن »

نار : الجلوس بجوار النار وحى بالطمأنينة فى حياتك المنزلية •• واشعال النار رمز لسوء تفاهم يوشك أن يزول •• واطفاؤها دليل على توفيقك فى أداء مهمة عسيرة

نسيم : اذا حلمت بأنك تستروح نسيما عليلا ، فهذه بشرى بحظ حسن جدا ، لاسيما فى المسائل الغرامية

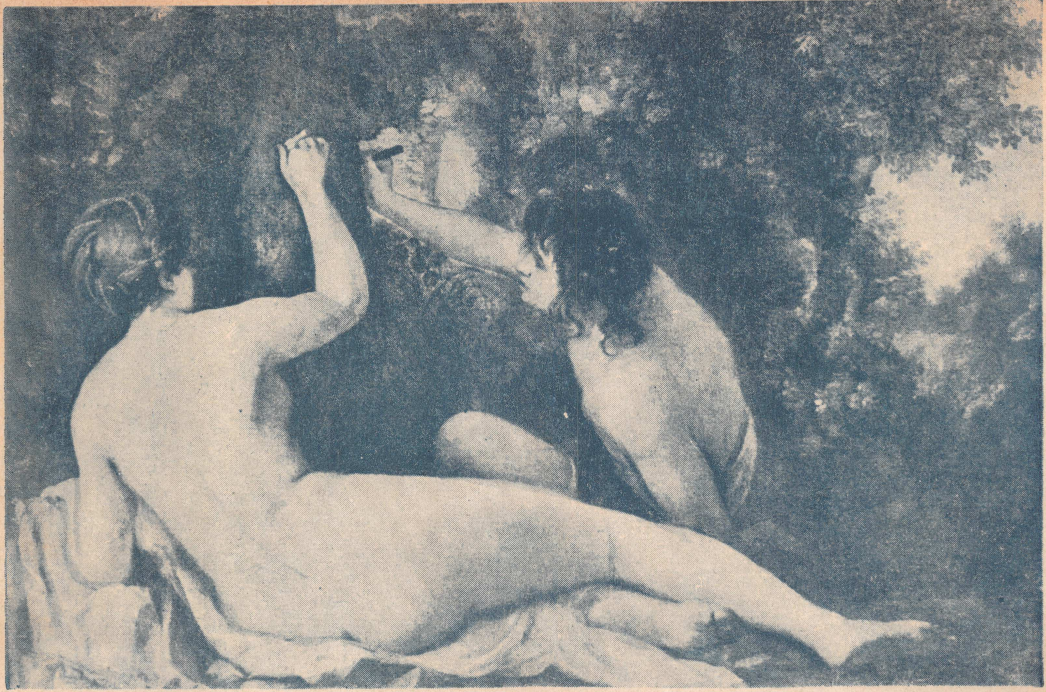
« و »

وادى : الوادى فى المنام رمز السلام والسعادة فى الحب والزواج •

ورق اللعب : اذا حلمت بأنك تشاهد أحدا يلعب الورق ، فهذا تحذير بأن لاتقدم على أى تغيير فى شئونك لبعض الزمن •• واذا حلمت بأنك تلعب وفى يدك ورق طيب فهذه بشرى بنجاح ••

« ى »

ياقوت : الياقوت الاحمر فى المنام رمز الراحة والرفاهية •• أما الياقوت الازرق (السافير) فدليل حظ ـ غير متوقع ـ فى طريقه اليك •• والاصفر (التوباز) بشرى بصدق اخلاص الحبيب



« أنجليك » وزوجها « ميدور »
لوحة تمثل بطلى قصة « رولان الغاضب » ، للاديب الايطالى « أريوست »
(١٤٧٤ - ١٥٣٣) ، وهى من ريشة الرسام الفرنسى «جاك بلانشار»



الربيع ..

اللوحة الخالدة للرسام «بوتيتشيللى» (اقرا المقال عنه فى آخر هذا العدد)

صراع ٠٠ بين الشهوة والعفة !

◆ قدمت لك من قبل حلقتين من مذكرات أعظم مغامر عرفه التاريخ ، فى الهوى والسياسة ٠٠ الرجل الذى قال عنه « أميل لودفيج » ان « تألقه فاق بريق الملوك والشعراء فى عصره ، بل انه يعتبر أشهر رجال قرنه بعد نابليون ! »

ولقد نقلت لك فى العدد الماضى ما رواه عن عشقه للخادم الصغيرة « لوسى » التى قامت بخدمته أثناء نزوله فى ضيعة الكونتة « دى مون ريال » ، وكيف أن سذاجتها ، وصغر سنها ، وثقتها فيه ، صدته عن أن ينال من عفتها ٠٠ وانتهى به الوجد المشبوب ، الى المرض ، والى أن يسألها أن تكف عن زيارته ٠٠ فأقبلت تجفف دموعه ، « غير مدركة أنها بذلك كشفت عن ثديين يطيش جمالهما بأروع العقول ! » ثم قالت :

◆ « كل ما ذكرت يؤكد صدق حبك القوى ، ولكننى لاأتصور أن ترغب فى اقصائى لأنك لم تعد تحتمل الخوف من هواك ٠٠ فماذا كنت تفعل لو أنك كرهتنى؟ ٠٠ أكان ذنبى أننى أعجبتك؟ ٠٠ ما ظننت أننى ارتكبت جرما اذ كسبت حبك ، ومن ثم فما أراك تجرؤ على عقابى ! ٠٠ **ومع ذلك ، فلا أكتم عنك أننى جد سعيدة لأنك أحببتنى ٠٠ أما الخطر الذى يتأتى عن حبنا ، فهو خطر أدركه ، وفى وسعنا أن نتحداه لو شئنا ٠٠ وانى لأعجب لأننى على جهلى غير خائفة ، فى حين أنك ـ على علمك ـ تخشاه !** ٠٠ وانى لفى دهشة لان الحب يسقمك ، وهو ليس بالمرض ٠٠ أفترانى مخطئة ، وان ما أحسه نحوك ليس حبا ؟ ٠٠ لقد كنت أحلم طيلة الليل بأننى بقربك ، وكنت كلما استيقظت عدت الى النوم لاستأنف حلمى السعيد ٠٠ وهذا سر اشراقى حين جئتك هذا الصباح ٠٠ اننى لآسفة أيها القس العزيز اذا كان الحب عذابا لك ، ولكن ، هل تراك تقوى على الحياة بغير حب ؟ ٠٠ اننى مستعدة لأن أفعل كل ما تأمر به ، اذا كان فى هذا شفاؤك ، ولكننى لن أكف عن حبك ، لأن هذا مستحيل ٠٠ »



وأثبت لى حديثها البرىء الخالى من الصنعة ، مدى سمو الفطرة الطبيعية ، فاحتويت كيانها الملائكى فى أحضانى ، للمرة الأولى ، وسألتها أن تسلمنى شفتيها ٠٠ وقضينا ساعة فى هناءة صامتة ، بيد أننى احترمت طهرها ، فلم يزدها هذا الا رغبةفىالاستسلام دون أدنى مقاومة !٠٠ وأخيرا ، تخلصت من أحضانى برفق ، ونهضت فسوت من ثيابها ٠٠

ومكثت فى « باسيان » حتى نهاية شهر سبتمبر٠٠وقضيت الاحدى عشرة ليلة مع «لوسى» ، لا يزعجنا أحد٠٠**كانت تنتهز فرصة نوم أمها وتتسلل الى حجرتى لتقضى فى أحضانى أشهى الساعات ٠٠ ولكن استكانتها التامة لم تزدنى الا تشبثا بما عقدت عليه العزم من أن لا أنتهك عفافها** !٠٠ وودعتها على أن أعود فى الربيع التالى ٠ ولكنى خلفتها فى حال ذهنية وجسدية كانت سر ما حاق بها بعد ذلك ، مما لمت نفسى بسببه حين قدر لى بعد عشرين سنة أن أقف عليه مصادفة أثناء سياحتى فى هولندا ٠٠

تدس فى يدى قصاصة ورق !

◆ **وبرجوعى** الى البندقية ، استأنفت غرامى بأنجيلا ـ ابنة أخت أحد رجال الدين ، وقد كنت ألقاها فى دار المرأة التى كانت تعلمها التطريز ـ وكانت زميلتاها فى دروس التطريز (« نانيت » و « مارتون ») مطلعتين على أسرارها ، وقد أعربتا

لى عن استهجانهما لتحفظها !٠٠ وكانت الفتاتان يتيمتين ، تقيمان مع خالتهما « مدام أوريو » ، (التى لم تكن تستخدم فى دارها سوى خادم عجوز ، ولا تصطفى من الاصدقاء سوى وكيل قضائى يدعى « روزا » ، بلغ الستين مثلها ، وكان يطمع فى الزواج منها بمجرد أن يموت زوجها !) ٠٠ وكانت الاختان ـ واحداهما فى السادسة عشرة والاخرى فى الخامسة عشرة ـ تنامان فى سرير كبير بالطابق العلوى ، اعتادت «أنجيلا» أن تشاطرهما اياه فى ليلة الاحد من كل أسبوع ٠٠

وذات يوم ، زرت مدام « أوريو » ، **فاذا « نانيت » تدس فى يدي وريقة سألتني أن أقرأها قبل مبارحة الدار٠٠ووجدت مع السيدة صديقها المسن ، وأنجيلا ، ومارتون ٠٠ وتقدمت أقبل « يد » مدام أوريو ، ولكنها قالت : « آه يا عزيزى القس ٠٠ سأمنحك القبلة ، ولكن ٠٠ لا على يدى ٠٠ وما أظن أحدا يعارض فانى أكبرك بثلاثين عاما ! »**

وما كان من الحرج فى شيء أن تقول بصدد سنها انها فى الخامسة والاربعين !٠٠ ومنحتها قبلتين ، صادفتا رضى فى نفسها اذ سألتنى أن أقبل ابنتى أختها أيضا ، ولكنهما هربتا منى ٠٠ ورحت أتحين الفرص للخروج من الحجرة ، حتى اذا تمكنت ، رحت أقرأ القصاصة فى لهفة ٠٠ فاذا فيها :



« ستدعوك خالتى للعشاء ، فلا تقبل. وتشبث بالرغبة فى الانصراف بمجرد جلوسنا الى المائدة ، وسوف ترافقك « مارتون » حتى الباب الخارجى ٠٠ ولكن ، لا تبرح الدار ، فاذا ما أغلق الباب بصوت مسموع ، وظن الجميع

انك انصرفت ، فاصعد فى الظلام الى الطابق العلوى ، حيث ينبغى عليك أن تمكث فى انتظارنا ، ولسوف نلحق بك بمجرد أن يغادر السيد « روزا » البيت وتأوى خالتنا الى فراشها • وستكون لدى « انجيلا » الفرصة الكافية لتخلو اليك ، وهذا ما أعتقد أنه سوف يسعدك ! »

انتظار •• فى الظلام !

◆ **وعدت** الى حجرة الجلوس والهناءة تطغى على كيانى •• وقالت لى السيدة فى لهجة صادقة اننى يجب أن أعتبر البيت بيتى ، وأن أعتبر نفسى صديقا حميما ، أثيرا لدى الجميع ••

واذ اقتربت ساعة العشـــاء ، استأذنت فى لباقة من مدام أوريو ، بحيث لم أدع لها سبيلا للالحاف••ونهضت «مارتون» لتودعنى وتضىء لى الطريق ، ولكن خالتها أصرت على أن تقوم « نانيت » بذلك ، ظنا منها أنها الاثيرة لدى ••

وتقدمتنى « نانيت » الى الباب ، ففتحته •• ثم أغلقته بعد برهة بصوت مسموع ، وأطفأت النور •• ثم عادت الى حجرة الجلوس ، وتركتنى وحيدا فى الظلام !

وحيدا •• مع ثلاث عذارى !

◆ **وبلغت** غرفة الشقيقتين فى الطابق العـلوى ، فارتميت على أريكة ، وقبعت فى انتظار الســعادة الموعودة •• قضيت ساعة فى أعذب الاحلام والخيال !•• ثم أقبلت الفتاتان أخيرا ، ومعهما انجيلا ، فاجتذبتها نحوى غير حافل بأحد ، وظللت أحدثها زهاء ساعتين •• حتى آذنت الساعة بانتصــاف الليل ، فسمعت الفتيات يرثين لبقائى دون عشاء •• وبهت لاننى لم أفطن الى ذلك ، فما كنت ـ فى غمرة مثل تلك السعادة ـ لأحس بحاجة آدمية !•• وقيل لى اننى غدوت سجينا ، لأن الخالة اعتادت أن تغلق البــاب الخارجى للبيت وتودع المفتاح تحت وسادتها ، فلا يفتح الباب ثانية الا حين تسعى الى قداس الصباح الباكر !•• فأظهرت غاية الابتهاج ، اذ استوثقت من اننى سأقضى الساعات الخمس التالية مع حبيبة فؤادى •• وانقضت ساعة !

ثم شرعت « نانيت » تضحك فجأة ، وتساءلت « انجيلا » عن السبب ، فهمست « مارتون » فى أذنها بكلمات جعلتها هى الاخرى تضحك ، ممـا أدهشنى فتساءلت بدورى عن السر !•• وأخيرا ، قالت « نانيت » ان الشمعة لن تلبث أن تنتهى بعد دقائق ، فنصبح فى ظلام دامس •• ولم يكن أحب لدى من هذا النبأ ، ولكننى لم أدع شعورى ينعكس على ملامحى ، بل اصطنعت

الاسف ، واقترحت أن يأوين الى فراشهن وأبقى قائما على حراستهن !

وكنا قد قضينا الساعات الثلاث الاخيرة فى الحديث ، وقد استوليت على أعنة الكلام - فالحب شاعر عظيم لا ينضب معينه ، بيد انه لا يلبث فى النهاية أن يمل ويصمت اذا لم يحظ بغايته ! - وقد ظلت حبيبتى « انجيلا » طيلة الوقت تنصت ، ولا تبدى ميلا للكلام الا لماما ٠٠ وكلما خفت يدى لمؤازرة لسانى ، نأت انجيلا أو صدت ٠٠ ولكن لم يداخلنى اليأس الا حين تبينت أن لا سبيل الى اقناعها ، فى حين ان آثار كلامى لها كانت تعكس على ملامح الفتاتين الاخريين مشاعر أذهلتنى !

وانتهت الشمعة ٠٠ وفى اللحظة التى ران علينا فيها الظلام ، مددت يدى ، فاذا هى لا تجد الا خواء ، فلم أتمالك أن ضحكت لسرعة « انجيلا » فى انتهاز الفرصة للهرب منى !٠٠ وظللت ساعة بأكملها أسكب كل حنان ألهمنيه الحب ، فى كلمات حاولت بها أن أقنعها بأن تعود الى ٠٠ وأخيرا نفد صبرى ، فقالت لى : « اهدأ ٠٠ لسوف انصت لكل كلمة تقولها ، ولكن يجب أن تدرك أن ليس من اللائق بى أن أكون قريبة منك فى الغرفة المظلمة ! »

مطاردة ٠٠ فى الظلام !

◆ **ولم** أحجم عن أن اطاردها فى الظلام ، لكننى كنت كلما أمسكت أحدا تبينت انه « نانيت » أو « مارتون » - وكنت من الغباء بحيث كنت أطلقهما فى كل مرة ! ٠٠ كان الحب قد أعمانى ! - وظللت ألومها ، دون جدوى ، على قسوتها ٠٠ وأناشدها أن تدعنى أمسكها ٠٠ حتى اذا تعبت ، واشتد استيائى ، جلست يائسا ٠٠ **ومضيت فى الساعة التالية أروى قصة خرافية ، اختفت بطلتها « انجليكا » بقوة الخاتم السحرى الذى أعطاها اياه الفارس الذى كان يعشقها ، فى غفلة وغباء !٠٠** فانبرت « نانيت » تدافع عن « أنجليكا » قائلة انها لم تكن مذنبة فى شىء ، وانما كان الخطأ خطأ الفارس الذى أسلمها الخاتم ٠٠ **وكنت من السذاجة بحيث لم أحاول أن أطبق ما قالت بأن الفارس كان حريا أن يفعله !**

وما ان انبثق أول أضواء النهار ، حتى سمعت الباب الخارجى يفتح ، فتريثت ريثما خرجت « مدام أوريو » الى الكنيسة ، ثم تهيأت للانصراف ٠٠ ولا تسل عن حيرتى حين حانت منى التفاتة الى البنات الثلاث فاذا بهن غارقات فى دموعهن !

وقررت أن لا أزور دار « مدام أوريو » ثانية ٠٠ وان هى الا أيام قلائل ، حتى رحلت الى « بادوا » لأحصل على « الدكتوراه » فى القانون ٠٠ على اننى

لم أكد أعود ، حتى تلقيت رسالة من السيد « روزا » استحثنى فيها على أن أبادر بزيارة « مدام أوريو » ، فذهبت فى المساء وأنا واثق من أننى لن أجد « انجيلا » هناك ٠٠ وأبدت لى الشقيقتان الرقيقتان ما بدد ما كنت احسه من خجل بعد الليلة التى قضيتها فى غرفتهما قبل شهرين ٠٠ ولامتنى « مدام اوريو » على اننى غبت طويلا عن دارها ٠٠ وفيما أنا منصرف ، دست « نانيت » فى يدى رسالة من « انجيلا » ، جاء فيها : « **اذا لم تكن تخشى قضاء ليلة أخرى معى ، فلن تجد ما تشكو منه ، لاننى أحبك ، وأود أن أسمع من شفتيك ما اذا كنت لا تزال مقيما على حبى ٠٠** » .

وكانت مع هذه القصاصة اخرى من « نانيت » ، الحاضرة الخاطر والحيلة ، قالت فيها : « **تعهد مسيو روزا بأن يرجعك الينا ، فأحب أن أنبئك بأن أنجيلا يائسة ، اذ تخال أنها فقدتك ٠٠ وأعترف أن الليلة التى قضيتها معنا كانت قاسية عليك ، ولكنى لا أراك مصيبا فى قطع زياراتك ٠٠ واذا كنت لا تزال تستشعر لانجيلا حبا ، فأنصحك بأن تجرب حظك مرة أخرى ٠٠** »

مع «نانيت» و «مارتون» ٠٠ فى مخدعهما !

◆ **وشئت** أن أستغل الفرصة لأرى أنجيلا غضبى فى برود ٠٠ فمضيت فى يوم الاحد التالى الى دار « مدام اوريو » بعد أن احتسيت زجاجتين من نبيذ قبرص ٠٠ ولكنى لدهشتى لم أجد حبيبتى ـ وان اسرت لى « نانيت » بأنها ستتأخر حتى موعد العشاء ـ لذلك لم البث أن استأذنت ، وتسللت صاعدا الى غرفة الفتاتين ، وأنا أشد ما أكون شوقا الى أن أؤدى الدور الذى اعددت نفسى لتمثيله ٠٠ حتى اذا انقضت ثلاثة أرباع الساعة ، سمعت الباب الخارجى للدار يوصد ٠٠ ثم أقبلت « نانيت » و « مارتون » وحدهما ، فهتفت متسائلا : « أين انجيلا ؟ »

وقالتا انها ولا بد لم تستطع الحضور ، فقلت : « **لقد ارتبت فى انها تعبث بى ٠٠ هل عرفتماها الآن ؟٠٠ لقد اتخذتكما طعما لاستدراجى الى هنا ، ولكنها أحسنت ٠٠ ولو كانت قد جاءت لأريتها ان الدور دورى للضحك منها ٠٠ لا تبدى الارتياب يا « نانيت » الحسناء ، فسوف تتثبتين من صدقى حين ترين متعة الليلة التى سنقضيها بدونها** »

ـ ماذا !؟٠٠ الديك الجرأة على أن تقضى سبع ساعات وحيدا معنا ؟ ٠٠ لن تلبث أن تمل ، وتنام ٠٠

ـ سنرى ! ٠٠ والآن ، هاكما طعاما ، فما أراكما من القسوة بحيث تتركاننى آكل وحدى !٠٠ كان ينبغى أن أحبكما ٠٠ ألا نبئينى يا « نانيت »

الجميلة ٠٠ أكنت تحذين حذو « انجيلا » فى اشقائى لو اننى كنت أحبك انت ؟

– كيف تسألنى ؟٠٠ لست أدرى ماذا كنت أفعل ٠٠

وأكلنا فى ضحك ومرح٠٠ **وكنت قد حملت معى بعض النبيذ الذى لم يكن لهما به عهد ، فما لبث أن عبث برأسيهما فازدادتا سرورا ٠٠ وعجبت وأنا أتأملهما : كيف عميت عن محاسنهما !٠٠** واذ انتهى العشاء ، جلست بينهما ، ممسكا باحدى يدى كل منهما ، ألصقها بشفتى بالتناوب ٠٠ وسألتهما ان كانتا قد أقرتا مسلك « انجيلا » ، فأجابتا بأنهما ذرفتا كثيرا من الدموع لهذا المسلك ٠٠ فقلت لهما : « اذن اسمحا لى أن أبدى لكما حنان الاخ ، على أن تقابلا عواطفى هذه بمثلها ، كأختين لى ٠٠ **فلنتبادل – فى براءة كاملة – براهين الحب الاخوى المشترك ، ولنتعاهد على الوفاء الى الابد ٠٠ »**

عبث العذارى ٠٠!

◆ **وكانت** القبلة الاولى التى طبعتها على وجنتيهما منبعثة عن غير سوء ، فردتها كل منهما بمثلها ، فى عاطفة أخوية بحتة – كما أكدتا لى بعد أيام – **بيد أن القبلات البريئة ما لبثت مع التكرار أن أذكت فى أعماقنا لهبا ، فوجئنا به على غير توقع ، فأخذ كل منا يحملق فى الآخرين مشدوها ، وقد زايله المرح ٠٠ ثم تركتانى غير حافلتين ، وبقيت فى الغرفة وحيدا مع أفكارى ٠٠ كان من الطبيعى أن تذكى القبلات وقدة الشهوة فى نفسى ، وكان خليقا بى أن أقع فجأة مدلها فى هواهما ، فقد كانتا أبهى من أنجيلا وأرق : « نانيت » بذكائها الفاتن و « مارتون » بطبعها الحلو ، البسيط ٠٠** ولم أدر كيف ظللت هذا الزمن الطويل لا أوليهما حقهما ! ولكنهما كانتا ابنتى أسرة نبيلة ، وكانتا ساذجتين ، فلم يكن ينبغى أن تنقلب المصادفة الحسنة التى ألقت بهما فى طريقى ، الى نكبة عليهما ٠٠ ولم أكن من الغرور بحيث أظنهما قد وقعتا فى هواى ، ولكنى أعتقد أن قبلاتى قد بعثت فيهما ما بعثته قبلاتهما فى ٠٠ وبقليل من المكر ، وبعض الحيل الخبيثة التى كانتا تجهلانها ، كان من الممكن أن أحظى خلال الليل الطويل ، ببعض المتع ٠٠ ولكن مجرد التفكير فى هذا ، بعث فى كيانى قشعريرة ، فقررت فى عزم أن أحترم عفتهما ٠٠ وما خطر لى أن الظروف أقوى من عزمى !

وعندما عادتا ، لم أشأ أن أعرض نفسى مرة أخرى لخطر القبلات ٠٠ وظللت ساعة أتحدث معهما عن « انجيلا » ، مؤكدا عزمى على أن لا أراها ثانية ٠٠ فقالت « مارتون » الساذجة : « انها تحبك ، ولكنك خليق بأن تقطع كل

صلة بها ، اذا لم تكن عازما على الزواج منها ، لانها مصممة على أن لا تمنحك قبلة واحدة ، ما لم تكن خطيبا لها ! »

ـ وكيف عرفت أنها تحبنى ؟

ـ ما دمت قد صرت أخا لنا ، فلن أكتم عنك أن « انجيلا » كلما نامت معى تحتضننى فى وجد ، وتدعونى : بالقس الحبيب !

وأسرعت « نانيت » تضع يدها على شفتى أختها ، وهى تضحك من أعماق فؤادها ٠٠ فقلت لها : « لست أرى مبررا لان تلومى أختك ٠٠ لقد برهنت على صدق ودها لى ٠٠ وعلى أى حال فقد انقضى كل شىء ، فاننى أكره « انجيلا » ٠٠ انها غير مخلصة ، وكانت ترغب فى دمارى ! »

ـ هل تظن انها أذنبت اذ فكرت ـ وهى تحبك ـ فى أن تكون زوجة لك ٠٠؟

ـ انها لا تفكر فى غير نفسها ، لانها تعرف ما أعانى ، ولو كانت تحبنى لاختلف مسلكها معى ٠٠ ثم انها ، فى الوقت ذاته ، تشبع عواطفها الى حد ما حين تحمل « مارتون » الفاتنة على أن تمثل معها ـ بالمزاح ـ دور الزوج ٠

مسألة ثقة ٠٠!؟

◆ **وقهقهت** « نانيت » ، فتحولت اليها أجاذبها الحديث ٠٠ قلت لها انها لا بد أن تكون قد مثلت ـ هى الاخرى ـ مع « انجيلا » دور الزوج ٠٠ فأجابت مبتسمة بأن « **انجيلا » لم تمارس ذلك المزاح الا مع « مارتون » وحدها ٠٠ فسألتها عمن تراه حبيبها هى اذن ، فقالت : « اننى أحتفظ بالسر لنفسى ! »**

وأوحى الى جوابها أن لى علاقة بسرها ، وانها قد تكون مزاحمة لانجيلا ، فى حبى ! ٠٠ وأغرانى هذا الحديث على أن أتخلى عن فكرة قضاء ليلة خاملة مع فتاتين كهاتين ، خلقتا للحب ٠٠ فتصنعت الميل للنعاس ، وأنا أضرب على نغمة الحب « الاخوى » الذى ربط بيننا ، فلم تلبث «نانيت» أن لاحظت تناومى ، وقالت : « اذهب الى الفراش ٠٠ خذ السرير ، وسننام نحن على الاريكة فى الغرفة المجاورة »

وتصنعت الاباء ، قائلا ان النوم سيجافينى اذا أنا استأثرت بالسرير ، وأصررت على أن تناما فيه ، وان أستلقى أنا على الاريكة ٠٠ فقابلت «نانيت» اصرارى بمثله ٠٠ وأخيرا قلت : « ولكنى لا أستطيع أن أنام بثيابى الخارجية »٠٠ **فأجابت : « اخلعها ٠٠ ولن ننظر اليك ! »**

ـ لست أخشى هذا ٠٠ ولكن ، بأى نفس راضية أنام أنا ، بينما تبقيان جالستين بسببى ؟

فلما أجابتا بأنهما ستستلقيان دون أن تخلعا ثيابهما الخارجية ، قلت :

« كأنى بكما لا تثقان بى ٠٠ هذه اساءة تمسنى ! ٠٠ اثبتا لى ثقتكما ، فاخلعا ثيابكما ، وارقدا الى جانبى ، واركنا الى وعدى – بشرفى – بأن لا أمس ايا منكما بطرف انملة ٠٠ ثم مما تخافان وانتما اثنتان ضد واحد ؟ »

مع الشقيقتين فى فراش واحد

◆ **ولم** أزد ، بل تظاهرت بأن النعاس يغالبنى ، فتهامستا ، ثم سألتنى « مارتون » ان آوى الى الفراش ، ووعدتا بأن تلحقا بى بمجرد أن أستسلم للنوم ٠٠

وتظاهرت بالاستغراق فى النوم ، ولكننى سرعان ما نمت فعلا ، حتى شعرت بهما تدلفان الى الفراش ، فظللت ساكنا حتى أطمئن الى نومهما – أو تظاهرهما بالنوم على أى حال ! – وكانتا توليانني ظهريهما ، فلم أستطع أن أميز « نانيت » من « مارتون » ٠٠ **ومن ثم بدأت محاولاتى بمن كانت الى يمينى ، فى تأن لا يجرح كبرياء انوثتها ، وقد انتشيت برجولتى للمرة الاولى ٠٠ ثم تحولت الى الاخت الثانية ٠٠ وفى حذر ورفق بدأت محاولاتى ، وكأننى أخشى أن أوقظها ، فاذا بعنف عواطفها يجعلها تتخلى عن اصطناع النوم ، فتحتضننى وتغرقنى بقبلاتها ، وتشاطرنى النزوة ، والنشوة ، فى وجد!**



وأدركت أنها « نانيت » ٠٠ فلما همست باسمها هتفت : « أجل ، أنا « نانيت » ٠٠ لشد ما أكون سعيدة ، وكذلك أختى ، اذا أنت برهنت على صدقك واخلاصك »

– الى الابد أيتها الحبيبتان ٠٠

وطلبت ضوءا ، ولكن « مارتون » اللطيفة ، الخدوم ، تركت لنا الفراش ٠٠ ووقفت عند طرف السرير تحمل الشمعة ، وأنا أتأمل « نانيت » وقد استكانت فى أحضانى وطفحت أساريرها بالحب ٠٠ وضحكنا طويلا .

وان هى الا أيام حتى خلصنا الحظ من « أنجيلا » - اذ رحلت الى « فيتشنتسا » - فخلا لى الجو مع الاختين الفاتنتين ..

عودة الى ضيعة الكونتة «مون ريال»

◆ **واقبلت** على الدراسة العملية للعلوم الطبيعية فى مدرسة أحد الاديرة ، وكنت أقضى ليالى فى مجالس السيد « مالبييرو » .. حتى اذا حان عيد القيامة ، ذهبت الى ضيعة الكونتة « مون ريال » ، وكلى شوق الى رؤية الجميلة « لوسى » .. ووجدت أن الكونت « دانييل » - الابن الاكبر للاسرة - قد تزوج من شابة تدعى الكونتة « جودزى » ...

وفى ليلة وصولى ، خلت ان العشاء قد طال أكثر مما ينبغى ، **فقد كنت التهب شوقا الى « لوسى » - وقد عولت على أن لا اعاملها كطفلة ! -** ولكنها لم توافنى فى تلك الليلة .. وفى الصباح التالى جاءتنى خادم سمينة ، قبيحة .. فكدت أجن لهفة على « لوسى » .. أتراها مريضة ؟.. **وفيما كنت أتأهب لمغادرة غرفتى ، لقيت والدها - حارس الباب - مكتئب الاسارير .. فلما سألته عنها ، اغرورقت عيناه بالدموع ، واذ ذاك سألته ملهوفا : « ماذا جرى لها ؟.. هل ماتت ؟ »**

- **ليتها !..** لقد فرت مع خادم الكونت دانييل .. ولم نعثر لها على أثر !

وأقبلت زوجته ، فجدد الحديث أساها وحزنها .. وعاد الرجل يقول : « لقد أغواها .. وقد جعلنا فرارها نحدس حقيقة ما جرى ، اذ لاحظنا انها ازدادت سمنة .. »

وحزنت للابوين التعيسين .. وللاحلام التى لم تتحقق ، فمضيت أهيم فى الغابة على وجهى .. ورحت أنحى على نفسى باللوم ، فلو أننى سلكت معها مسلكى مع « نانيت » و « مارتون » ، لما تركتها فريسة للانفعال الذى أعتقد أنه كان السبب فى انزلاقها .. واعتبرت نفسى المسئول الاول عن غوايتها وزلتها !

ولما انضممت الى أهل القصر ، لاحظت أن همومى قد تعكر عليهم بهجتهم ، وان من الخير أن أودع الضيعة وارحل .. بيد اننى لمحت بين القوم وجها لم يلبث أن أغرانى على اعادة النظر فى الامر .. **كان وجه العروس الجديدة - وكانت حسناء بين التاسعة عشرة والعشرين - تجتذب اهتمام الجميع بانفعالها الدائم ، وطباعها الغريبة ..** فقد كان زوجها يخال ان من الخير أن يثير غيرتها ، وان يبدى لها عدم الاكتراث .. الامر الذى لذ لى معه أن أوليها من الاهتمام والرعاية ما جعل الجميع يخالون - أو يبدون من قبيل المزاح انهم يخالون - اننى وقعت أسير هواها !

عاصفة .. دبرها الشيطان

◆ **وحدث** ذات يوم ، أن تأهبنا جميعا للخروج فى نزهة .. وكانت ثمة عربتان ، احداهما تتسع لاربعة والاخرى تتسع لاثنين فقط ، فاحتللت الثانية .. **وشــاء الحظ أن لا يكون للعروس مكان فى العربة الاولى ، فصاحبتنى مكرهة ، كارهة** .. وأوعزت الى السائق أن يسلك بنا فى العودة أقصر الطرق ، فانطلق عبر الغابة ، وبذلك انفصلنا عن العــربة الاخرى .. وفجأة ، تلبد الجو منذرا بعاصفة مباغتة .. وبدا الجزع على صاحبتى ـ فقد كانت تذعر من الرعد والبرق ـ وأخذ المطر يتساقط ، فخلعت عباءتى وبسطتها على أفخاذنا وسيقاننا .. **ثم جذبت صاحبتى الى ، غير مضيع وقتا .. وحاولت أن تتملص ، فأنذرتها بأنها لن تفلح الا فى اجتذاب نظر الحوذى وانتباهه .. وتركتها تستمرئ سبابى ، ريثما أرضيت شيطان نزوتى ، غير عابئ بالمطر ولا بالعاصفة ..**

وقالت أخيرا : « هل اكتفيت أيها الفظيع الذى قضى على بالشــقاء بقية عمرى ؟ »

فقلت : « لا .. بقى أن تغمرينى بالقبلات ، وان تقولى انك غفرت لى ! »

وقبلتنى ، صادعة بما طلبت وهى كارهة ، كى أطلقها من قبضتى ..

ووصلنا الى القصر قبل الاخرين ، فهبطت الحبيبة وهرعت الى غرفتها .. **وبينما كنت أخرج من جيبى قطعة نقود للحوذى ، لمحت الخبيث يبتسم ، فسألته عن سبب الابتسام ، فأجاب فى مكر :**

ـ أوه ! .. انك تعرف !!

ـ اذن ، خذ هذه وأمسك لسانك !

«يتبع»



مدرسة الوالدين

عندما "يتشاجر" الإخوة والأخوات

للإخصائية الفرنسية "بوليت كوهن"

دستور التربية

◆ **قدمت لك فى العدد الماضى المحاضرة الأولى من هذا البحث القيم ، الذى ألقته الباحثة الفرنسية « بوليت كون » فى جامعة باريس ضمن برنامج « مدرسة الوالدين » ٠٠ وقد تناولت فى المحاضرة السابقة موضوعات : « طبيعة المشاجرات التى تنشب بين الأخوة والاخوات » ، و « أسباب المشاجرات وبواعثها » ، وأهم هذه الاسباب : الغيرة من المولود الجديد ، ثم تدليل الطفل الاصغر فى الاسرة ٠٠ واليوم تكمل البحث بالحديث عن الغيرة من الابن الاكبر ٠٠ الخ**

ثانيا : الأبن الأكبر ، كملك متوج !

◆ **هناك** آباء يقعون فى ذلك الخطأ الكبير ، خطأ تفضيل ابن على آخر ، ولكنهم يقعون فيه من الناحية العكسية ، أى من ناحية الابن الاكبر ! ففى بعض الاسرات التى يكون أكبر الاطفال فيها ذكرا ، يحاط هذا الطفل الاكبر بهالة من « القداسة » نلمس فيها رواسب العهود القديمة التى كانت تخص الابن الاكبر بحقوق ومزايا واسعة ٠٠ فالطفل الاكبر فى نظر هذه الاسرات « نموذج » لاخوته الصغار ، يجب عليهم أن يحتذوه ! **وليس من شك فى أن هذا قد يكون حافزا للصغار على التقدم ، ولكن بشرط أن لايتخذه الابن الاكبر ذريعة لاضطهاد اخوته الصغار ، واشعارهم ـ بطرق عنيفة فى بعض الاحيان ـ بتفوقه عليهم ، سواء من الناحية الجسمانية أو العقلية !**

وحتى اذا حدث أن كان الاخوة الصغار ، لسوء الحظ ، أقل ذكاء بالفعل من الابن الاكبر ، فان بعض الآباء لايتوانون عن التصريح بذلك أمامه وأمامهم ، كأن يقولوا مثلا : « عندما كان جان فى سن كذا (وجان هذا هو الابن البكر) كان يستطيع الوقوف على قدميه » ٠٠ أو : « عندما بلغ جان اثنى عشر شهرا من عمره ، كان يستطيع الكلام ! » ٠٠ وهكذا يزرع الآباء فى صدر الاخ الأصغر حقدا على الأخ الأكبر ، بينما تنتفخ أوداج هذا الأخير ويظن أن كل شىء قد أصبح مباحا له !

ولعل موضع الدهشة أنه ماتكاد تنقضى عدة شهور على هذا المسلك الشاذ من جانب الأبوين ، حتى نسمع منهما دلائل حنقهم على أولادهم الصغار ، الذين « أصبحوا لا يطاقون مادام أخوهم الأكبر معهم ، فهم لا يكفون عن التشاحن والتضارب معه !! » ٠٠ ثم لايمضى وقت طويل حتى يتبين الوالدان أن الابن الاكبر قد

أصبح على درجة كبيرة من الغطرسة والاستبداد ، بفضل هذه « الهالة » المقدسة التى أحاطاه بها !

واذن فان كان من المفيد أن نقوى شخصية الابن الاكبر باشعاره بثقتنا فيه ، فانه من المفيد أيضا أن نضعه فى مكانه الذى يجب أن لايتعداه ، وأن نراقبه بحيث لايعتدى على حقوق اخوته الصغار • ومن المناسب أن نلقنه مبدأ اقتسام كل شىء معهم ، بل مبدأ التنازل لهم عن شىء من حقوقه ! •• والملاحظ أنه فى الاسرات الكبيرة العدد ، يقوم الابن الاكبر بهذا الدور من تلقاء ذاته • أما الشذوذ الذى أشرنا اليه ، فهو يحدث فى الأسرات التى لايزيد عدد الأطفال فيها على اثنين أو ثلاثة ••

وعلى وجه العموم ، فان من الأمور السيئة العواقب أن نشدد فى معاملة طفل بحجة اننا نريد أن نحفزه بهذه الشدة على التقدم ، أو أن نضرب له مثلا بطفل آخر يفوقه ذكاء • فان اذلال طفل قد يكشف عن قصوره أو عيوبه أمام الآخرين، وهذا خطأ فى التربية عظيم !

ثالثا : الابن الأوسط

◆ **على أن أكثر الأبناء حاجة الى الدقة فى المعاملة هو الابن الاوسط** ، (أى الابن الثانى اذا كان عدد الاولاد ثلاثة ، أو الابن الثالث اذا كان عددهم خمسة)، لأن مركز هذا الابن أكثر المراكز حرجا ، وعلى الأخص فى الأسرات التى يكون عدد أطفالها فرديا ، **حيث يكون الابن المتوسط ــ كالابن الثالث بين خمسة مثلا ــ فى عزلة تامة ، لأن أخويه اللذين يسبقانه ، وأخويه اللذين يلحقانه ، يكون كل منهما زوجا منسجما متفاهما ، ويبقى هو ــ بين هذين الزوجين من اخوته ــ وحيدا منعزلا !**

غير أن موقف الابن الاوسط يتغير اذا ميزه «جنسه» عن الآخرين ، كأن يكون بنتا بين ذكور ، او ولدا بين اناث • ففى هذه الحالة لايكون وحيدا ، بل يصبح نجم الأسرة اللامع وطفلها المدلل !•• على أنه ، بصفة عامة ، اذا كان فارق السن بين هذا الابن وسائر أخوته لايتعدى ثلاث سنوات ، أو أربع ، فانه يصبح فى حيرة من أمره : فلا هو قادر على الحصول على الحقوق التى يتمتع بها الكبار ، ولا هو قادر على التمتع بالمزايا التى يحظى بها الصغار ! ــ هؤلاء الصغار الذين يجابون الى كثير من النزوات ، والذين ، بحكم صغر سنهم ، يغتفر لهم كثير من الزلات ! ــ فلا يباح له مثلا أن يشارك اخوته الكبار فى لعبهم ، لأنه ليس من سعة الادراك بحيث يمكنه اللعب بها معهم دون أن يخربها ، أو لأنه ليس من سعة الادراك بحيث يمكنه الالمام بها وفهمها تماما •• ومن الناحية الاخرى فقد يغتفر لاخوته الصغار أن يسيروا حفاة الأقدام أو شبه عراة فى

المنزل ، وقد يغتفر لهم أن يغطوا أرض الحجرات بالأقذار ، فاذا ما اشترك المسكين معهم فى هذا العبث ، شدد أبواه فى زجره ، وناله من قسوتهما ما لا يناله اخوته الذين يصغرونه فى السن ، بدعوى أنه « كبير ، يفهم ! » وعليه فلا يحق له أن يرتكب ما ارتكبوه من حماقات ، بل على النقيض كان يجب عليه ، بصفته « أكبر » منهم سنا ، أن يكون لهم القدوة الحسنة التى يقتدون بها فى الطاعة والنظافة والنظام !

وهكذا يصبح الابن الاوسط « غير محتمل » فى كل مايصدر عنه من حركات أو تصرفات ٠٠ فهو يضايق اخوته الكبار فى الوقت الذى يستذكرون فيه دروسهم ، وقد يضايق أخوته الصغار فلا يدعهم ينعمون بلعبهم فى سلام ! واذا بالعقوبات تنهال عليه كالمطر فتدفعه هذه العقوبات الى ارتكاب أخطاء جديدة ، والى انتهاج أساليب مختلفة ليعبر بها عن كرهه للوسط الذى يعيش فيه !

ولعل أكبر دليل على مانقول هو ماوقع ذات مرة من ابن من هذا الطراز ـ وكان الثالث بين خمسة ، ويبلغ من العمر ست سنوات ـ فقد حدث أن انطلقت من صدره زفرة حرى نطق على أثرها بهذه العبارة المؤلمة : « ليتنى أموت ! » ٠٠ ثم حدث بعد ذلك بوقت وجيز أن ولد فى الأسرة طفل سادس ، فاذا بالطفل الاوسط المذكور وقد أمسك بورقة خط عليها رسما أطلق عليه اسم « أسرة × » ٠٠ فعلام كان يحتوى رسم « أسرة × » ياترى ؟!

كان الرسم يحتوى على جزئين : جزء يمثل الاب وأولاده الثلاثة « الكبار » ـ وبطبيعة الحال وضع الابن الاوسط نفسه فى هذا الجزء ، لأنه لم يعد الاوسط فى الأسرة بعد مولد الطفل السادس الجديد ـ أما الجزء الثانى فقد وضعه فى أسفل الورقة ، وعمد الى فصله عن الجزء الأعلى بخط أفقى طويل ، وكان يمثل الأم وأولادها الثلاثة « الصغار » ٠٠ فكان هذا الرسم دليلا حيا وناطقا على الرغبة التى تضطرم بها نفس ذلك الطفل فى أن يوضع فى صف الاخوة « الكبار » ، هربا من العنت الذى كان يلاقيه بوصفه طفلا أوسط فى أسرته !

وما أشبه الأسرات بالمجتمعات الكبيرة : فهناك فى كل منها « منبوذون » ، اذا نحن لم نسهر عليهم ونضمهم الى صفوفنا ، ونفتح لهم صدورنا ، انقلبوا ثوارا ناقمين على الاسرة والمجتمع معا !

وهناك ظاهرة عامة بالغة الأهمية ، هى أن الطفل فى السن التى تسبق سن دخوله المدرسة بقليل ، يكون من الحساسية بصورة قد لايتصورها العقل ٠ وليس من شك فى أن الآباء يحسنون صنعا بوضع الطفل الذى فى هذه المرحلة ـ سواء كان فى الرابعة أو الخامسة من عمره ـ فى صف اخوته الاصغر منه ، فان الكبار يكونون عادة مستغرقين فى عملهم المدرسى ، فمن الافضل والحالة

هذه وضعه مع من هم أصغر منه سنا ليسايرهم فى النظام الذى يتبعونه ، سواء فى الغذاء أو النوم . ولكن يتعين على الوالدين أن يعوضاه عن هذا النقص فى ناحية أخرى ، كأن يقولا له بوضوح ان وضعه مع اخوته الصغار ليس معناه أبدا انه صغير مثلهم ، بل انه يتساوى مع اخوته الكبار فى الحقوق وان له مكانه ودوره اللذين يتميز بهما فى الأسرة عن سواه . **كما يجب عليهما أن يطريا كرامته ويرضياها بأن يكلا اليه أداء بعض الاعمال الصغيرة التى يكون أداؤها فى مستوى قدرته ، وأن يظهرا أمام الآخرين مايمتاز به من مهارة ، وينوها بنجاحه فى الأعمال الصغيرة الموكولة اليه ، فيميزاه بذلك عمن هم أصغر منه .. كما أن من واجبهما أن يقرباه من الكبار أكثر من الصغار ، كلما استطاعا الى ذلك سبيلا ، بحيث يحفزانه دائما على التطور والتقدم الى الأمام !**

الفصل الثالث

الى أى مدى يحد مسلك الآباء من العنف الذى تتسم به مشاجرات الأبناء ؟

◆ **ان** الأمثلة التى ضربناها لاتشمل بالطبع كل الحالات المتعلقة بهذا الموضوع ، فعلى الآباء أن يهتموا بأمور أخرى غير تلك التى تتعلق بوضع الطفل بين اخوته . **فكون الابن هو أكبر الابناء أو أصغرهم لايحدد وحده الطريقة التى يسلكها فى معاملة أخوته وأخواته ، بل ان مسلك الآباء بالنسبة لكل طفل هو الذى يرسم ويحدد الطريقة التى ينتهجها الاولاد فى معاملتهم بعضهم لبعض !**

فالأم عند الطفل هى المعين الذى يفيض عليه بالصحة والسعادة ، اذ اليها يتجه حبه الأول ، فى الوقت الذى ينظر فيه الى أخيه نظرة المنافس المكروه . فيتعين على الأم والحالة هذه أن تستغل تعلق الابن بها لتوجهه الى اخوته وأخواته . وعليها أن تعلمه وأن تقوده الى معرفة مكانه ودوره الصحيحين فى ذلك المجتمع الصغير ، الذى هو الأسرة . **اذ على ضوء مسلكها يتوقف تكييف مشاعر الاطفال وتوجيهها : اما الى الحب واما الى الكره !.. نعم ، يجب عليها أن تفهم أولادها بطريقة واضحة ، لا لبس فيها ولا غموض ، أنها تحب كل واحد منهم بالقدر الذى تحب به الآخر ، وأن حبها لابنها الوديع الهادىء يتساوى مع حبها لابنها المشاغب المتمرد .. وحبها لابنها الذكى يتساوى مع حبها لابنها الاقل ذكاء .. وحبها لابنها الجميل يتساوى مع حبها لابنها القبيح المنظر .. وهكذا .**

وليس من شك فى أن هناك أوقات يجب أن يحس الطفل أثناءها بأنه مفضل على غيره ، وهى الأوقات التى تعقب اصابته بصدمة أو خيبة أمل عنيفة ٠ فانه فى مقدور الأم فى تلك الحالات أن تدخل فى روع الابن المصدوم أنه المفضل عندها على من عداه ! واذا كان التفضيل فى المعاملة له مايبرره فى بعض الاوقات ، كما ذكرنا ، فانه يجب ألا يقتصر على واحد فقط من أبنائها ، بل يعم الجميع اذا تكررت مبرراته

وليس من الميسور أن تكون للأم خطة ثابتة دائمة نحو أولادها ، اذ من المستحيل ايجاد قواعد محددة تسير عليها فى تصرفاتها معهم ، فهى اليوم أمام ظروف تدفعها الى تشجيع وتفضيل أحدهم ، وفى الغد تضطرها ظروف أخرى الى تشجيع وتفضيل آخر غيره ! فالأمر اذن متعلق بما تكون عليه هى من كياسة ولباقة فى فهم وتقدير الملابسات التى تحيط بها وبأولادها ٠ وفى هذا قال العالم النفسانى الامريكى الكبير « جيزيل » : « **اذا وجد فى أسرة طفلان أو أكثر ، فان أحكم الامهات هى تلك التى تربى شخصية كل منهم على انفراد** »

ولكن هل من الممكن العمل على تجنب المنازعات التى تنشب بين الاخوة ؟ ٠٠ من الواضح أن تجنبها غير ممكن ، وهذا يقودنا الى سؤال آخر ، وهو : هل من المفيد أن تقع هذه المنازعات والمشاجرات ؟!

ان الجواب على هذا السؤال هو أن هناك نوعا من الاشتباكات يكون فى الغالب مفيدا ، وهو الذى لا يكون الباعث عليه الحقد أو الكراهية المكبوتة فى الصدور منذ وقت طويل ، بل الذى يكون مبعثه تلك الخلافات المؤقتة التى تسوى فيما بينهم بسرعة ، ولكن فى شىء من الصخب والضجيج ، وبدون تدخل من الكبار ، ثم تلك المشاجرات التى يكون فيها كل منهم معتديا حينا ومعتدى عليه حينا آخر ، وضحية يوما ، ومضحيا بغيره يوما آخر ، تبعا للظروف ٠٠ على أن لايتحول فيها أحد الابناء الى طاغية يستبد بالآخر ويجعل منه كبش الفداء !!

مثل هذه المنازعات وان كانت تجعل الطفل لايستشعر حنانا فى الوسط الذى يعيش فيه ، الا أن فيها مرانا اجتماعيا له ، يدفعه الى احترام غيره ، والحد من أنانيته فى المجتمع عندما يكبر ٠٠ يضاف الى ذلك أن فيها برهانا قويا على أن كيان الطفل آخذ فى الظهور والتوكيد ، وفى هذا ضمان لاضطراد النمو فى شخصيته !

وفى العـــدد القادم محاضرة جديدة من هـــذه السلسلة الثمينة لمحاضرات « مدرسة الوالدين »



◆ فى الاسطورة السابقة ، رأينا ما كان من زيوس ـ رب الارباب ـ مع الحسناء «يوروبا» ابنة ملك فينيقيا ، وكيف راقت فى عينيه فاختطفها وعبر بها البحر الى جزيرة (كريت) ، حيث أنجبت له ثلاثة أبناء ٠٠ وفيما يلى نواصل سلسلة هذه الأساطير الاغريقية القديمة التى لا غنى لمثقف عن الالمام بها كاملة :

◆ كان زيوس اذن يتمتع بين القدماء بمكانة عظيمة ، فعبده الناس أجمعين فى شتى البلاد والاقطار ، وأقاموا له معابد عديدة ذائعة الصيت منها معبد « الكابيتول » بروما ، ومحراب « جوبيتر آمون » فى ليبيا ، وذلك المعبد المشهور بمدينة دودونا ـ وبه شجرة البلوط التى ذاع أنها كانت تبين للناس مستقبلهم وتكشف لهم مصائرهم ، حتى اعتقد الناس أن زيوس هو الذى كان يدلى لها بهذه النبوءات ٠٠ (ولقد اكتشف أخيرا هذا المحراب الذى طالما افتقده الاثريون) ـ كما أقيم بشبه جزيرة المورة معبد رائع للاله زيوس بمدينة أوليمبيا ، اعتاد الاغريق أن يحتشدوا فيه مرة كل خمس سنوات لاقامة مبارياتهم المشهورة تخليدا لانتصار زيوس الرائع على جماعة العمالقة ـ « التيتان » ـ وقد سمى الاغريق هذه الحفلات بالمباريات « الاوليمبية » ، كما جرت عادتهم أن يحسبوا الزمن بمقتضاها ، أى بطول المدة التى تنقضى بين كل احتفال وآخر !

وقد وضع الاغريق بداخل معبد أوليمبيا هذا تمثالا رائعا من الذهب والعاج من صنع « فيدياس » ، أشهر مثالى العالم القديم ، وقد بلغت دقة مقاييسه وجماله أن اعتبره الاغريق احدى عجائب عالمهم السبع ! وهناك من يقول ان ذلك الفنان ، بمجرد انتهائه من هذا العمل الفنى الخالد ، تاقت نفسه الى علامة تثبت له رضى السماء ، فأخذ يصلى بحرارة كى يحظى بما يقطع له بأن زيوس قد قبل تمثاله ٠٠ فما كان من زيوس الا أن رد على هذه الصلاة بأن سلط وميض برق قوى حول التمثال فأضاءه ، دون أن يلحق به أدنى أذى ٠٠

زواج زيوس !



◆ ولنعد الى زيوس ٠٠ فلقد تاقت نفسه الى الزواج ، فوقع اختياره على « هيرا » لتكون شريكته فى عرش السموات والارض ٠ وكانت هيرا ابنة كرونوس (اله الزمن) من زوجته « ريا » ٠ وقد أمضت طفولتها مع أوقيانوس (اله المحيط) وزوجته « ثيتس » فى أقصى مناطق البحر الغربية ، فلما شبت عن الطوق بدت كأن الشمس لم تطلع على أنضر منها وجها ، ولا أشد اغراء وفتنة

وعقد زيوس زواجه على هيرا فى حديقة الآلهة ٠٠ وتخليدا لهذه الذكرى السعيدة ، نبتت من الأرض شجرة عجيبة المنظر ، تفاحها من الذهب الخالص !

وكانت هيرا متكبرة متغطرسة ، محبة للانتقام ، حسودة غيورة ٠٠ فلم يعجبها مجون زوجها وعواطفه المتقلبة ٠ وبدافع من غيرتها صارت تصب جام نقمتها على أية قافلة من البشر أو الآلهة يختصها زيوس بعطفه أو حبه !٠٠ وكانت تستخدم فى تنفيذ خططها رسولتها الخاصة «ايريس» ـ «قوس قزح» ـ السريعة القدمين التى كانت اذا ماقامت لأداء رسالة لسيدتها ، ترك وشاحها آثار ألوانه العديدة فى السحب والفضاء !

غرام زيوس و « ايو »

◆ وقد حانت الفرصة لهيرا لأن تغار وتنتقم ، حين أحب زوجها حسناء جديدة فارعة الطول ، معتدلة القوام ، ذات جيد أتلع ، هى « ايو » ابنة اله النهر « ايناخوس » ٠ وكان بصره قد وقع عليها وهى ترعى أغنام أبيها فى مروج (ليرنا) الخضراء ، فملكت عليه قلبه ومشاعره ٠٠ واذ ذاك عمد الى التنكر فى صورة البشر ، وارتدى ملابسهم ، ثم قصد اليها وفى نيته أن يستهويها بكلماته المعسولة ٠ وما أن دنا منها حتى قال : « ماأسعد ذاك الذى سوف

ترتبط حياته بحياتك فى يوم من الايام ! ٠٠ بيد أننى لا أرى بين البشر شخصا واحدا جديرا بك ، فقد خلقت لتكونى زوجة لرب الارباب، وما أنا الا هو٠ اننى زيوس بعينه ! ويحك ! ماذا يدعوك الى العدو ؟ لاتهربى من وجهى ، حذار فاننا فى لحظة الظهيرة القائظة ٠٠ تعالى معى الى ذلك الكهف الظليل القائم هناك على الجانب الايسر ٠ ان رطوبته لتدعونا لزيارته ٠٠ لا تخافى الولوج فى الغابة المظلمة ، بحيواناتها المفترسة ٠ أفلست أنا معك لحمايتك ؟ أنا الذى يحمل فى يده صولجان الملك فى السموات ، ومن تخفق بروقى لامعة على الارض ؟ »

٠٠ ورغم ذلك أعرضت الفتاة عن مغازلها وأطلقت لساقيها العنان لا تلوى على شىء ، حتى أوشكت أن تنجو منه ٠٠ لولا أن عمد زيوس الى استخدام قوته بأن نشر على المنطقة بأسرها ظلمة حالكة ، فما لبثت ايو أن وجدت نفسها تتخبط فى دياجير الظلام حتى أوشكت ألا ترى شيئا أمامها ، فخففت من سرعتها ، خشية أن ترتطم بصخرة من الصخور أو يختلط عليها الامر فتسقط فى نهر ٠٠ وهكذا وقعت أيو المسكينة فريسة سهلة فى شباك زيوس الجبار !

تفاجىء زوجها ٠٠ متلبسا !

◆ وكانت زوجته «هيرا» ، أم الآلهة ، قد تعودت - بمرور الزمن - أن تتلقى أنباء خيانة زوجها فى شىء من الفتور ، ومع ذلك فقد عجزت كل العجز عن اخفاء ما يجيش به صدرها من تباريح الغيظ والكمد ، فكان شغلها الشاغل أن تقتفى أثر زيوس حتى تقف على كل حركاته وسكناته ٠٠ ومن ثم لم يكن هناك مفر من أن يقع بصرها على تلك المنطقة المعتمة حيث كان يرتع زوجها سرا فى لهوه ومجونه ، فأثار دهشتها وجود بقعة معينة خيم عليها ضباب كثيف ، لم يكن مصدره أية ظاهرة من الظواهر الجوية الطبيعية ٠٠ واذ ذاك ثارت ثائرتها، وغلى مرجل الشك القاتل فى قلبها ، فأخذت تبحث عن زيوس فى جميع أنحاء جبل الاوليمب ، دون أن تقف له على أثر !٠٠ عندئذ رانت عليها مسحة من الكآبة وهى تقول : « اذا صدق ظنى فهاك بعلى يخطىء فى حقى خطأ لا يغتفر ! »

وفى الحال تركت هيرا طبقات الجو العليا وطارت هابطة الى الارض على ظهر سحابة ، ثم أصدرت أوامرها الى الضباب المحيط بالفاسق وعشيقته أن ينفض من حولهما ٠٠ فلما فطن زيوس الى مجيئها ، لم يجد بدا - لانقاذ معشوقته من انتقام هيرا - من تحويل ابنة ايناخوس الفتانة الى بقرة ناصعة البياض ٠٠ وبالرغم مما حدث للفتاة فقد كان جمالها الخلاب يلفت الانظار ٠٠ فأدركت هيرا من فورها خدعة زوجها ، واذ ذاك أبدت اعجابها الزائد بالحيوان الجميل ، وسألت فى خبث ودهاء : « بقرة من هذه يا ترى ، ومن أى نسل تنحدر ؟ »

٠٠ فارتبك زيوس ارتباكا شديدا ، ولكى يضع حدا لهذه الاسئلة كذب قائلا :

« هذه البقرة من حيوان الارض ، ولا أعرف عنها شيئا آخر » .. فتظاهرت هيرا بتصديقه وراحت تتوسل اليه أن يهديها هذا الحيوان الاليف ! فوقع المحتال فى الفخ : فهو ان حقق رجاءها وأهداها البقرة ، فقد حبيبته الى الابد وأفلت الصيد من يده . وان رفض رجاءها أثار شكوكها الدفينة وأشعل نيرانها المستعرة فى فؤادها .. الامر الذى قد يدفعها فى ثورة الحقد الى الفتك بغريمتها البريئة !.. ومن هنا آثر أن يضحى « بالبقرة » الى حين - كى لايفقدها الى الابد - فأهدى زوجته اياها ، وهو مؤمن بجهلها سرها الدفين !

الوحش ذو المائة عين !

◆ تظاهرت هيرا بالغبطة والسرور بهدية زيوس الجميلة ، وعقدت شريطا حول عنق البقرة الجميلة ثم اصطحبتها معها . ولكنها أحست بوخز أنات ضميرها من جراء فعلتها ، وشعرت بأنها لن تستريح ما لم تعد لمنافستها مضجعا آمنا ، وتحميها فى الوقت نفسه من نزوات زوجها . فعهدت بهذه المهمة الى « ارجوس » وكان وحشا ذا مائة عين ، لا تغمض منها الا اثنتان فى وقت واحد ، بينما تظل باقى العيون تبرق فى مقدمة رأسه ومؤخرتها ، تؤدى واجبها فى دقة تامة !.. عهدت هيرا الى أرجوس بحراسة «ايو» من زيوس ، ولم تجد ما يمنع البقرة من أن ترعى طول النهار فى السهول المكسوة بالحشائش الخضراء تحت حراسة عيون أرجوس المائة .. التى كانت تلاحق ايو أينما ذهبت طيلة اليوم ، فاذا أرخى الليل سدوله ، أغلق الوحش على البقرة ، وأثقل كاهل عنقها بقيود حديدية ثقيلة ، ثم قدم لها الاعشاب المرة وأوراق الاشجار ، وماء راكدا تشربه !

وكانت ايو كثيرا ما تنسى أنها حيوان ، فكانت تحاول أن ترفع يديها متضرعة ثم سرعان ماتتذكر أنها فقدت يديها !.. بيد أنها كانت - عندما تحاول التوسل الى أرجوس بكلمات عذبة - يزعجها ذلك الخوار الصادر من حلقومها . أما أرجوس فلم يحبس ايو فى مكان واحد ، اذ كانت أوامر هيرا اليه أن يهيىء لها سبل الرعى فى مناطق نائية فسيحة ، حتى يتعذر على زيوس أن يقف على مكانها .. ولقد ترتب على ذلك أن حدث ذات مرة ، بينما كانت « ايو » تتجول تحت رقابة حارسها فى أحد التخوم القريبة ، أن وجدت نفسها فى رحاب وطنها ومسقط رأسها بالقرب من شاطىء نهر اعتادت أن تلعب فوق رماله فى طفولتها .. وكانت هذه هى المرة الاولى التى رأت فيها « ايو » صورتها الممسوخة على صفحة الماء ، فلما وقع بصرها على عيون ذلك الوحش ذى القرون الطويلة مركزة فى شخصها ، هالها منظره البشع وولت الادبار هاربة منه فى هلع واضطراب .. واذ كان يجتاحها شوق جارف الى رؤية أبيها وأخواتها ، عرجت عليهم فى منزلهم . لكنهم لم يتعرفوا عليها ، رغم أن

ايناخوس قد ربت بيده على أحد جنبيها وقدم لها طعاما من أوراق الشجر ، واذ ذاك لعقت البقرة يده دليل الشكر والامتنان ، وغمرتها بالقبلات والدموع .. ولم يفطن الرجل العجوز الى الشخصية التى لاطفها ، ولكن فكرة صائبة ومضت فى ذهن الفتاة المسكينة التى كانت لا تزال محتفظة بعقلها البشرى ، رغم ما طرأ على شكلها من مسخ وانقلاب ، وسرعان ما بدأت تخط بحافرها فوق الرمال حروفا وكلمات أثارت التفات أبيها ، الذى أخذ يفسر كلماتها .. حتى علم أنه ماثل فى حضرة ابنته ، فتعلق بقرونها وعنقها الاتلع وهو يقول : « يالشقوتى وتعاستى ، أى قدر هذا الذى كتب لى أن أجدك وأنت على هذه الحال ، بعد أن بحثت عنك فى مشارق الارض ومغاربها دون أن أقف لك على أثر ؟! .. بربك أأنت حقا بكماء ؟ أليس فى مقدورك أن تقولى ولو كلمة عزاء واحدة بدلا من هذا الخوار ؟ يا لحماقتى يوم أن ركزت جل همى فى انتقاء صهر جدير بك ! ».. وقبل أن ينتهى أبوها من رثائه ، أقبل أرجوس ـ الحارس الفظ ـ وخطف «ايو» من بين يديه ، وسحبها بعيدا الى أحد المراعى المنعزلة ، ثم ارتقى قمة جبل وقبع فوقها كى يؤدى مهمته بالاشراف على أركان المعمورة الاربعة بعيونه المائة

سر الآهات التى يبعثها «الناى» !

◆ وكان قد ثقل على زيوس تحمل آلام ايو ، فنادى ابنه العزيز «هيرميس» وأمره بالاحتيال على أرجوس المقيت ، والتغلب على عيونه بتنويمه بشتى أساليب الخديعة والاحتيال !.. فانتعل هيرميس نعاله المجنحة فورا ، وحمل فى يده تلك المادة المنومة ، كما ارتدى قبعة الاسفار وهبط الى الارض .. فلما وصلها خلع عن رأسه قبعته وجناحيه واحتفظ بالعقار المنوم ، وتنكر فى زى راع يحمل العصا ، ثم عكف على ملاطفة قطيع من الماعز المتوحش فنجح فى ترويضه حتى تبعه وذهب الى ذلك المرعى المنعزل حيث كانت « ايو » تقرض الاعشاب الصغيرة فى حراسة أرجوس .. عندئذ أخرج هيرميس مزماره الرعوى وراح ينفخ فيه ويبعث أنغاما شجية تفوق فى طلاوتها وعذوبتها أنغام البشر ..

أعجبت هذه الموسيقى خادم هيرا ، فنهض من مقعده المرتفع وصاح قائلا : « أيها الزمار ، مرحبا بك ! تعال واجلس معى هنا فوق هذه الصخرة .. فانك لن تجد لقطيعك بقعة أكثر خضرة من هذه ، تجد فيها عنزاتك ظلالا وارفة .. »

شكر هيرميس أرجوس على أريحيته وصعد ليجلس الى جواره ، ثم بدأ يحدثه حديثا شائقا ، كله مخاتلة ، استمر ساعات طوالا ـ مرت كأنها دقائق ـ حتى بدأ النوم يداعب أجفان أرجوس المتثاقلة ، ومن ثم فكر هيرميس فى تنويمه بالعزف على المزمار ، لكن ارجوس ـ الذى خشى اثارة غضب سيدته ان هو أغفل حراسة «ايو» ـ أخذ يغالب رغبته الجامحة فى النوم محاولا ابقاء بعض

عيونه يقظة متنبهة ٠٠ ولما كان المزمار جديدا عليه ، فقد سأل هيرميس عن مصدره ، فقال له هيرميس : « يسعدنى أن أخبرك عن مصدره لو طال صبرك واستطعت أن تصغى الى فى هذه الساعة المتأخـــرة : كانت تقطن فى تلال (أركاديا) المغطاة بالثلوج حورية مشهورة تدعى « سورنكس » ، وكان جمالها يخلب عقول أرباب الغابات ٠٠ فاشتدت مطاردتهم لها ومغازلتهم اياها ٠ أما هى فكانت تروغ منهم وتفلت هاربة ، لانها كانت تخشى نير الزوجية ـ فقد كانت سورنكس مثل « ديانا » ، ربة القنص والصيد ، قد أقسمت أن تظل عذراء الى الابد ! ـ ولكن حدث أخيرا أن رآها الاله العظيم « بان » أثناء تجواله فى الغابة ، فشرع يتودد اليها ، ويطاردها مغازلا مطاردة عنيفة ، ناسيا مكانته بين الآلهة وجلال هيبته ٠٠ بيد أنها أعرضت عنه وطفقت تعدو هاربة منه وسط القفار العديمة المسالك ، حتى وصلت الى نهر (لادون) ، لكن مياهه العميقة حالت دون عبورها اياه ، فاضطرب فؤادها وتبلبلت أفكارها ، ثم أخذت تتوسل الى أخواتها الحوريات بأن يرثين لحالها ويمسخنها قبل أن يدركها الاله ٠٠ لكن الاله كان قد وصل اليها فى هذه اللحظة وأمسك بتلابيبها بين ذراعيه ٠٠ واذا بالمفاجأة تذهله عندما تبين أنه لا يحتضن غير قصبة جوفاء ٠٠ فخرجت من صدره أنات وتأوهات عميقة ، دخلت فى فراغ القصبة ، فانبعثت منها أنغام حزينة كان لسحرها وقع فى تهدئة الاله المكلوم ٠ ومن ثم شرع يصيح فى مزيج من الالم والحبور : « هكذا قضى الامر ، يافاتنتى الممسوخة ، ومع ذلك فستتحد سويا ، ولن تستطيع قوة فى الوجود تفرقتنا ! »

وما أن قال هذا حتى طفق يقطع لنفسه قصبات مختلفة الاطوال ، مستخدما الشمع فى لصقها ، ثم سمى المزمار باسم الحورية ٠٠ ومنذ هذا اليوم صار يطلق على مزمار الراعى اسم « سورنكس » ٠

الطعنة القاتلة !

◆ تلك هى القصة التى راح رسول الآلهة يرويها على مسامع أرجوس دون أن يحيد ببصره عنه ٠ وما كاد يشرف على نهايتها حتى لاحظ أن أجفان أرجوس ترتخى وتنسدل ، واحدا بعد الآخر ، حتى أطبق على عيونه المائة سبات عميق ٠٠ عندئذ كف هيرميس عن الكلام ، وبدأ يتحسس كل عين من عيون أرجوس النائمة بالمادة السحرية التى معه كى يضاعف من سباتها ! وفى غمضة عين شهر هيرميس السيف المعقوف الذى كان يخفيه تحت طيات جلبابه ، وطعن رقبة أرجوس المتدلية طعنة نجلاء ، تحت الرأس مباشرة ، فسقط الرأس والجسد من فوق قمة الجبل وتلطخت الصخور بدماء الوحش الجبار !

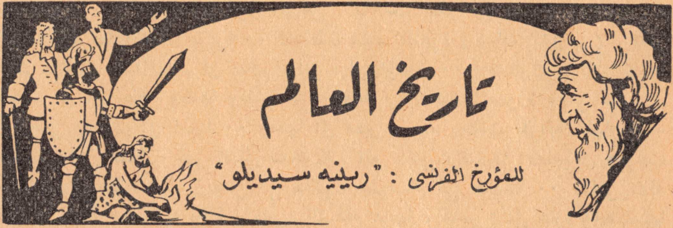
أضحت « ايو » الآن حرة طليقة ، ومع أنها كانت لا تزال تحتفظ بهيكلها الحيوانى ، الا أنها بدأت تجرى هنا وهناك طليقة ٠ ولكن عيون هيرا الثاقبة

اكتشفت كل ما كان يجرى فوق الارض ، فأخذت تفكر فى وسيلة تستطيع بها أن تعذب غريمتها عذابا مريرا ٠٠ فسلطت عليها النعرة (ذبابة الدواب) ، التى كادت ـ لشدة لذعاتها ـ أن تدفع « ايو » الى الجنون ٠٠ فاضطرت ـ لكى تهرب منها ـ الى أن تهجر وطنها وتهيم على وجهها فى أركان المعمورة ، من قطر الى آخر حتى وصلت الى آسيا ٠٠ ومنها الى مصر ، بعد رحلات طويلة كلها مشقة وعناء ، وفوق شاطىء نهر النيل سجدت « ايو » على ركبتيها الاماميتين ومرغت رأسها ، ثم نظرت الى زيوس فى ملكوته متوسلة فى صمت ٠٠ فتأثر الاله الجبار من منظرها تأثرا بالغا وأحس بالشفقة عليها ، فأسرع الى هيرا واحتضنها بذراعيه ثم توسل اليها أن ترحم الفتاة المسكينة البريئة ٠ وأقسم لها بمياه العالم السفلى ـ التى يحلف بها الآلهة دائما ـ أنه سيعزف عزوفا تاما عن حب « ايو » ، وسيقتل كل حب يكنه لها ٠ وبينما هو فى تضرعه وتوسلاته ، سمعت هيرا خوار البقرة صاعدا فى الفضاء بالغا عنان جبل الاوليمب ، فلان قلبها ورق ٠٠ وأباحت لزوجها أن يعيد الى « ايو » شكلها الانسانى !

« ايزيس » ٠٠ التى حكمت مصر !

◆ أسرع زيوس الى الارض على عجل ، وهرع الى نهر النيل ٠ وهناك وجد البقرة فمر بيده فوق ظهرها ٠٠ وللفور اعترتها تغيرات بالغة : اختفى الشعر الخشن من جسدها ، وضمرت قرونها ، وضاقت عيناها ٠٠ وسرعان ما انقلب الفم الى شفاه ، وبرزت الاكتاف والايدى ، وضمرت الحوافر فجأة ثم اختفت ٠٠ ولم يبق من البقرة الا لونها الابيض الناصع ٠٠ عندئذ نهضت « ايو » قائمة ، ممشوقة القوام ، يتدفق الجمال من جسدها ووجهها من جديد ٠٠ وهناك فوق ضفة نهر النيل وضعت من زيوس ابنا اسمه « ايبافوس » ٠٠ ولما كان الناس يبجلونها ويحترمونها كما لو كانت احدى الربات ، بسبب قصتها هذه العجيبة ، فقد تركوا لها مقاليد الحكم فى مصر سنين عديدة ٠٠ ومع ذلك فانها لم تكن بحال فى مأمن من غضب « هيرا » التى حرضت عمالقة « الكوريتيس » على سرقة « ايبافوس » الصغير ٠٠ وهكذا بدأت « ايو » تجوس خلال ربوع الارض ثانية لتبحث من جديد عن ابنها ، بلا جدوى ٠٠ وأخيرا ، بعد أن صعق زيوس العمالقة بصواعقه عثرت « ايو » على ابنها ايبافوس فى أحد تخوم (ايثيوبيا) ، فحملته وعادت به الى مصر لتجلس معه على عرش البلاد ٠٠ ثم تزوج ايبافوس من « ممفيس » ، فأنجبت له « ليبيا » ـ التى باسمها سميت بلاد ليبيا ـ وبعد وفاة الام والابن ، شيدت شعوب وادى النيل المعابد لكل منهما ، وعبدوا « أيو » على أنها « ايزيس » ٠٠ كما عبدوا « ايبافوس » على اعتباره أبيس ٠

أمين سلامة



الحضارة التى افتتحت سجل التاريخ

◆ **هذا هو الفصل الثالث من الفصول التى أنقلها لك عن كتاب « تاريخ العالم فى ٢٤٠ صفحة » •• وهو الكتاب الذى ألفه الباحث الفرنسى « رينيه سيديلو » ، وجنح فيه الى « رواية » التاريخ فى شكل « قصة » شائقة ، لا مادة « دراسية » جافة ••**

ولقد حدثتك فى الفصلين السابقين عن حضارات ما قبل التاريخ •• واليوم « أروى » لك أولى الحضارات القديمة التى افتتحت سجل التاريخ ، وهى « حضارة وادى النيل » •• وأمضى معك الى أبواب « حضارات » نهرى دجلة والفرات ••

حضارة وادى النيل ••

◆ **اهتدى** قوم من الرعاة الرحالة قبل مولد المسيح بخمسة آلاف عام الى حوض النيل • ومن المحتمل أنهم انحدروا من الحبشة ، فانتشروا فى حوض النيل حيث كانت ثمة حضارة مزدهرة من الحضارات البدائية •• **واستهواهم خصب الوادى ، فسرعان ما استقروا فيه ، واشتغلوا بالزراعة واختلطوا بالسكان الاصليين ••**

وقد ظل هؤلاء الوافدين على عاداتهم القديمة من تقديس الحيوان ، فكانوا يؤلهون اللبؤة (سخمت) وابن آوى (انوبيس) والكبش (خنيمو) والبقرة (هاتور) ، كما كانوا يقدسون القط ، والصقر والتمساح •• وكانوا يرمزون لهذه الآلهة برؤوس حيوانات ، وأجساد بشر ــ ولعل أبا الهول مقتبس على هذا الغرار ، ولكن فى وضع معكوس : وجه امرأة وجسم أسد !

وقد أخذ المصريون عنهم عبادة هذه الآلهة ، فأكملوا بذلك مجموعة آلهتهم ، لا سيما حين غدوا يشتغلون بالزراعة • فأصبحوا يعبدون كل ما له تأثير على المحصولات : كالشمس (رع) ، والنيل (أوزيريس ـ اله الخضرة) •• **ولكن النيل الذى كان يجلب الرخاء لمصر ، لم يكن بالنهر الهادىء ، بل كان لابد من كبح جماح فيضانه ، باقامة المنشآت الكبيرة •• وكان لابد لاقامة هذه المنشآت من فرض النظام على البلاد ، وانشاء نظام اجتماعى خاص ، يلائم ظروفها •• فاختارت مصر النظام الاشتراكى الملكى ••**

الفراعنة أبناء الشمس !

◆ **وكان** النظام الملكى فى مصر يقوم على « الحق الالهى » • وقد كان السائد أن الفراعنة أبناء الشمس ، فهم آلهة ، وهم أصحاب السلطان المطلق والمالكون الوحيدون لكل ما فى مملكتهم من أراض •• ومع أن حكام الاقاليم كانوا كثيرا ما يورثون أبناءهم مناصبهم ، ويتمتعون بنظام مشابه لنظام أمراء الاقطاع ، الا أن الملك كان يقبض دائما على نواصيهم ، فقد كان فرعون سيد النـــاس والاشياء أجمعين ، والاله الحى « واهب الماء للارض »

أما الاشتراكية التى اختارتها مصر فكانت « اشتراكية الدولة » ـ اذ لم تكن الملكيات الخاصة معروفة ـ وكان كل مصرى خادما أو « موظفا مدنيا » فى حكومة بيروقراطية ، أى تتجمع مقاليدها فى يدى فرد واحد •• وكان حكام الاقاليم وشيوخ القرى مسئولين عن جمع العمال اللازمين لاصلاح الخزانات والجسور ، وتطهير القنوات •• وكانوا يراقبون المزارعين ، ويتقاضونهم الضرائب فى موسم الحصاد •• كما كان هناك فنيون مسئولون عن المنشئات المائية ، وموظفون رسميون لجمع واختزان خيرات الارض ، التى كان القانون أو العرف يقضى بتسليمها اليهم ••

ومثل هذا النظام الجماعى لابد أن يتكلف نفقات باهظــة ، فكان أهالى كل منطقة يقتسمون ربع المحصول الذى تنتجه المنطقة ، بينما تبتلع نفقات الحكومة ثلاثة الارباع الباقية ، اذ كانت تدفع منها مرتبات الموظفين ، ومعاشات غير المزارعين ، والكهنة ، وفرعون نفسه !•• وكانوا يختزنون نسبة من محصولات كل عام ، احتياطا لسنوات الجدب والاملاق •• وكان فرعون يستأثر وحده بخمس المحصول ، وينفرد بتعيين الكهنة والموظفين ••

التجارة والصناعة احتكار للدولة

◆ **وافتتحت** مصر فصلا تجاريا فى تاريخها ، حين شيدت السفن ، واستغلت المناجم والمحاجر ، وعرفت الغزل والنسيج ، وأوفـدت البعثـات

لاستيراد العطور والتوابل ، ووطدت الصلات ببلدان شرقى البحر الابيض المتوسط .. وكانت تتولى هذه الوجوه المختلفة من النشاط ، **الحكومة الاشتراكية ، اذ كانت الصناعة والتجارة احتكارا للدولة ..**

وكان توفير الايدى العاملة – تحت نظام كهذا لا يفرق بين الحر والعبد – يعتبر ضريبة على المجتمع .. ومن ثم كان من الميسور بواسطة حشد الايدى العاملة اقامة المنشآت العامة الضخمة التى تتطلبها برامج التقدم الهائلة ، كانشاء قناة تربط النيل ببحيرة « مويس » ، واقامة الاهوسة والعيون عليها ، وتحويل هذه البحيرة الى خزان كبير ليساعد على السيطرة على النهر فى تدفقه .. الخ

الاوائل فى الحساب والهندسة والفلك !

◆ **ولهذا** الاسلوب فى حشد الناس ، الفضل فى بناء الاهرامات ، ولكن توجيه الايدى العاملة لم يستغل فى بناء المقابر فحسب ، وانما استغل أيضا فى مختلف الميادين العملية : وفى مقدمتها الميدان الذى صار نواة ابتكار فن الكتابة ، فقد بدأ هذا الفن بنقش علامات على الحجر ، ثم انتقل الى رسم أشكال – ترمز الى موضوعات – على ورق البردى .. وتطورت هذه الرموز بعد ذلك ، فأصبحت تمثل بأصوات ، ثم بمقاطع لفظية – الامر الذى كان نواة فن « القراءة » – كذلك **كان المصريون أول من عرف الحساب ، كما كانوا أول من توصل الى الاحصاءات الاقتصادية حين تعلموا كيف يحسبون فترات ارتفاع النيل وفصول انخفاضه ، وكيف يحسبون مساحات الاراضى المغمورة بمياه الفيضان .. كذلك كانوا أول من طبق مبادىء الهندسة فى الشئون اليومية .. وعرفوا تقدير الاحجام والاوزان ، وحساب الكسور الاعتيادية ، والجذور .. وراقبوا الخسوف والكسوف وحركات الكواكب ، وقسموا السنة – تبعا للشمس – الى أثنى عشر شهرا ، كل شهر يضم ثلاثين يوما ، مع اضافة خمسة أيام خارج نطاق هذه الشهور** .. ويذهب بعض الباحثين الى أن أبعاد الهرم الاكبر تهيىء الحل لكثير من المعضلات الرياضية والفلكية !

صناعات وفنون .. عرفها قدماء المصريين !

◆ **كذلك** عرف المصريون من أقدم العصور كيف يصنعون الزجاج ، كما عرفوا الموازين والطواحين الهوائية التى كانوا يستخدمونها لطحن القمح ولرفع الماء للرى .. **وبدأت فى مصر أيضا فنون الطب والجراحة ، ولا يزال بعض هذه الفنون مستخدما دون تغيير كبير الى الآن .. وأدى ايمان المصريين بالبعث الى براعتهم فى التحنيط ، على نحو لا يزال العلم الحديث عاجزا**

عن مجاراتهم فيه ٠٠ وكان الجرى وسباق العجلات من الالعاب المألوفة التى فتحت صفحة الرياضة فى عهدهم ٠٠ كذلك كان استخدام الحشيات والوسائد وأسرة النوم وأغطيتها ، والقفازات ، والشطرنج ، من الاشياء المألوفة لديهم ٠٠

ولقد تتابع ظهور هذه المبتكرات والمخترعات فى فترة طويلة شغلت عهود احدى وثلاثين أسرة ٠٠ وكان تقسيم العهود حسب الاسرات الحاكمة من أهم العوامل التى ساعدتنا اليوم على دراسة تاريخ مصر ٠٠ فكان « مينا » أول عاهل حكم مصر الموحدة حوالى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ٠٠ ومن أهم خلفائه الذين تركوا وراءهم آثارا خالدة : « زوسر » الذى شيد هرم سقارة المدرج ـ قبل الميلاد بحوالى ٢٨٠٠ سنة ـ و « توت عنخ آمون » الذى خلد مجده بتابوت ذهبى يزيد وزنه على ثلاثمائة كيلو جرام ٠٠ ورمسيس الثانى الذى نسبت اليه فتوحات وغزوات فى روعة الاساطير ـ ويقال انه وصل فيها الى نهر « الجانجز » ! ـ فى حين قرر مؤرخون آخرون أن أمجاده العسكرية لم تزد على ايقاع الهزيمة بفرق من الحثيين كانت تفد من سوريا ٠

مصر كانت منذ القدم موضع طمع الغزاة !

◆ والواقع أن الامن والسلامة كانا أهم لمصر من الغزو ٠٠ ففى حوالى سنة ١٦٨٠ قبل الميلاد ، غزا قوم من رعاة آسيا ـ يدعون « الهكسوس » ـ دلتا النيل وظلوا يحكمونها زهاء قرنين من الزمان ٠٠ ومع أن ملوك طيبة لم يلبثوا أن حرروا البلاد ، الا أن المصريين ظلوا دائما فى خوف من طمع الجيران ، سواء كانوا من الرعاة الرحل ، أو من الامبراطوريات التى قامت خلف حدودهم ٠٠ وقد اضطروا الى الخضوع على التوالى للحبشة ، واشور ، وفارس ، واليونان ، وروما ٠٠ الخ ٠

وأخيرا أدركوا أن ليست الاهرامات وحدها ولا التحنيط وحده ، بالذى يجعل الحضارة خالدة ٠٠ وانما لابد للدولة من جيش قوى يحميها من مطامع الاعداء ٠٠ والجيران !

حضارات دجلة والفرات ٠٠

◆ **واذا** كانت ضفاف النيل قد شهدت نهضة وعظمة شعب واحد ٠٠ فان دجلة والفرات كانا مهد ومقبرة عدة حضارات ، فقد قامت فى حوضيهما عدة أجناس ، وعدة نظم للحكم ، كان بعضها يقوم الى جانب بعض فى واديى النهرين التوأمين ، فى حين كان بعضها الآخر يأتى متواليا ، متتابعا ٠٠

وفى الحلقة القادمة ، سأمضى معك فى أعماق التاريخ لنستكشف حضارات دجلة والفرات ٠٠



◆ بوتيتشيللى .. ليوناردو دافنشى .. رافاييل .. تيسيان .. رمبرانت .. فان جوخ .. رنوار .. فان دايك .. الى غير هؤلاء من أعلام فن الرسم والتصوير فى جميع العصور .. ماذا تعرف عنهم ؟ عن حياتهم ، وفنهم ، وكفاحهم ، وغرامياتهم ، وملهماتهم ، ولوحاتهم التى خلدت أسماءهم !

فى هذا الباب الجديد سأحاول أن أعرفك بواحد منهم بين الحين والحين، فى بساطة ، وتركيز ، وايجاز ، بقدر ما يشبع فضول القارىء العادى الذى لا يعنيه أن « يدرس » هؤلاء الاعلام بتوسع ، بقدر ما يشوقه أن يعرف عنهم شيئا ، ويلم بسيرتهم الملمة خاطفة ..

وأول فنان جدير بالدراسة فى موكب الخالدين هو « بوتيتشيللى » ، الذى أقدم لك قصته فيما يلى ، على أن أتبعها فى اعداد قادمة بسيرة من تبعوه فى دنيا الخلود الفنى ، حسب ترتيبهم الزمنى ..

بوتيتشيللى

(١٤٤٤ ـ ١٥١٠)

◆ **ولد** «ساندرو فيلبى» ـ الذى اشتهر فيما بعد باسم «بوتيتشللى» ـ حوال عام ١٤٤٤ .. وقد بدأ حياته صبيا لصائغ ، **فظلتروح الصائغ تلازمه طيلة حياته ، حتى انه كان يصوغ الالوان كما يرصع الصائغ الجواهر .. ثم أخذ من حرفة الصياغة هذا الاسم الذى خلعه عليه سيده من قبيل السخرية ، «بوتيتشيللى» ـ ومعناه «البرميل الصغير» !** ـ ولم يدر السيد أن ذلك الصبى الذى هزأ به ، كان القدر يعده لحمل رسالة عظيمة ، هى رسالة «الفن» ..

من بوتقة الصائغ .. الى ريشة الفنان !



بوتيتشيلى .. بريشته !

◆ **لم يبق** بوتيتشيلى طويلا مع الصائغ كما أسلفنا ، اذ سرعان ماجذبه الفن اليه ، فكرس له حياته تكريسا كاملا . واتسم عمله الفنى بطابع الكآبة الرقيقة ، سواء فى تصويره للقديسين المسيحيين ، أو لآلهة الوثنيين .. **وكانت ايطاليا قد تغيرت فى عهده عما كانت عليه فى زمن الراهب «أنجيليكو» فلم يعد الجمال عبدا أسيرا للدين ، ولم تنفرد الكنيسة برعاية الفن ، ولا كانت جدران الكنائس المنافذ الوحيدة لانطلاق مواهب الفنانين ، بل اتجه أساتذة هذا الفن به وجهة جديدة .. فلم يقيدوا تلاميذهم بالقيود اللاهوتية ، بل وجهوا أنظارهم الى الجمال لينهلوا من ينابيعه حيثما وجد !**

الفنان والربيع

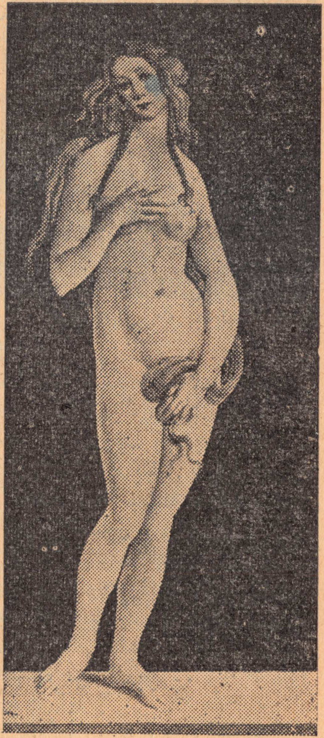
◆ **ومن** أروع لوحات بوتيتشيلى لوحة « اقبال الربيع » ـ التى تراها فى احدى صفحات الورق الفاخر بهذا العدد ـ وقد صور فيها « الاميرة سيمونيتا » فى هيئة « فينوس » ربة الجمال ، واقفة تمتع الطرف بمنظر الطبيعة الخلابة ، بينما وفدت شهور الربيع تحمل الازهار : **فهذا «مارس» بعليل هوائه وصفو سمائه ينفخ فى «ابريل» الذى تمثله سيدة ترتدى غلالة شفافة ، تتقدم نحو «مايو» الذى تمثله «فلورا» الهة الزهر ذات القوام المشوق ، وقد ارتدت ثيابا مزركشة بالازهار وسارت على مهل ، والزهر ينبت تحت قدميها ، والارض تكتسى بحلة خضراء زاهية .. وفى الجانب الايسر من اللوحة وقفت «النعم الثلاث» تمثل بهجة الربيع ونضرته ، وفوقها «كيوبيد» اله الحب يصوب نحوها سهامه ـ فالربيع دائما فصل التآلف والحب ! ـ وفى أقصى اليسار وقف «عطارد» رسول الالهة يدفع السحب برفق ويقطف الفاكهة من الشجر ..**

شهرته تبلغ مسامع البابا !

◆ **وذاع** صيت بوتيتشيلى حتى بلغ مسامع البابا فى روما ، فاستدعاه عام

١٤٨١ ليساهم فى تجميل كنيسة «سيستين» ـ وهى جناح من قصر الفاتيكان ـ فرسم على جدرانها لوحاته الثلاث الخالدة « تاريخ موسى » ، و « هلاك المتآمرين على موسى » ، و « اختبار الشيطان للمسيح » .

ثم ظهر الراهب المصلح « سافونارولا » ، فأشعل بتعاليمه روح التمرد على الفساد السياسى والدينى .. وحين نجحت دسائس البابا « اسكندر بورجيا » فى تأليب الجماهير ضد المصلح ، فثاروا عليه وأحرقوه حيا ، حز فى نفس الفنان هذا النكران لجميل الزعيم المخلص ، فأخرج لوحته الخالدة «الوشاية» أو « الافتراء » ، وتظهر فيها امرأة تمثل الافتراء ، تلبس ثيابا غالية ، وبجوارها « الخيانة والحقد » تصففان شعرها ، بينما أمسكت هى بيدها اليمنى مشعلا ، وسحبت باليسرى شابا عاريا هو ضحيتها البريئة .. وأمامها بدا شخص مهلهل الثياب هو الحسد ، يتقدم بها أمام قاض ظالم له أذنا حمار ، يصغى لنصح امرأتين توسوسان له ، هما الجهل والشك ، وفى يسار الصورة شبح نحيف متشح بملابس سوداء يمثل الندم ، يلتفت خلفه فيرى الحقيقة العارية ، وهى تشهد الله فى سمائه على ما ترى من قسوة وظلم . (وقد نشرت لك هذا الركن الاخير من اللوحة مكبرا فى صفحة ٣٨ من العدد ٣٦)


« فينوس » ، بريشة بوتيتشيللى

الومضة الأخيرة ..

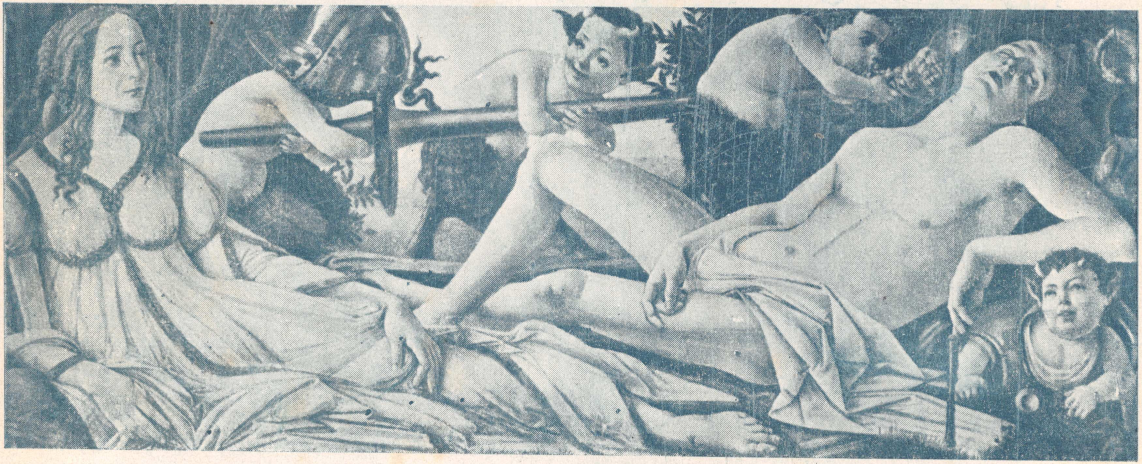
◆ وساءت حالة الفنان النفسية على أثر حرق الجماهير للمصلح «سافونارولا» فأصيب باضطراب عقلى ، على أنه استطاع أن يستجمع الهامه الفنى فيختم كنوزه الفنية بلوحته الاخيرة الخالدة « النحيب على المسيح » ، التى اشتملت على كافة عناصر « التجلى » التى ميزت انتاجه الفنى فى أيام مجده الذهبى !

وفى عام ١٥١٠ أفل نجم الفنان الخالد « ساندرو فيلبى بوتيتشيللى » .



« مارى مانشينى » (عشيقة الملك لويس الرابع عشر)

لوحة للرسام الفرنسى « بيير مينار » (١٦١٢ - ١٦٩٥)



« مارس » اله الحرب ، و « فينوس » ربة الجمال

لوحة من روائع الرسام «بوتيتشيللى» (اقرأ المقال عنه فى آخر هذا العدد)



لوحة الغلاف

الشباب ، والبراءة ، كما صورهما الرسام الفرنسي الخالد « بيير أوجست رنوار » في هذه اللوحة التي يشبهها النقاد بـ « باقة جميلة من أزهار الحديقة التي قطفت حديثا ! » .. واللوحة تمثل الفتاة « جابرييل » التي كانت تخدم في بيت الرسام كمربية لطفله الثاني "جان" الذي ولد عام ١٨٩٣ ، (والذي أصبح الآن من أشهر مخرجي السينما في هوليوود) .. وقد كان رنوار يشترط فيمن يستخدمها في بيته أن تكون ذات بشرة « تعكس الضوء » على حد تعبيره !.. ويتجلى في هذه اللوحة فن « رنوار » في أبدع أشكاله ، فيبدو قميص الفتاة بلونه اللؤلؤي ، أشبه بشرنقة شفافة تتهيأ ساكنتها الوردية الجميلة للخروج منها .. كما تسترعى الأعجاب بساطة الشعر ، والمفارقة بين لونه القاتم المنساب ، وبين الزهرة الزاهية التي تحليه .. ثم بساطة الزرقة الخضراء المحيطة بالفتاة ، والتي لا تشتت الانتباه عن حسنها الهادئ ، بل تركزه فيه .. وأخيرا ، تتميز اللوحة بنظرة العذراء الوادعة ، غير المتكلفة ، التي لا تكاد تحس بأنوثتها .. والتي يخجلها في النهاية أن تتجرد من ثيابها ، وتجلس أمام الفنان عارية تماما !

كتابي

شركة فن الطباعات ٥٨١٤٩